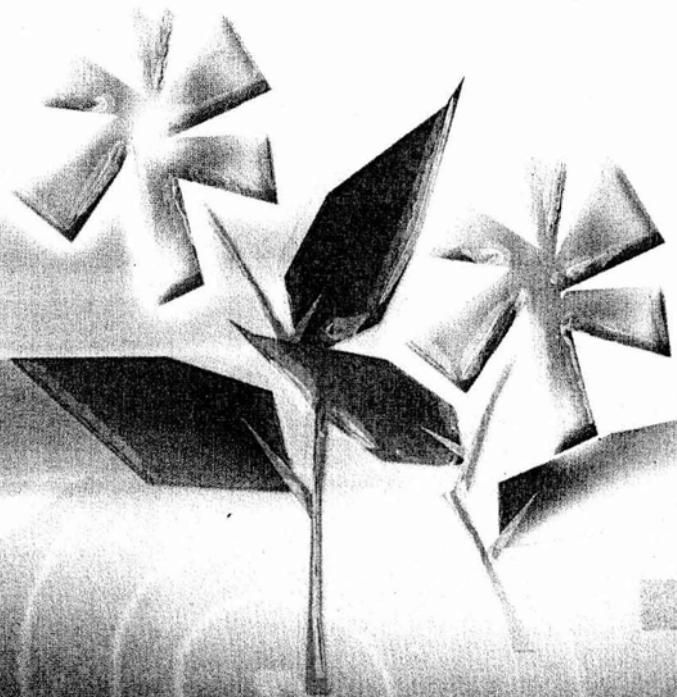


# قصص القرآن الكريم

للنشء

الدكتور / أحمد حسن صبحي



دار الحديث  
القاهرة

خاص بمكتبتنا العربية

[www.almaktabah.net](http://www.almaktabah.net)

قَصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ  
لِلنَّشْءِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

اسم الكتاب : قصص القرآن للنشء

إعداد : د. أحمد حسن صبحي

القطع : ٢٤×١٧ سم

عدد الصفحات : ٣٢٨ صفحة

عدد المجلدات : مجلد واحد

سنة الطبع : ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع : ١٦٧٧٧ / ٢٠٠٥ م

الترقيم الدولي : ٠ - ١١٨ - ٣٠٠ - ٩٧٧

طبع . نشر . توزيع



١٤٠ شارع جوهر القائد امام جامعة الازهر بليفون : ٥٨٩٩٤٠٩ / ٥٩١٨٧١٩ / ٥٩١٩٦٩٧ فاكس : ٥٩١٩٦٩٧

www.darelhadith.com

E-mail: info@darelhadith.com

# قَصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلنِّشْءِ

الدكتور / أحمد حسن صبحي

دار الحديث  
القاهرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

الحمد لله الذى أنزل القرآن فيه هدى للناس . والحمد لله الذى بعث لنا محمداً رسول الله ﷺ ، هادياً ومبشراً ونذيراً . والحمد لله العظيم الذى علمنا ما لم نكن نعلم ، له الحمد والشكر دائماً .

أنزل الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم قصصاً هى أحسن القصص ؛ ليأخذ المسلم منها العبر والموعظة الحسنة ، وتعلم منها ونعى الدروس التى يعلمنا إياها خالقنا عز وجل ؛ لتفنعنا فى حياتنا كمسلمين مؤمنين .

ويضم هذا الكتاب إن شاء الله أحسن القصص التى نزل بها القرآن العظيم على لسان النبى الكريم محمد ﷺ بشرح مبسط وأسلوب سهل ، عسى أن ينتفع بها النشء من المسلمين فيفهمونها .

ولا أنسى فضل العلماء السابقين الذين فسروا وشرحوا لنا ، وعلمونا كتاب الله الكريم ، رضى الله عنهم أجمعين وأرضاهم .

قال الله سبحانه وتعالى فى نهاية سورة يوسف : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم .  
والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .



المؤلف

٢٠ صفر ١٤٢٦ هجرية الموافق ٣٠ مارس ٢٠٠٥



جلس الجدّ في غرفته يقرأ في القرآن ، حينما دخل عليه أحفاده ، فصدق الشيخ بالله العظيم ثم أغلق مصحفه ورحّب بأحفاده . جلسوا حوله وبید كل منهم مصحفه ، يضمّه إلى صدره ، حبّا وتقديسًا لكتاب الله العظيم .

**قال الجد مخاطبًا أحفاده :** سوف نبدأ من الآن إن شاء الله في قراءة بعض الآيات ، ثم أقص عليكم القصة والمغزى من ورائها . تعلمون أن الله عزّ وجلّ عندما أنزل كتابه العزيز على سيدنا محمد ﷺ ، أورد فيه العديد من القصص لتكون عبرة لكل مسلم يتعلّم منها ، وفيها ضرب الله لنا سبحانه وتعالى الأمثلة لتكون دائما أمام أنظارنا ، نعمل في حياتنا بهدى القرآن العظيم ، وبسنة رسول الله ﷺ .

**سكت الجد قليلا ، ثم قال لأحفاده :** سوف نبدأ بالقصص التي أوردها القرآن في سورة البقرة إن شاء الله ، وهي أحسن القصص كما قال عنها الله سبحانه وتعالى .

**أشار الشيخ إلى حفيده الأكبر ، وقال له :** اقرأ لنا يا بُنىّ في سورة البقرة من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٤ .

استعاذ الحفيد بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ \* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ صدق الله العظيم .



**قال الجد لحفيده :** أحسنت يا بُنى . حفظكم الله ورعاكم . وأبدأ فى سرد قصة جعل الله آدم خليفة فى الأرض .

**سكت الجد لحظة ثم قال لأحفاده :** قبل أن نبدأ فى سرد أحسن القصص ، أحب أن أشرح لكم أن سورة البقرة هى أطول سور القرآن الكريم ، وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فيها العديد من القصص . بدأها الله عزّ وجلّ بتوضيح أن القرآن الكريم هو الهدى لعباد الله المتّقين . وحدّد سبحانه وتعالى من هم المتّقون . أولى صفاتهم محافظتهم على صلواتهم ، وخشوعهم فى تأديتها .

**ثم قال الجد :** ولا تنسوا أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الكرسي فى هذه السورة الكريمة التى يتبارك بها كل مسلم ، فهى الأمان لكل من يقرأها عند الخوف ، وهى الشفاء عند المرض ، وهى البركة فى الأزمات التى يمر بها الإنسان . احرصوا دائما على قراءتها . أما نهايات سورة البقرة ففيها دستور المسلم . الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل رسله ، لا نفرّق بينهم ، والإيمان بالملائكة الذين هم عباد الرحمن ، والإيمان بالكتب التى أنزلها الله على رسله . هذا هو ما يجعل المسلم يختلف عن غيره من أصحاب الديانات الأخرى . نحن المسلمين نؤمن بكل الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله لعباده منذ خلق الأرض ، وخاتمهم محمد ﷺ . ونؤمن بكل الكتب التى أنزلها الله : التوراة و الإنجيل وقرآننا العظيم ، ونؤمن أيضا بما أنزل على الرسل ، ما نعرفه وما لا نعرفه ، ما أخبرنا عنها ربنا وما لم يخبرنا به سبحانه وتعالى .

**انتظر الجد لحظات ثم قال :** لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن قراءة سورة البقرة فى بيوتنا تجعل الشياطين تهرب من أى مكان تُقرأ فيه . احرصوا يا أولادى على قراءتها دائما . هذه هى وصيتى لكم .

**نظر الجد إلى أحفاده وقال :** والآن نبدأ فى سرد أول قصة من قصص سورة البقرة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عزّ وجلّ للملائكة أنه جاعل فى الأرض خليفة ، فتساءل الملائكة عن حكمة الله فى خلق جديد يبقى فى الأرض . لم يعترض الملائكة على حكم الله سبحانه وتعالى . كان تسأؤلهم يدور حول الحكمة الإلهية فى خلق جديد من حمأ مسنون ، فىهم من سيسفك الدماء ومنهم من يفسد فى الأرض . كان الملائكة يستفسرون عن ذلك من الله سبحانه وتعالى . وما كان للملائكة أن تسأل المولى عزّ وجلّ ، إلا إذا أذن لهم ربّهم . قال الملائكة لربّهم سبحانه أنهم يُسبّحون بحمد الله ويقدّسون لربّهم بالصلاة ، ولا يصدر عنهم أىّ فسادٍ أو سفكٍ للدماء .

قال الله لهم : إننى أعلم ما لا تعلمون .

سكت الملائكة عند ذلك ، لكنهم كانوا يتساءلون فى سريرتهم عن السبب فى ذلك الخلق الجديد ، وهم الذين تصوّروا أن الله خلقهم وجعلهم أكثر المخلوقات علمًا ، وهم فى مكانهم بالسما . يذكر الملائكة ما قام به الجنّ من إفساد فى الأرض وكيف أن الله عزّ وجلّ سلّط ملائكته على الجنّ فطردوهم من الأرض مند زمن بعيد . كان الجنّ يعيشون قبل خلق آدم بآلاف السنين وكان إبليس من بين هؤلاء الجنّ الذين أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء . وعندما أرسل الله الملائكة لطرد الجنّ من الأرض أسرّ الملائكة عددًا من قادة الجنّ وكان إبليسُ أحدهم . أخذوهم إلى السما فبدأ إبليس فى التعبّد إلى الله كالملائكة ، حتى صار من أكثر الجنّ علما وعبادة ، وكان من أولى الأجنحة الأربعة قبل أن يمسحه الله شيطانًا رچيمًا .

\*\*\*\*\*

خلق الله سبحانه وتعالى آدم ، وعلّمه الأسماء كلها ، فاستطاع الإنسان بقدرة الله تعالى أن يتسع عقله لمعرفة الأسماء والأشياء ، وهى المقدرة التى أودعها الله فى عقل الإنسان . فتبارك الله أحسن الخالقين . جاء الله سبحانه وتعالى بالملائكة ، وعرض عليهم الأشياء وسألهم أن ينبئوه بأسمائها .

لم يعرف الملائكة الأسماء وقالوا لربهم : سبحانك يا رب . لا علم لنا إلا ما علّمتنا ، إنك أنت العليم الخبير .

فأمر الله آدم ﷺ أن يخبرهم بأسماء تلك الأشياء ، فذكر آدم الأسماء كلها .

قال الله : ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون ؟

عرف الملائكة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق خلقاً جديداً أكثر منهم علماً ومعرفةً بعدما ذكر آدم الأسماء التى علّمها له الله عزّ وجلّ . أراد الله أن يُفهم الملائكة أنه بقدرته وحده يعرف ما تُخفى صدور مخلوقاته وإن لم يتحدثوا بها .

يخبرنا الله عزّ وجلّ فى هذه القصة الكريمة بأن على المخلوق ألا يتكبر أبداً ، أو يعتقد أنه بلغ من العلم والمعرفة درجة لم يصل إليها مخلوق آخر مهما كانت درجة علمه أو خبرته ، أو مدى ما يفكر فيه من الصلة التى تربطه بالله العظيم جلّ وعلا عن طريق عبادته لربه .

\*\*\*\*\*

أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ﷺ فسجد الملائكة تحيةً وسلاماً ، بعد تأكدهم أن الله خلق الإنسان وزوده بالعلم والمعرفة . عرفوا أن الله عزّ وجلّ فضل الإنسان عن بقية خلقه . وعرف الملائكة أن علمهم لا يتعدى الحد الذى قدره الله سبحانه وتعالى لهم . تكبر إبليس ورفض السجود لآدم . تصور إبليس أن عبادته لله واجتهاده فى تلك العبادة تجعله خيراً من أى مخلوق آخر ، وهو الذى جعله الله خازناً على الجنان ، ومنحه الله سلطاناً على السماء الدنيا وكان له سلطان على الأرض أيضاً . وقف إبليس أمام ربه يقارن بين خلقه هو من النار وبين خلق آدم من الطين . استكبر عدو الله أن يسجد لآدم ، فاقضى ذلك طرده وإبعاده عن رحمة الله سبحانه وتعالى ، فكان من الكافرين .

على الرغم من تحذير الله الخالق العظيم لآدم وحواء من إغواء الشيطان الرجيم ومن الوسوسة لهما بعدم إطاعة الله إلا أن آدم وحواء نسيا تحذير الخالق لهما ، فأطاعا الشيطان الذي تسلل إليهما ، فجاء أمر الله إلى آدم وحواء بالخروج من الجنة . كان عيش آدم على الأرض هو ما قدره الله سبحانه وتعالى من قبل خلقه ، عندما أخبر الله ملائكته بأنه سوف يخلق بشراً ويجعله خليفة في الأرض ، وفي هذا الأمر إثبات بأن الله عز وجل يُقدر الأمر قبل وقوعه ، فهو العليم وحده ، يعلم ما لا يعلمه خلق الله . هي صفة من صفات الخالق وحده ، جلّ شأنه . عفا الله عن آدم وحواء ، لكنه سبحانه أمر بخروجهما من الجنة والبقاء في الأرض ؛ ليجدا فيها المستقر إلى حين . خرجا من دار النعيم إلى دار الشقاء جزاء استجابتهما لوسوسة الشيطان . أمر الله آدم أن يبنى بيتاً لله ويطوف به كما تطوف الملائكة بعرش الله ، وأرسل الله لآدم ملكاً ليدله على المكان الذي عينه الله لذلك البيت الكريم ، وعلمه الملكُ مناسكه .

بعث الله سبحانه وتعالى بسيدنا جبريل عليه السلام إلى آدم عليه السلام فعلمه هو وحواء كيف يكون الغزل ثم النسج ، وعلم آدم الزراعة ، فزرع وحصد وطحن وخبز ، فأكل آدم وحواء بعد جهد عظيم .

بدأ الخليفة وزوجه حياتهما على الأرض عملاً وشقاءً ، جهداً وعرقاً . يتعلمان كيف يوفقا حياتهما مع الصعوبات التي وجدا نفسيهما فيها ، لكن رحمة الله وعطفه كانت ترعاهما دائماً ، فهما اللذان بدءا رسالة البشرية على الأرض ، هما خلق البارئ الأول ، فكان آدم عليه السلام هو الخليفة في الأرض كما قدر الله سبحانه وتعالى .



دخل الأحفاد غرفة جدّهم ، يحمل كل منهم مصحفه . قعدوا فى نصف دائرة حول الشيخ يقرأونه السلام ، ويقبلون يده حباً واحتراماً له . والجدّ يحنو على الصغار بالمسح على رؤوسهم والدعاء لهم .

قال الجدّ لهم : قصة اليوم عن البقرة ، التى سمّى الله هذه السورة باسمها ؛ لما فى القصة من عبر وعظات . لقد حكيت لكم ملخص القصة عندما حكيت لكم قصة موسى عليه السلام . لكن للقصة جوانب عديدة يجب أن تعرفوها ، ففيها الكثير من المواقف التى تحتاج من كل إنسان أن يفكر فيها ، لا أن يعرفها وحسب ، بل يجب أن نستوعب ما بين سطور القصة من جوانب تهم حياتنا كبشر ، ونتعلم منها كيف يمكن للإنسان أن يكون سويّاً طائعاً لأمر الله عزّ وجلّ ، مؤمناً بأن كل شيء فى هذه الحياة لا يتم إلاّ بأمر الله وتقديره للأمور التى لا نحسب نحن البشر ولا نستطيع حسابها . الله هو المطلّع على ما فى القلوب . يعطى الخير لمن يستحقّه ، ويسلبه ممن يشاء ، فكل شيء عند الله بمقدار ، جلّ جلاله وعظم شأنه ربّ العزّة .

نظرا لجدّ إلى أحفاده وأشار إلى أحدهم وقال له : اقرأ يا بُنىّ فى سورة البقرة من الآية ٦٧ إلى الآية ٧٣ .

فتح الفتى القرآن الكريم وقرأ بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ \* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا

الآن جئت بالحق فذبّحوها وما كادوا يفعلون \* وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون \* فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ﴿ صدق الله العظيم .

قال الجذّ الحفيده: أحسنت يا بُنى. فتح الله عليك بالخير. إليكم القصة ، وهى طويلة فتحلّوا بالصبر .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، استمرّ غضب الله على اليهود فبقوا بالصحراء بعد خروجهم من مصر أربعين سنة ، لا يعرفون كيف يخرجون منها عقاباً من الله على كفرهم وجحودهم ، لكن الله عزّ وجلّ أنعم عليهم إكراماً لرسوله موسى عليه السلام بالمن والسلوى ليأكلوا ، وسخر الله بعزّته لموسى عليه السلام معجزة تفجّر الأرض باثنتى عشرة عينا من الماء الصافى ليشرب منها بنو إسرائيل . كل سبط من أسباطهم له عين يشرب منها حتى لا يتنازعوا ، فالله سبحانه وتعالى أدرى بخلقهم من اليهود وحبّهم الشديد لأنفسهم وشراسة أخلاقهم فيما بين بعضهم البعض ، وبينهم وبين الآخرين .

بدأ النزاع يدبّ بين اليهود وكثير الشرّ بينهم ، فاعتدوا على بعضهم البعض . قرر أحد شيوخ فرع من اليهود أن يتعدى عن باقى الناس ، فأخذ قومه بعيداً عنهم ، وبنوا حصناً لهم وأحاطوه بالأسوار . كان للحصن باب كبير ، يقوم شيخ القوم بإغلاقه بنفسه عند الغروب بعد التأكد من دخول كل القبيلة إلى الحصن ، ثم يفتح الشيخ الباب عند الصباح ليخرج الناس إلى حقولهم أو تجارتهم ، على أن يعودوا إلى الحصن قبل الغروب .

جاء قوم آخرون من بنى إسرائيل فبنوا منازلهم على مقربة من الحصن فأصبحت المنازل كالمدينة الصغيرة . عاش فى تلك المدينة رجل شيخ كبير فى السنّ ، كثير المال يمتلك المواشى والمنازل ، أعطاه الله المال بوفرة ، لكن الله بعزّته لم يعطه الولد ، فكان وحيداً بعد موت زوجته . كان لذلك الشيخ

أبناء أخ ، يطمعون فى أن يرثوا عمهم عندما يموت ، لكن الأعمار بيد الله وحده ، فطال عمر الرجل وازداد ماله و ثراؤه زيادة كبيرة ، فازداد حقد أبناء أخيه على استمرار وجود عمهم على قيد الحياة ، ينعم وحده بالمال والتنعم به .

\*\*\*\*\*

وجد الشيطان فى صدور أبناء الأخ مكانا فسيحا للدخول منه إليهم ، فوسوس لهم أنه بموت العم سيرثون المال والعزّ والجاه . اختمرت الفكرة فى رأس أحدهم ، فوسوس له الشيطان بأن يقتل عمه ثم يلقي بجثته أمام الحصن القريب منهم ، فيتهم الناس أهل الحصن بقتله ، ويأخذون هم دية القتل . قام ابن أخ الشيخ الغنى فتسلل إلى بيت عمه ليلا . لم تأخذه الرأفة ولا الشفقة بعمّه العجوز الضعيف ، بل ملأ الحقد قلبه وصدره الملىء بوسوسة الشيطان ، فقتله . انتظر القاتل حتى جنّ الليل ، فحمل القاتل جثة عمّه ، وسار متسللا حتى اقترب من أسوار الحصن فرمى بجثة عمّه ، وعاد مسرعا إلى بيته ، وكأنه لم يرتكب جرما شنيعا بقتل نفس بدون وجه حق .

جاء الصباح وفتح شيخ الحصن أبوابه فرأى الجثة الملقاة بجوار السور ، فنادى الشيخ أهله ، الذين سارعوا إليه يلبون النداء . جاءوا بجثة القاتل وعرفوه ، فقد كان القاتل معروفا بغناه وطيبته وعطفه على الفقراء . بلغ الأمر أهل القاتل ، فجزوا سريعا ليعرفوا الخبر . كان القاتل هو أسرع الناس عدواً ، فوجد عمّه القاتل غارقا فى دمائه والناس حوله فبكى وشدّ فى شعر رأسه ، وشقّ ملابسه علامة الحزن عند اليهود ، يصرخ فى الناس .

**يقول :** قتلوا عمى دون رحمة رغم كبر سنّه ، لم يحترموا شيبته .

وأخذ القاتل يشير إلى أهل الحصن يتهمهم بأنهم هم الذين قتلوا عمّه . والناس من أهل الحصن يقسمون بالله أنهم لم يروا القاتل ولا هم الذين قتلوه . والقاتل يزداد بكاءً وصراخاً ، يدعى الحزن والأسى على مقتل عمّه



دون ذنب أو جريرة .

\*\*\*\*\*

سأل موسى عليه السلام عن الخبر فقال له القاتل : لقد قتلوا عمي الشيخ يا نبي الله .  
وجدنا جثته أمام أسوار الحصن . لقد قتلوه .

سأل موسى عليه السلام شيخ الحصن عن الأمر وهل قتلوه ؟  
فقال له الشيخ : نقسم بالله يا نبي الله ما قتلناه . ولا نعلم له قاتلا . وجدنا  
القتيل أمام الحصن صباحا .

قال له موسى عليه السلام : تعرفون الحكم على من نجد قتيلًا بجوار مساكنهم .  
قال الشيخ والأسى يملؤه : نعرف يا نبي الله . إن كان الأمر هو دية القتل فإننا  
ندفعها راضين ، لكن الأمر الذي نخشاه هو أن يعيرنا الناس مدى الحياة بأننا  
قتلنا شخصا بغير حق . أقسم بالله أننا لم نقتله .

احتار موسى عليه السلام في الأمر ، يفكر ماذا يقول للناس ؟  
قال له شيخ الحصن : يا موسى ، إنك نبي من عند الله . لماذا لا تسأل الله  
عمن قتل ذلك الرجل ؟

قام موسى عليه السلام فتوضأ ثم صلى ركعتين لله وسأل ربه تعالى ، فأوحى  
له الله بعزته أن يقول للناس أن الله يأمرهم بذبح بقرة . تعجب القوم من رد  
موسى عليه السلام ، فهم قوم تعودوا أن لا يطيعوا رسولهم في كثير من الأمور  
التي يطلبها الله منهم .

قال أهل القتل لموسى : هل تهزأ بنا يا موسى ؟ نقول لك : اسأل ربك عما  
قتل عمنا ، فتقول لنا : اذبحوا بقرة ؟!

قال موسى عليه السلام للقوم : أعوذ بالله العظيم أن أهزأ بأحد . إنه أمر من الله  
أطيعه وعليكم بالطاعة لما يأمر به الله . اذبحوا بقرة كما أمركم الله ربكم .

لف الصمت الواقفين حول نبيهم يتشاورون بصوت خافت ؛ لأن

اليهودى يفكر كثيرا قبل أن يدفع أى مال ، فظل أهل القتل يتشاورون فيما بينهم من الذى سوف يدفع ثمن البقرة ؟

قال القاتل موسى عليه السلام : يا موسى ، ادع لنا ربك ليبيّن لنا أى نوع من البقر يريد أن نذبحها ؟

ابتعد موسى عن الناس ، وسأل ربّه بماذا يجيب هؤلاء القوم الذين اعتادوا عصيان أوامر الله ؟ فأوحى له بما يقوله للناس .

قال موسى عليه السلام : إن الله عزّ وجلّ يقول : إن البقرة يجب ألا تكون عجوزاً هرمة ، ولا صغيرة فى السنّ لم تلد بعد . إنها فى أواسط العمر بين هذا وذاك . افعلوا ما يأمركم به الله يا أيها القوم .

حاول اليهود أن يجعلوا موسى عليه السلام يغيّر ما أمر الله بأن يذبحوا بقرة تكلفهم مالا .

فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لون البقرة ؟ ففى البقر ألوان كثيرة .

فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله وكليمه موسى أن يقول لهم ولم ينفذ صبره منهم : إن الله يخبركم بأن البقرة لونها أصفر يعجب كل من ينظر إليها . لونها صافٍ حتى يخيل للإنسان أنها بيضاء من شدة صفاء لونها .

لم يمثل اليهود لأمر الله . حاولوا المماطلة فى ذبح البقرة ، فقد يئأس نبيّهم ويغيّر ما طلبه منهم .

قالوا موسى عليه السلام : يا نبيّ الله ، ادع لنا الله أن يبيّن لنا ما هى تلك البقرة فإن البقر متشابه علينا ، ولا نعرف كيف نجدّها . صفها لنا وإن شاء الله سننفذ ما يطلبه الله منّا .

قال لهم نبيّهم موسى عليه السلام : إن الله يقول : إنها بقرة لم يذلّها صاحبها للعمل . يتركها ترعى . لا تعمل فى حرث حقل ولا فى سقيه بالماء . ويقول الله لكم : إن البقرة خالية من كل العيوب .

سكت اليهود وقرّروا البحث عن البقرة التى طلبها الله عزّ وجلّ منهم عن طريق نبيّهم . شدّد اليهود على أنفسهم ، فشددّ الله عليهم . يقول رسول الله ﷺ : « إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شدّدوا فشددّ الله عليهم . وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد » .

يشرح لنا رسول الله ﷺ أن الله أمرهم بأن يذبحوا بقرة عادية يمكن شراؤها بثمن قليل . لكن اليهود بطبائعهم فى المماطلة تمادوا فى عنادهم فصعبّ الله عليهم الأمر . ويقسم رسول الله أنه إذا لم يقل اليهود : إن شاء الله ، لظل الله سبحانه وتعالى يصعبّ لهم أمر البقرة حتى نهاية الأجل .

\*\*\*\*\*

عاش شيخ صالح فى مدينة قريبة من تلك التى قتل الفتى عمّه فيها ، وله ابن واحد يرعاه . شديد الحب لأبيه ، بارٌّ به طائعٌ لأوامره . ينام الشيخ فى خيمته فيبقى الابن خارجها جالسا ينتظر أوامر أبيه ليلبّيها له . ودائما فإن البقرة التى يمتلكها تقف بجوار الفتى خارج الخيمة ، يشربان من لبنها كل يوم فيشكران ربهما على نعمته . مرّ رجل أمام الخيمة وأخرج من جيبه ربطة فتحها فإذا بها عدد من حبّات اللؤلؤ .

وقال له الرجل : هل تشتري هذا اللؤلؤ ؟ أبيعه لك بثلاثمائة رغم أنه يساوى ستمائة .

فقال الابن : إن أبى نائم الآن ولا أريد إزعاجه فى نومه . مرّ بى بعد ساعة فأشترىه منك .

ظل البائع ينقص فى الثمن ليغرى الابن على الشراء ، والابن يرفض لئلا يوقظ أباه من نومه فمشى البائع غاضباً وترك الابن فى قعدته ينتظر قيام أبيه من نومه .

قال الابن يحدث ذاته بعد أن مشى باللؤلؤ غاضباً : عسى الله أن يرزقنى خيراً من عنده . فالله يرزق من يشاء بغير حساب .

ولم يكن الابن التقى يدرى أن أبواب السماء كانت مفتوحة على مصراعيها لتلقى دعائه فى تلك الساعة ، وأن الله العزيز القدير يسمع كلام الابن البار بأبيه الذى رفض المكسب الوفير من أجل لحظة واحدة ينام فيها أبوه الشيخ .

\*\*\*\*\*

افترق أهل القتل كل واحد يبحث عن البقرة بالأوصاف التى حددها الله لهم على لسان موسى عليه السلام . لم يجدوا فى مدينتهم واحدة بتلك الأوصاف ، ففرّقوا فى القرى المجاورة يمسكون بالبقرة ويفحصونها إن كان لونها أصفر فلا يجدونها ببقية الأوصاف المحددة . توجه أحد أسرة القتل إلى قرية الرجل الشيخ وابنه البار ورأى البقرة ترعى . صفراء فاقع لونها ، فظل يدور حولها يتفحصها . سأل الابن عما يريد ذلك الرجل الغريب ، فتساءل عن مالکها ، وعرف أنه الفتى الذى يحدثه .

مشى الرجل مسرعا إلى أهله يصرخ فرحا ويقول أنه وجد البقرة المطلوبة . تجمع الناس حوله فشرح لهم مكان البقرة وأوصافها التى تطابق ما طلبه منهم نبيهم موسى عليه السلام . سار الجميع وهم يسرعون الخطى إلى بيت الابن البار ، فوجدوه جالسا بجوار الخيمة وبقرته ترعى فى العشب القليل . قال له شيخ القوم أنهم يريدون شراء البقرة ، يسأله عن ثمنها .

قال الابن : لا أبيعها أبدا . إننا نشرب لبنها أبى وأنا .

قال له كبير أهل القتل : نأخذها ونعطيك بقرتين بدلا عنها .

قال الابن البار : أبدا ، لقد تعود أبى على لبنها .

حاول القوم إقناع الفتى أن كل اللبن له طعم واحد ، فكان يأبى أن يبيع البقرة . عرضوا عليه أن يشتروها بوزنها ذهباً ، فرفض . طلبوا منه أن يذهب معهم إلى نبيهم موسى ليحكم فى الأمر . مشى الجميع إلى موسى عليه السلام وعرضوا عليه الأمر .

قال شيخ أهل القتل لموسى : يا نبي الله ، لقد وجدنا البقرة عند هذا الفتى ورفض أن يعطينا إياها . عرضنا عليه أن يبيعها بوزنها ذهباً فرفض .

قال موسى عليه السلام : أعطهم بقرتك يا رجل .

قال الابن البار لنبي الله موسى : يا رسول الله ، أنا أحق بمالي .

فقال موسى عليه السلام للقوم : صدق الفتى . أرضوا صاحبكم .

ظل القوم يزيدون الابن البار في ثمن البقرة ، فزادوا في وزن البقرة ذهباً إلى الضعف فرفض ، فزادوا حتى بلغ عشرة أضعاف وزنها .

قال له شيخ القوم : هل تقبل وزن البقرة عشر مرّات ذهباً ؟

سكت الفتى ، فالثمن مغرٍ يستطيع أن يشتري به قطعاً من البقر ، فقبل الثمن . حصل الابن البار على الذهب الوفير وأعطى القوم بقرته . نال الابن البار كنزاً لم يكن يفكر أبداً فيه ، لكن الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب .

\*\*\*\*\*

أخذ القوم البقرة وساروا بها حتى ديارهم .

فنادوا موسى عليه السلام وقالوا له : ها هي البقرة بالصفات التي طلبتها منا . ماذا نفعل بها الآن ؟ وقد دفعنا ثمنها لها عشر أمثال وزنها ذهباً .

قال موسى عليه السلام : اذبحوها كما أمر الله .

قيّد الناس البقرة ثم ذبحوها وقلوبهم تعتصر حزناً وألماً على ما دفعوه فيها من ذهب . كان أشدهم حزناً وخوفاً في داخله القاتل الذي كان يحاول محاورة موسى عليه السلام ، لعله يرجع في الأمر . كان خوفه شديداً خشية أن يتعرّف موسى عليه السلام على القاتل الحقيقي ، فهو أدري بما ارتكبه من إثم بقتل عمّه دون سبب سوى الجشع والطمع في أمواله . وقف الناس حول البقرة بعد ذبحها ، يسألون رسولهم ما الذي يفعلونه ؟ فأوحى الله إلى موسى عليه السلام .

فقال لهم : خذوا عظمة من البقرة ، واضربوا بها القتيل .

أخذ القوم عظمة من فخذ البقرة وضربوا بها القتيل المسجى أمامهم ، فقام واقفا أمامهم . أحياء الله سبحانه وتعالى مرة أخرى أمام أعين الناس ، عسى أن يزداد إيمانهم بخالقهم وقدرته عز وجل على إحياء الموتى آية أخرى ليهود بنى إسرائيل .

سأل موسى القتيل الذى أحياه الله : من قتلك يا رجل ؟

فأشار القتيل الذى أحياه الله إلى ابن أخيه الذى قتله .

وقال : قتلنى ابن أخى هذا .

سقط القتيل مرة أخرى ميتاً . وأحاطت نظرات القوم بالفتى القاتل الذى اصفرَّ وجهه خوفا ورعباً من الناس حوله . جرى يحاول الهروب من انتقام الناس منه ، لكنهم أمسكوه وقيدوه وحكموا عليه بالموت جزاء فعلته . لم ينل عمراً يعيش به غنياً ، ولا مالا يتمتع به .

\*\*\*\*\*



(٣)

**الله عدو للكافرين**

التفّ الأحفاد جلوسا حول جدّهم ، ومع كل منهم مصحفه يستعد لفتحه على الآيات التي يحددها لهم الجدّ ، ثم يقصّ عليهم قصة الآيات الكريمات وحكمة إنزالها على رسول الله ﷺ .

**قال الشيخ لهم :** قصة اليوم أيضا عن اليهود في المدينة ومعاداتهم لرسول الله ﷺ . كان اليهود يؤمنون بأن النبيّ الذي سوف يبعثه الله عزّ وجلّ سوف يكون من أصل يهودى . فلما كان اختيار الخالق العظيم لرسول الله من العرب وليس من اليهود حزن اليهود وقرّروا معاداة رسول الله ﷺ . وازدادت عداوة اليهود لرسول الله عندما أعلن الحصين بن سلام كبير أخبار يهود قبيلة بنى قينقاع اليهودية في المدينة إسلامه . وكان الحصين بن سلام قد ذهب إلى رسول الله وأعلن إسلامه أمامه .

**وقال له :** يا رسول الله ، إن اليهود قوم كفر ونفاق . وإنى أحب أن تخفينى عنهم ، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى .

**ابتسم الجدّ وقال لأحفاده :** أدخل رسول الله ﷺ الحصين إلى إحدى الغرف عندما حضر أخبار يهود بنى قينقاع إلى رسول الله ﷺ .

**سألهم النبيّ ﷺ :** « أى رجل فيكم الحصين بن سلام ؟ » .

**قالوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام :** إنه سيدنا وابن سيدنا ، وعالمنا وكبير أخبارنا .

**فخرج عليهم الحصين بن سلام وقال لهم :** يا معشر اليهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته . وإنى لأشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه .



قالت اليهود : كذبت ، إنك لست بسيدنا وابن سيدنا . ولا عالمنا ولا كبير أبحارنا .

قال الحصين بن سلام بعد سماعه قول أبحار اليهود : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت وأهل غدر وكذب وفجور ؟

قال الجد مبتسماً : أسلم الحصين ، فأسماه رسول الله ﷺ : عبد الله بن سلام .

نظر الجد إلى أحفاده ، ثم أشار إلى أحدهم .

وقال له : اقرأ يا ولدي الآيات من ٩٧ إلى ١٠٠ من سورة البقرة لأحدثكم عما جرى بين سيدنا محمد ﷺ وبين وفد أبحار اليهود .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، فتلا :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ \* مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ \* أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الجد مخاطباً حفيده : أحسنت يا ولدي ، أقص عليكم إن شاء الله ما حدث .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، ذهبت جماعة من أبحار اليهود في المدينة إلى النبي ﷺ .

وقالوا له : يا أبا القاسم ، حدثنا عن أشياء نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي .

طلب منهم رسول الله ﷺ أن يسألوه ، لكنه أخذ عليهم العهد بأنه إذا أجابهم عما يسألونه ، يؤمنون به ويدخلون في الإسلام فوعده بذلك .

قال اليهود : أخبرنا عن أربعة أشياء نسألك عنهن :

\* أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تُنزل التوراة ؟  
\* أخبرنا عن علامة النبي .

\* أخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟  
\* أخبرنا بهذا النبي الأُمي في التوراة ومن وليه من الملائكة ؟

فقال لهم النبي ﷺ : « هل تعلمون أن يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه ، فنذر لله لئن عافاه الله من مرضه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه . وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها .

قال اليهود : اللهم نعم .

قال رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد عليهم . هل تعلمون أن علامة النبي أن تنام عينيه ولا ينام قلبه ؟ » .

قال اليهود : اللهم نعم .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد عليهم . ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله . فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله . وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله سبحانه وتعالى » .

قال اليهود : اللهم نعم .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهم فاشهد عليهم » .

قال أخبار اليهود للنبي ﷺ : حدثنا الآن من هو وليك من الملائكة ، فعندها نتبعك أو نفارقك .

قال رسول الله ﷺ : « إن وليي هو جبريل ، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه » .

قالت اليهود المجتمعة حول رسول الله ﷺ : اللهم نعم ، لكنه عدو لنا ، هو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء ، وإنك لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والخير لا تتبعناك . ولهذا فإننا نفارقك ولا نتبعك يا محمد .

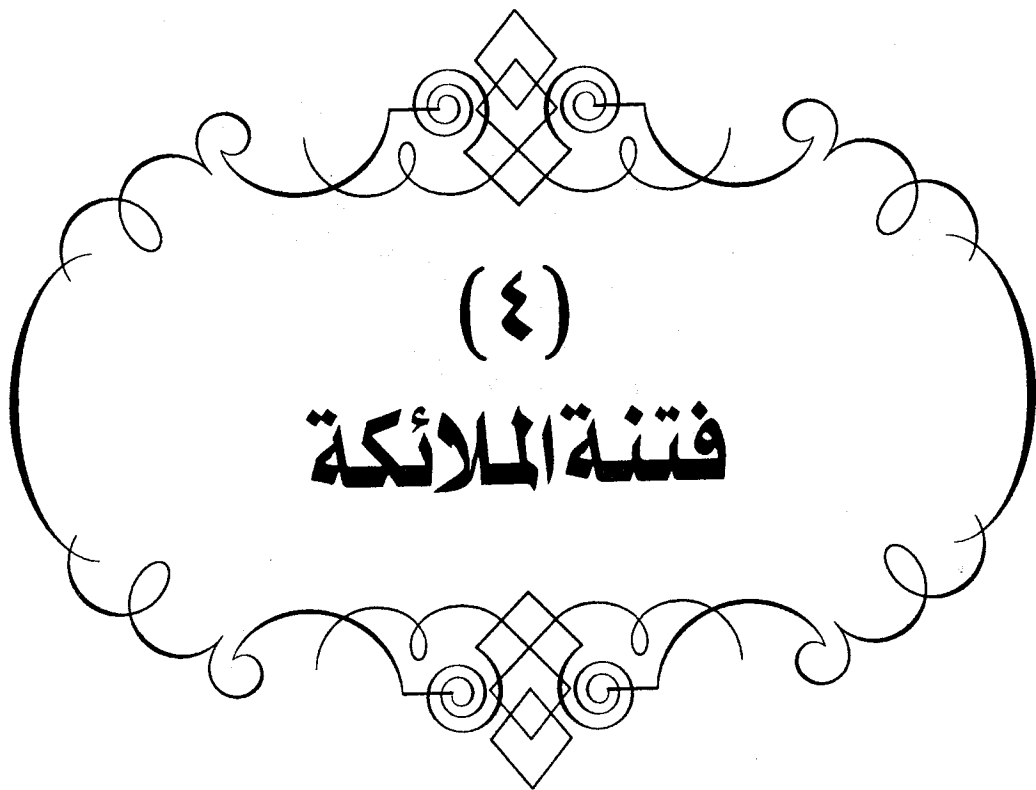
اتخذ اليهود من جبريل عليه السلام عدوًّا لهم ، فبين لهم الله سبحانه وتعالى أن من يعادى الله سبحانه وتعالى أو الملائكة أو الرسل عليهم السلام أجمعين فإن الله بعزته سوف يعتبره من الكافرين وأنه سوف يصبح عدوًّا لله عز وجل . أمرنا الخالق العظيم بأن نؤمن بكل الرسل ولا نفرق بين أحد منهم أبدًا ، وإلاّ أصبحنا كاليهود الذين لا يتبعون ما أمر به خالقنا وربنا عز وجل .

إن جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام هم ثلاثة من الملائكة لهم مكانة خاصة عند ربهم سبحانه وتعالى . يرسل جبريل عليه السلام رسولا بالهدى من عند الله ، إلى من يختاره رب العزة من البشر ليكون نبيًّا أو رسولا نبيًّا .

ويرسل ميكائيل عليه السلام رسولا من عند الله بالرزق إلى العباد ، ويوكل إلى إسرافيل عليه السلام أمر النفخ فى الصور للبعث يوم القيامة إن شاء الله .

وكما يختار الله رسلا من البشر فإنه بعزته يختار أيضا رسلا من الملائكة . وعلى المؤمن أن لا يفرق بين أحد منهم بل لا بد له أن يؤمن بهم كلهم عليهم السلام ، فمن كفر بأحدهم وكأنه يكفر بهم جميعا ؛ لأنه خرج بذلك عن طاعة الله سبحانه ، فأصبح من الكافرين والعياذ بالله .

أنزل الله تلك الآيات الكريمات ليبين للمسلمين كيف يتلاعب اليهود بآيات الله ، فيخفون بعض الحقائق وهم يعلمونها علم اليقين ، وكيف أنهم ينقضون العهود . عرفوا من التوراة اسم محمد وصفاته ، سألوه فأجابهم بما لا يعرفه سوى الأنبياء والرسل ، ولكنهم لم يتبعوه كما أمرهم الله سبحانه وتعالى ، بل بيتوا له العدا والكرهية واتبعوا كل وسيلة للتخلص من رسول الله ﷺ وسحروا له . يتصورون أنهم سوف يقضون على الدين القيم الذى أنزل على محمد ﷺ ، ونسوا أن الله سبحانه يحفظ رسوله ويحفظ دين الإسلام الحنيف .



جلس الجدّ وسط أحفاده كعادتهم كل مساء ، ومع كل منهم مصحفه الشريف ، يستعدون للقراءة فى الآيات التى يحددها لهم جدّهم والتى تتضمن إحدى أحسن القصص من القرآن الكريم .

**قال الجدّ لأحفاده :** نتابع اليوم القراءة فى سورة البقرة المجيدة . سوف أحكى اليوم قصة الملكين اللذين نزلا إلى الأرض بأمر ربّهما فى صورة الإنسان ليعاينا كيف يعيش البشر . اقرأ يا بُنىّ فى سورة البقرة من الآيات ١٠١ إلى ١٠٣ ، وأشار إلى أحد الأحفاد ليقرأ .

فتح الفتى المصحف واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ \* وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجدّ :** أحسنت يا ولدى ، بداية الآيات الكريمات موجهة إلى اليهود الذين لم يؤمنوا بمحمد رسول الله ﷺ رغم أن ما جاء به من القرآن الكريم تأكيد لما معهم فى التوراة . عندما نزل القرآن الكريم وقرأ سيدنا رسول الله ﷺ آيات فيها نبوة سليمان عليه السلام قال اليهود: إن محمداً يدعى أن سليمان كان نبياً ، وإنما هو ساحر ولا يعترف اليهود بنبوته ، فأكد الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أن سليمان عليه السلام ما كان كافراً أو ساحراً ، وإنما

السحر والكفر كانا للشياطين ومن يتعاون معهم من البشر .

انتظر الجدل للحظات ثم قال : لن نسبق الأحداث يا أولادى . سوف أقص عليكم إن شاء الله قصة سليمان عليه السلام مع الجنّ وما جرى له من أحداث وكيف كان الله عزّ وجلّ يكافئه على إيمانه عندما يحين الوقت إن شاء الله ، والآن إليكم قصة الملكين وفتنتهم .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عندما عمرت الأرض بنسل نوح عليه السلام ، وانتشر البشر فى الأرض ، فازداد عدد الظالمين والكافرين والمفسدين بين البشر ، قال الملائكة : لقد أفسد الإنسان الأرض .

ناداهم الله سبحانه وتعالى وأخبرهم أنهم لا يعرفون أن الله ابتلى البشر بالشهوات التى لم يتبل بها الملائكة ، وأن الملائكة لو أنزلوا إلى الأرض كال بشر لصاروا مثلهم .

قال الملائكة : إننا لو أنزلنا إلى الأرض لحكمنا بالعدل وما أفسدنا فيها قط . أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يختاروا ملكين من أكثرهم صلاحا وتقوى ، فاختاروا هاروت وماروت . قرر الله بعزته أن يبعثهما إلى الأرض ، ليرى الملائكة عملهما وهما على الأرض وسط البشر .

أنزل الله بعزته الملكين هاروت وماروت فى أرض بابل ، فحكما بين الناس بالعدل . يعبدان الله عبادة الملائكة ، يسبحان بحمد ربهم فى كل وقت . لم يحرمهما الله من نعمة الملائكية التى خلّقا بها . كانا يستقبلان الناس فيقضيا بينهم بالحق ، يحضّان الناس على فعل الخير ، فأحبهم أهل بابل وآنسوا إليهما . جاءتهم يوما امرأة خلّقاها الله عزّ وجلّ آية فى الجمال والحُسن ، وقالت للملكين أنها متزوجة من رجل يُسئ معاملةً ولا تطيقه . سأل الملكان المرأة عن اسمها ، فعرفا أنها تدعى زهرة .

فقال لها أحد الملكين : أريد أن أتزوجك .

وقال لها الثانى : وأنا أيضا أريد أن أتزوجك .

قالت لهما زهرة : إننى لا أتزوج إلا من كان على دينى .

سألها الملكان عن دينها ، فقالت لهما : إننى مجوسية ، أعبد النار .

قال الملكان : إنا لا نعبد إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .  
اذهبي من أمامنا .

مشت الجميلة زهرة وتركت الملكين يفكران فيها وفى الجمال والحسن اللذين خلقهما الله بها ، لكن الشرك بالله كان حائلا بين الملكين وبين الكافرة من عبدة النار . عادت زهرة إلى الملكين بعد فترة من الزمن .  
وقالت لهما : إن زوجى يسىء معاملتى . إذا أردتما الزواج منى فاقتلا زوجى فأصبح حرةً وأتزوج أحكما .

قال الملكان للمرأة : نعوذ بالله أن نغضب ربنا فنقتل نفسا بدون ذنب .  
تركتهما زهرة وهما يفكران فى جمالها ، لكن طاعة الله التى خلقت بها غلبت على كل الشر الذى تحاول أن تقنعهما به .  
عادت زهرة إليهما بعد فترة وقالت : تعاليا معى نشرب خمرا فأريكما كيف نعيش ، وأتزوج أحكما .

قال أحد الملكين لزميله : إن شرب الخمر لشيء بسيط . سوف يسامحنا الله عليه فننال المرأة الجميلة زهرة التى نتمناها .

شرب الملكان الخمر فسكرا . قتلا زوج زهرة ، وشاركا المرأة فى عبادة النار مثلها ، ووقعا فى الخطيئة . كانت الخمر التى حرّمها الله أشد فتكا بالملكين الصالحين من كل شيء آخر . إن الخمر تُغيب العقل فلا يدرى شاربها ما الذى يفعله أو يقوله .

\*\*\*\*\*

عندما أفاق الملكان عرفا أنهما أشركا بالله عز وجل ، وقتلا نفسا بغير حق ، وشربا خمرا حرّمها الله ، وارتكبا الخطيئة مع المرأة . عرفا أن الله سبحانه وتعالى قد جرّدهما من عصمة الملائكة وخصائصهم . وفهم الملائكة فى السماء أن الله يعلم ما لا يعلمونه هم ، فسجدوا لله يسبحون له ويشكرون ويستغفرون ، ويحمدون لله العظيم نعمه عليهم وعلى الدنيا كلها ، واستغفروا الله لأهل الأرض . ومنذ ذلك اليوم والملائكة يستغفرون للبشر على الأرض من خطاياهم التى يرتكبونها كل يوم بعد أن عرفوا أن الشهوات من حب الطعام والمال والشراب وغيرها، التى ابتلى بها الله البشر، قد تجعل الملائكة ذاتهم يقعون فيما حرّم الله ، مثلهم مثل الإنسان . وعرفوا أيضا أن الإنسان الذى يستطيع أن يقاوم تلك الشهوات حبا فى الله وطاعة له يستحق أن يدخل الجنة التى وعدها الله لعباده المتّقين فى الحياة الأخرى .

لم يعرف الملكان ما الذى يفعلانه وقد أصبحا من البشر بعد أن جرّدهما الله من عصمة الملائكة ، فذهبا إلى رجل صالح من أهل بابل يطلبان منه النصيحة .

**فقال لهما : وهل ينصح الإنسان الملائكة ؟**

طلبا من الرجل أن يساعدهما بعد أن أصبحا مثلهما مثل البشر ، ولم يعودا من الملائكة .

**قال لهما الرجل الصالح : عليكما أن تختارا بين عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، وافعلما ما شئتما ، ليس عندى نصحا أكثر من ذلك لكما .**

تشاور الملكان فيما بينهما واختارا عذاب الدنيا ؛ لأنها فانية ولا بد أن تنتهى ، أمّا الآخرة فهى باقية لا تنتهى . وقرر الملكان أن يرضيا بعذاب الدنيا مهما كان نوعه عسى الله أن يرحمهما فى الآخرة ويعفو عنهما .



قرر الملك أن يتقبلاً عذاب الدنيا مهما كان ذلك العذاب ؛ خوفاً من حساب الله لهما في الآخرة على ما فعلاه على الأرض . وبدأ الناس كعادتهم في بابل يذهبون إلى الملكين ليتعلّما منهما ما لا يعرفونه كبشر .

\*\*\*\*\*

كان السحر هو الشيء الذي لا يعرفه سوى الشياطين ، فالملائكة مخلوقة لفعل الخيرات بأمر ربّها ، لكنها تعرف أيضاً وساوس الشياطين وكلامهم وأفعالهم التي لا يدركها البشر . ذهبت امرأة إلى الملكين يوماً تسألهما أن يعلماها السحر ؛ لأنها تريد أن تفرّق بين زوج وزوجته .

**قال لها أحد الملكين :** يا امرأة ، لقد أرسلنا الله سبحانه وتعالى إلى الأرض لنكون فتنة للبشر . ليرى الله منّ منهم يفعل الخير ومنّ يفعل منهم الشرّ . نحن فتنة لكم لا نستطيع أن نعلّمك السحر ؛ لأنه كفر بالله العظيم . نحن لا نعلّمه ؛ لأننا لا نعرف الشرّ . ابتعدى عنا أيتها المرأة .

لكن المرأة صمّمت على تعلم السحر .

**وقالت لهما :** إنني مصمّمة على تعلم السحر . لقد كفرت بربكم .

**قال لها الملك الثاني :** إن تعلّم السحر من عمل الشياطين . سوف يضرّك السحر أنت أولاً ؛ لأنك سوف تتعاملين مع الشياطين ، فإن أنت أصبحت مثلهم فأنت وهم ستذهبون إلى النار بإذن الله .

لكن المرأة صمّمت على تعلم السحر بعد أن كفرت بالله العليّ العظيم .

عندما يكفر الإنسان — والعياذ بالله — فإن الشيطان يتلقّفه فيوسوس له بالشرّ وإلحاق الأذى بنفسه ، وبالناس في الحسد والحقد . كانت المرأة تريد تعلّم السحر لتفرّق بين رجل وزوجته ، وهذا عمل من أعمال الشيطان ، لكن الله برحمته وقُدْرته يبطل عمل ذلك السحر إن شاء سبحانه وتعالى ، فالله لا يجعل للسحر مقدرة على إيذاء البشر إلا إذا أراد الله ذلك لسبب لا يعرفه البشر . لو علم الذين يريدون تعلّم السحر ومن يمارسونه أن هذا

العمل يعتبر كفراً بالله العظيم وأنهم لن يفعلوا إلا ما يشاء الله ، وعرفوا أن  
جزاء كفرهم هو جهنم إن شاء الله ، ما فعلوه . الله أعلم سبحانه وتعالى .  
لا يعلم الإنسان إلا ما يريد الله عزّ وجلّ أن يعلمه لنا .

\*\*\*\*\*

(٥)

الدعاء المستجاب

اجتمع الأحفاد كعادتهم حول الجدّ ، يسألهم عن أحوالهم وما حفظوه من القرآن الكريم ، يختبر البعض منهم فى حفظ الآيات . أبدى سعادته بهم فدعا لهم .

**قال :** إن الدعاء يا أولادى لله عزّ وجلّ لهو ركن هام من أركان ديننا الحنيف . أمرنا الله أن ندعوه سبحانه وتعالى دائما . ويجب أن تعلموا أن الدعاء لله عزّ وجلّ لا بد وأن يكون دائما بالخير . لا ندعو بالشرّ أبدا ، وإنما بالخير لنا ولأهلنا وللمسلمين أجمعين . ندعو الله عند الشدّة عسى الله أن يفرّج لنا ما نحن فيه من كُرب أو شدّة ، وندعو الله عزّ وجلّ عند نزول النعم علينا بالشكر والحمد لله على عطاياه . هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « إن الدعاء هو مخّ العبادة » . فعليكم دائما أن تدعوا الله سبحانه وتعالى بالخير والتوفيق لكم ، وأن يرحم والديكم ، والمسلمين جميعا . الدعاء لله سبحانه وتعالى يجعلكم قريبين من الخالق ، وهى نعمة كبرى أن يكون العبد متقربا دائما إلى خالقه ، عسى أن يرضى الله عنكم إن شاء الله .

**توقف الجد عن الحديث للحظة ثم قال :** ولا تنتظروا أن يستجيب الله إلى الدعاء فى الحال . إن لله عزّ وجلّ حسابات خاصة بالخالق الكريم تختلف عن حسابات أو تفكير البشر . ما نفكر فيه نحن كبشر ونتمنى حدوثه ونحسبه خيرا قد يكون فيه الضرر لنا ، فيحجبه الله عن عبده الصالح . علينا أن ندعو كمؤمنين للخالق بما نطلبه وندع الأمر لله تعالى كى يعمل ما يشاء . وفى هذه المناسبة أقص عليكم قصة رسول الله ﷺ وهو فى مكة قبل هجرته إلى المدينة . كان عليه الصلاة والسلام يصلّى فى الكعبة وسجد ، فجاء بعض شباب قريش من الكافرين ووضعوا على ظهره الشريف دم ومصارين جمل مذبوح ، فدعا عليهم وقال : « اللهم خذ فلانا وفلانا » ، وذكر رسول الله أسماء كل من اشتركوا فى فعلتهم الشائنة . ولقد استجاب الله بعزّته لدعاء رسوله فى غزوة بدر . قُتل كل من دعا عليهم الرسول بذلك الدعاء .

أخذهم الله سبحانه وتعالى ، وحسابهم عنده فى الآخرة إن شاء الله . لم يزد الرسول ﷺ فى دعائه شيئا ، بل ترك الأمر لله وحده . ما عُرف عن رسول الله ﷺ أبدا أنه دعا بالشر على أحد ، بل إنه أدخر دعاءه إلى يوم القيامة ، فيدعو لأُمَّته من المسلمين بالرحمة والمغفرة لهم ، عسى أن يستجيب الله سبحانه وتعالى لرسوله المصطفى الأمين إن شاء الله .

\*\*\*\*\*

**اعتدل الجذء فى جلسته وقال :** دعا كل الأنبياء ربهم سبحانه وتعالى واستجاب المولى سبحانه لأنبيائه ورُسُلِهِ . كان سيدنا إبراهيم عليه السلام دائم الدعاء بالخير للمؤمنين ، وكان فى دعائه خاشعا خائفا أن لا يتقبل الله منه الدعاء . كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يطوفان بالكعبة وهما يرفعان قواعدها ، ويدعوان الله أن يتقبل الله عملهما الصالح . يجب على العبد الصالح المؤمن أن يدعو الله أن يتقبل منه عمله الصالح . هكذا يعلمنا القرآن الكريم . وعلمنا أن نقتدى بهدى الرسل عليهم السلام . ندعو الله عز وجل كلما أدبنا عملا صالحا خالصا لوجه الله تعالى ؛ خوفا أن لا يتقبل الله منا ذلك العمل الذى قد نظنّه صالحا .

**نظرا لجدء إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى فى سورة البقرة الآيات من ١٢٧ إلى ١٢٩ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم فتلا : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجذء :** تعرفون فى قصص الأنبياء عليهم السلام أن سيدنا إبراهيم عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام كان يدعو الله عز وجل فى كل وقت .

يدعو الله لينجيّه هو وزوجته من فرعون مصر ، ثم يدعو الله بأن يرزقه ولدا ، ثم يدعو الله وهو يترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل فى صحراء جرداء ، ثم يدعو الله وهو يرفع قواعد البيت الحرام . والآن دعونا نتحدث عن دعاء أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهو فى الكعبة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، ذهب إبراهيم عليه السلام إلى مكة بأمر ربّه سبحانه وتعالى . كان ابنه إسماعيل عليه السلام جالسا يبرى سهامه ليخرج فيصطاد غزالا أو طائراً . عندما رأى أباه أمامه قام فقدم له تحية الابن البار ، تحية نبيّ إلى أبيه أبى الأنبياء .

قال له الخليل عليه السلام : لقد طلب الله منى عملا أؤديه ، فهل تعيننى عليه يا ولدى ؟

قال إسماعيل دون تردد : أعينك يا أبتاه ، افعل ما تؤمر به فأنا طوع أمرك .

جاءت رياح شديدة فجأة ، فأزاحت الرمال المتراكمة حول قواعد الكعبة الشريفة ، فظهرت آثار بيت الله الكريم ، أول بيت وضع للناس على الأرض ليعبدوا الله فيه . كان أول ما فعله إبراهيم الخليل عند رؤيته للقواعد أن دعا الله بأن يجعل ذلك المكان آمنا ، وأن يرزق أهله من الثمرات . وقصر الخليل عليه السلام دعواته على كل من آمن بالله وباليوم الآخر . كان ينظر إلى قدرة الله العلىّ العظيم الذى أسبغ على إبراهيم نعمة وشرف رفع قواعد ذلك المكان المقدس الذى اختاره الخالق الكريم سبحانه وتعالى .

رحمة الله بخلقه تجاوزت حدود الفكر الإنسانى ، فهو الخالق وهو الرزاق ، فأوحى إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام أنه سوف يرزق كل خلقه ، حتى من كفر منهم ، فإن الله سوف يرزقه أيضا ويمتعه قليلا ، ثم يلقي كل من كفر حسابه يوم الحساب فى نهاية حدها الله عزّ وجلّ ، بأن يكون فى النار ، الله يعلم ويدرى سبحانه وتعالى بمصير كل مخلوق ، لكنه حجب عن المخلوقات ذلك المصير المحتوم ، ترك لهم اختيار الإيمان أو الكفر ،

وحكم للمؤمن بالجنة ونعيمها ، وقضى على الكافر بالعذاب فى النار ،  
وبئس المصير .

\*\*\*\*\*

شرع الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام فى بناء حوائط الكعبة  
المشرفة ، طائعين لأمر الله ، يجمع الابن الأحجار ، فيناولها لأبيه الذى  
يبنى ، وعندما طال الحائط جاءت زوجة الابن بحجر ليقف فوقه الخليل ؛  
ليتمكن من الوصول إلى الارتفاع المطلوب ، وكانت تغسل له رأسه وهو  
واقف فوق الحجر ليستكمل البناء ؛ لتخفف عنه الحرّ والعرق . ذلك الحجر  
هو المقام الذى قام فوقه سيدنا إبراهيم لينبى . ظل ذلك الحجر فى مكانه  
إلى جوار حائط الكعبة ، حتى قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله  
عنه بنقله إلى مكانه الحالى . كانت آثار أقدام سيدنا إبراهيم عليه السلام فوق  
الحجر ، لكنها انمحت من كثرة لمس أيادى الحجيج لهذا الأثر .

كان الأب والابن يطوفان بأركان الكعبة الأربعة وهما بينان ، ويدعوان  
الله فى عملهما بأن يتقبل الله عملهما . وعندما انتهى الرسولان الكريمان  
عليهما السلام من البناء ورفّع قواعد الكعبة الشريفة كان التعب قد أخذ  
منهما كل مأخذ ، فدعوا الله الرحيم بأن يجعلهما من المسلمين وأن  
يستخرج بقدرته من ذريتهما أمة مسلمة لله ، سائلين الله أن يتوب عليهما .  
ذلك هو خلق الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله بقدرته وحكمته من بين  
البشر .

كان الدعاء بأن يجعل الله من ذريتهما أمة مسلمة دعاءً مقبولا من الله  
سبحانه وتعالى ، فخرج من ذرية إسماعيل عليه السلام سيد الخلق ورسول  
الرحمة مبعوثا للإنس والجن ، محمد صلى الله عليه وسلم ، فاتبعته أمة مسلمة لله تهتدى  
بهدى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

\*\*\*\*\*

استجاب الله عزّ وجلّ لدعاء الخليل بعد آلاف السنين ، فبعث برسول من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وأنزل الله بعزّته الآية ١٥١ من سورة البقرة ، تقرأ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

لو دققنا النظر في هذه الآية لوجدناها تتطابق مع دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لله عزّ وجلّ من بعث رسول الله من العرب ليكون أمة مسلمة . اللهم صلّى وسلّم على إبراهيم وإسماعيل ومحمد أفضل الصلاة والسلام .

\*\*\*\*\*





(٦)  
القرض الحسن

استقبل الجدّ أحفاده فى غرفته مرحباً بهم . اتخذوا قعدتهم حوله كعادتهم ، ينتظرون أوامره ليطالعوا فى القرآن الكريم أحسن القصص .  
**قال لهم الجد :** لا زلنا مع سورة البقرة وآياتها الكريمة . ولا زلنا نتحدث عن اليهود الذين ذكرت لنا آيات سورة البقرة الكثير عن أعمالهم السيئة والكفر بنعم الله عليهم .

**أشار الجد إلى أحد الحفدة، وقال له :** اقرأ لنا يا بُنى الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .  
 قرأ الولد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ مِنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾  
 صدق الله العظيم .

**قال الجد :** أحسنت يا ولدى القراءة أكرمك الله ، وحفظكم جميعا .  
 تعلمون وكما قلنا فى السيرة النبوية الشريفة أن رسول الله ﷺ أدرك عند وصوله إلى المدينة مهاجرا من مكة أن لليهود شأنًا كبيرًا ، فآثر عليه الصلاة والسلام أن يتجنب الخلاف والصدام معهم حتى يتمكن من تنظيم أمر المسلمين فى المدينة أولا ، بإخراجهم من الجاهلية والعصبية القبلية التى عاشوا فيها زمنا طويلا ، وجمعهم فى رحاب الإسلام . استطاع رسول الله ﷺ أن ينجح فى ذلك الأمر خلال فترة بسيطة ، فالتف المسلمون حول نبيهم بالحب والفداء والتضحية .

**سكت الجد لحظة، ثم استأنف حديثه قائلا :** أمّا اليهود فرغم ما يخفونه من كراهية وعداء للمسلمين وللدين الجديد كانوا أول من عقد رسول الله ﷺ معهم معاهدة ، ترك لهم فيها حرية الدين والمال ، وعاهدتهم على عدم الخيانة والتعاون العسكرى فى صدّ أى هجوم يقع على أى طرف منهما .

قال الجذع بعد برهة : والآن أقص لكم ما حدث من اليهود بعد أن نزلت الآية التي قرأتموها .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ لتشجيع المسلمين على الإنفاق في سبيل الله . ومن أجمل ما سمعه المرء عن المسلمين في عهد رسول الله ﷺ ، ما قاله أبو الدحداح للنبي عندما نزلت هذه الآية .

أخذ يد رسول الله ﷺ وعاهده قائلا : يا رسول الله ، إنني أقرض الله عز وجل الحائط الذي أملكه وفيه ستمائة نخلة .

ثم نادى زوجته وقال لها أن تخرج من الحائط ؛ لأنه أقرضه لله سبحانه وتعالى . تنازل عنه للمسلمين ، واثقا أن الله سبحانه وتعالى سوف يقبل منه ماله ، وعند الله الثواب دائما .

سمعت اليهود الآية ، فتهكموا وقالوا : افتقر رب محمد فسأل عباده القرض .

\*\*\*\*\*

ذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى بيت المدارس ، وهو المدرسة التي يتعلم فيها اليهود دينهم على يد أحبارهم وعلمائهم في المدينة . وجد هناك يهودا كثيرين وقد اجتمعوا حول رجل منهم يدعى فنحاص ، كان من كبار علمائهم وأحبارهم .

قال أبو بكر مخاطبه : ويحك يا فنحاص . اتق الله وأسلم . فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده . تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة .

قال فنحاص متهمكا : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر . وإنه إلينا لفقير . ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا . وإنا عنه لأغنياء .

احمر وجه أبي بكر رضي الله عنه من الغيظ ، فاستأنف فنحاص حديثه .

يقول لخليفة رسول الله ﷺ : لو كان عنا غنيّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم . ينهاكم عن الربا ويعطينا . لو كان غنيّا ما أعطانا الربا .

غضب أبو بكر رضى الله عنه غضبا شديدا ، فقام بضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً .

وقال للجبراليهودى فنحاص : والذي نفسى بيده ، لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله .

ومشى أبو بكر من ذلك المكان والضيق يملأ صدره مما قاله اليهودى فنحاص فى حقّ الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*

جرى فنحاص إلى رسول الله ﷺ والدم يملأ وجهه وقال : يا محمد ، أبصر ما صنع بى صاحبك ؟

فسأل رسول الله ﷺ أبا بكر عما دعاه إلى فعل ما فعله بوجه الخبر اليهودى .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً . يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله ممّا قال فضربت وجهه .

صرخ فنحاص يقول : ما قلت ذلك يا محمد .

أنكر اليهودى ما قاله لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، ولم يتكلم خليفة رسول الله ، وإنما مشى بعيداً عن ذلك اليهودى الذى كفر بنعم الله ، وقال فى الخالق عزّ وجلّ ما لا يُقال .

أنزل الله بعزّته آية على رسول الله ﷺ تؤكد ما قاله أبو بكر الصديق بما سمعه من فنحاص حبر اليهود عن الله سبحانه وتعالى ، والتى أثبت بها الله ذلك القول الفاحش الذى قاله الخبر اليهودى عن الخالق سبحانه وتعالى . ووعد الله أولئك اليهود بأنهم سيلقون عقابهم فى النار بإذن الله ، بسبب ما

قالوه ، وعلى قتلهم الأنبياء بغير حق .

قال الله عز وجل في سورة آل عمران الآية ١٨١ : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ صدق الله العظيم .

\*\*\*\*\*

انتهز يهود المدينة كل فرصة للطعن في دين الإسلام وفي رسول الله ﷺ وفي أصحابه . واتبع رسول الله ﷺ الحكمة في عدم إظهار العداء لليهود ، بغرض تثبيت أركان الإسلام في المدينة . وصبر على أذى اليهود عسى أن يؤمنوا بالإسلام .

ومن السيرة النبوية ، يقال أن اليهودى المتعصب شاس بن قيس الذى حاول أن يزرع الفتنة بين المسلمين من قبيلتى الأوس و الخزرج .  
قال لأحد المسلمين : إن ربك بخيل لا ينفق .

وعندما عُرف ذلك القول الفاحش عن ذات الله عز وجل أنزل الله الآية ٦٤ من سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ صدق الله العظيم .

أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن لعنته المتتابعة نزلت عليهم إلى يوم القيامة عندما وصفوا المولى عز وجل بقولهم أنه بخيل — حاشا لله بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء — كما وصفوه جل شأنه وعلا علوا كبيرا ، بأنه فقير وهم أغنياء .

لم يفكر اليهود أبداً في النعم التي أنزلها الله عليهم . تصوّروا أنهم قادرون على أن يكتنزوا المال والذهب والفضة بكل الطرق ، وأنه ليست بهم حاجة إلى الله الذي ينعم على عباده ، مؤمنهم وكافرهم ، بالرزق والنعم التي لا يستطيع الإنسان أن يعدّها أو يحصيها .

ويقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن النعم التي أنزلها الله إلى رسوله محمد ، تثير أعداءه من اليهود وغيرهم . فكما يزداد المؤمنون بالقرآن تصديقاً وعملاً صالحاً وعلماً نافعا يزداد الكافرون والحاسدون لرسول الله ﷺ ولأُمَّته المسلمة طغياناً زائداً يصل بهم إلى حد الكفر .

ولقد حكم الله سبحانه وتعالى على اليهود بأن يصبحوا أعداءً لبعضهم البعض . كل مجموعة منهم تكره المجموعات الأخرى حتى يوم القيامة . وحكم الله عزّ وجلّ أيضاً بأن الله جلّ شأنه ، سوف يُطفئ كل نار يشعلها اليهود للحرب بين المسلمين . ووصف الله تعالى اليهود بأنهم مفسدون ، يسعون في الأرض لنشر الفساد فيها والله لا يحب المفسدين .

\*\*\*\*\*

(٧)

تابوت العهد

دخل الأحفاد غرفة جدّهم ، فوجدوه جالسا يقرأ القرآن الكريم . قعدوا كعادتهم حوله ، فصدّق الجدّ بالله العظيم ، ثم رحّب بأحفاده . حيّاهم وسألهم عن أحوالهم وصلواتهم وقراءاتهم .

**قال لهم :** نستكمل اليوم إن شاء الله قصص سورة البقرة . وكما لاحظتم أن معظم القصص فى هذه السورة الكريمة تدور حول اليهود وما كانوا يفعلونه ، وكيف صبر الله سبحانه وتعالى عليهم وعلى ظلمهم ؛ لأنهم كانوا أول المؤمنين الموحّدين بالله عزّ وجلّ ، وإكراما لنبّيهم موسى عليه السلام . كلما بغوا وفجروا ، كان الله سبحانه وتعالى يعذبهم ويعاقبهم حتى يثوبوا إلى رشدهم .

**نظرا لجدّ إلى أحفاده وقال :** سوف أشرح لكم اليوم إن شاء الله قصة تابوت العهد الذى تبارك به اليهود ، والذى ورد اسمه فى آيات من سورة البقرة . والقصة تعتبر جزءاً هاماً من قصة طالوت وجالوت ، وهى قصة الحرب بين اليهود والفلسطينيين التى انتهت بتولّى سيدنا داود عليه السلام الحكم والنبوة فى بنى إسرائيل .

**أشار الجدّ إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى الآيات من ٢٤٦ إلى ٢٤٨ من سورة البقرة .

استعاذ الفتى بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ



عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \*  
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ  
آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾  
صدق الله العظيم .

قال الجد : أحسنت يا بُنَيَّ ، نبدأ الآن فى سرد قصة التابوت .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر الله موسى ﷺ وهو فى أرض التيه أن  
يبنى قبة الزمان ويزينها بالذهب والفضة . كان موسى ﷺ يقف أمامها  
وهو يتلقى كلمات ربه عز وجل . وأمر الله نبيه أيضا بأن يصنع تابوتا من  
الخشب يغطى كله بالذهب الخالص من الداخل ومن الخارج ، وتحفظ فيه  
التوراة . أسماه اليهود تابوت العهد . عندما كان اليهود يطلبون من رسولهم  
موسى ﷺ أمرا لا يعرفه كان يذهب كلیم الله إلى قبة الزمان ويقف عند  
التابوت ويظل صامتا حتى يأتيه الوحي من الله عز وجل ، فيخبر الناس عما  
سأله .

ظلت قبة الزمان والتابوت مع بنى إسرائيل خلال فترة التيه فى الصحراء ،  
ينصبونها ويصلون إليها كقبلتهم ، وأمامهم رسولهم موسى ﷺ ، ويقوم  
أخوه هارون ﷺ بتقديم القرابين . مات هارون ثم موسى عليهما السلام ،  
فاستمر بنو هارون فى تولي أمر القرابين التى يقدمها اليهود حتى اليوم .

عندما دخل بنو إسرائيل بيت المقدس نصبوا قبة الزمان فوق صخرة بيت  
المقدس فلما تحطمت قبة الزمان صلّوا ووجوههم تجاه الصخرة . تلك  
الصخرة التى صلّى تجاهها كل الأنبياء حتى بعث محمد ﷺ ، فصلّى تجاهها  
نحو ستة عشر شهرا ، ثم أمره الله عز وجل بتحويل القبلة تجاه الكعبة  
المشرقة .

\*\*\*\*\*

توفى نبيّ اليهود يوشع بن نون عليه السلام ، وكان الله عزّ وجلّ يرسل لهم بالأنبياء ليرشدوهم ، وكان أنبياء اليهود من سبط لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ويختارون لهم ملكًا من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، لكن اليهود على مرّ السنين زاد فجرهم وفسقهم واستهتارهم بدينهم وترك التوراة ، وغيروا فيها وبدّلوها لكى تلائم ما يرغبون فى عمله مخالفين أوامر الله سبحانه وتعالى . ارتكبوا الخطايا وقتلوا الأنبياء ، فسَلَطَ الله عليهم ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم ، وحرّمهم الله بعزّته من نعمة بعث الأنبياء إليهم وسلّط عليهم أعداءهم من غير اليهود أيضا .

كان اليهود عندما يخرجون للحرب ضد أعدائهم يأخذون معهم تابوت العهد يحاربون خلفه ، فكان الله ينصرهم على أعدائهم ببركة تابوت العهد ، بما جعل فيه من سكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون عليهما السلام ، يستبشرون وهم يحاربون بما معهم فى التابوت .

كان اليهود فى حرب مستمرة مع جيرانهم الفلسطينيين من أهل غزة وعسقلان ، وكانوا ينتصرون عليهم دائما ببركة التابوت الذى يحملونه معهم . عندما ازداد كفر اليهود وعصيانهم سلّط الله عليهم الفلسطينيين فغلبوهم وقهروهم ، وانتزعوا التابوت من أيدي اليهود ، وأسروا منهم الآلاف ليعملوا عندهم كعبيد . فلمّا علم ملك اليهود بذلك مات حزنا على فقدان التابوت الذى ينصرهم الله فى الحروب ببركته .

\*\*\*\*\*

قُتل الكثير من اليهود ولم يتبق من سبط لاوى ، تلك السلالة التى يخرج منها أنبياء اليهود ، سوى امرأة تحمل جنينا فى بطنها . سارعت المرأة التى تخاف على الجنين بالاختفاء ، وظلت تدعو الله ليل نهار أن يرزقها بولد ذكر ، يجعل فيه النبوة ؛ لأنه السلالة الوحيدة الباقية لسبط لاوى .

استجاب الله لدعوة المرأة فولدت طفلاً ذكراً ، فأسمته شمويل ، وهى الترجمة العبرية للاسم الذى أطلق على سيدنا إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام - أى : سمع الله دعائى .

شبّ شمويل فقامت أمه بتسليمه إلى رجل صالح ليعلّمه العبادة وأصول الدين والأخلاق الحسنة . بلغ شمويل أشدّه كعالم متفقه فى الدين . واختاره الله بعزّته نبياً لبنى إسرائيل فأوحى إليه بالنبوة . لبّى النبىّ النداء ، فخرج إلى الناس يدعوهم إلى الإيمان ونبذ الكفر والشرك بالله والامتناع عن الفجور والعصيان حتى يرضى الله عنهم ويعيد لهم ما فقدوه على يد أعدائهم بسبب معصيتهم وتهاونهم فى أداء الواجبات التى كلّفهم بها ربّهم .

\*\*\*\*\*

بدأ اليهود يستمعون إلى نبيّهم الذى بعثه الله لهم من سبط لاوى كما تعودوا ، بعد أن كان الله قد حرّمهم من بعث الأنبياء لفترة طويلة نتيجة كفرهم وطغيانهم . سألوا نبيّهم أن يختار لهم ملكاً يحكمهم وينظم لهم جيشاً ليحاربوا معه ويستردوا ما أخذه منهم أعداؤهم . سألهم النبىّ إن كانوا سيقاتلون إذا ما طلب منهم القتال ، أم أنهم سيمتنعون كعادتهم ؟

**قالوا له :** لا شىء يمنعنا من القتال والحرب يا نبىّ الله . إننا نودّ أن نستعيد أبناءنا الأسرى عند الأعداء .

وعدهم نبىّ اليهود شمويل بأن يصلّى لله عزّ وجلّ وأن يدعوهم حتى يوحى إليه باسم الملك الذى سيتولّى قيادة اليهود ؛ ليحققوا النصر على أعدائهم . أوحى الله لنبيّه بصفات الملك الذى اختاره ، سيكون بطول العصا التى يمسك بها شمويل عليه السلام ، وعليه أن يقف داخل المعبّد فإذا جاء الملك الموعود ويكون بطول العصا ، فإن الدهن الذى يضعونه فى قدر أمام المعبّد سيفور وكأنه يغلى . تلك كانت علامات اختيار الله سبحانه وتعالى للملك الجديد .

طلب شمويل عليه السلام من كل الرجال دخول المعبّد ، وأمسك بالعصا فى

يده . جاء طالوت ، وهو من سبط بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، فكان طوله مساويا لطول العصا التي يمسك بها النبي شمويل عليه السلام . نظر شمويل إلى القدر فوجده يفور .

**فنظر إلى طالوت وقال له :** أنت ملك بنى إسرائيل الذى اختاره الله سبحانه وتعالى ؛ ليقودهم فى الحرب والنصر على أعداء بنى إسرائيل .

خرج نبي اليهود من معبده ومعه طالوت بجسمه الطويل المفتول العضلات ، فقد كان يعمل سقاء ماء . يحمل الماء من الآبار فى القرب ويعطيها للناس لتشرب . منحه الله قوة فى جسده وحسناً فى خلقه وحكمة فى عقله .

**قال لهم شمويل :** يا بنى إسرائيل ، هذا هو ملككم الذى اختاره الله لكم .  
ثار اليهود كعادتهم ، يرفضون أن يكون ملكهم من سبط بنيامين ، فقد تعودوا أن يكون ملكهم من سبط يهوذا . وطعنوا فى اختيار الله عز وجل للملك الجديد ، وطالبوا بأن يكون الملك من سبط يهوذا .

**فقال لهم نبيهم :** إن طالوت هو اختيار الله ، أعطاه الله المزيد من قوة الجسم ومن العلم ، إن الله يؤتى الملك والحكم لمن يشاء ، ولا يستطيع أحد أن يرد مشيئة الله .

لم يقتنع اليهود بما قاله لهم نبيهم ظلوا يجادلونه فى أمر تولّى طالوت ملك اليهود .

**فأوحى الله لشمويل بأن يقول لهم :** إن الله سوف يعطيكم برهانا على اختياره لطالوت ملكا عليكم . سوف يرسل لكم بتابوت العهد الذى سُرِق من بنى إسرائيل فى الحرب ، وأن الملائكة سوف تجيء لكم بالتابوت فاستكينوا وآمنوا بربكم وأطيعوا ملككم طالوت الذى اختاره الله .

\*\*\*\*\*

عندما هزم الفلسطينيون من أهل غزة وعسقلان اليهود أخذوا منهم

تابوت العهد . قاموا بدفن التابوت وما به من التوراة وبقايا آل موسى وآل هارون تحت صنم لهم . ظلّ التابوت مدفوناً ونسى الناس أمره ، حتى جاء أمر الله باختيار طالوت ملكا ، وأراد الله أن يكون ملكه بمعجزة أخرى لليهود . أصبح الفلسطينيون يوما فوجدوا التابوت الذى دفنوه فى الأرض فوق الصنم فأعادوا دفنه مكانه . فلما كان صباح اليوم التالى إذا بالتابوت فوق الصنم .

تشااور القوم فى هذا الأمر المحير وقالوا : إنه أمر من الله ، فلنبعد هذا التابوت عن أرضنا وإلا أصابتنا الكوارث .

أمر جالوت ملك الفلسطينيين بوضع التابوت فوق عربة تُربط بثورين وترسل العربة بعيدا عنهم . تلقت الملائكة العربة التى تحمل تابوت العهد ، وساقته الملائكة حتى جاءوا بها إلى بنى إسرائيل الذين أخذوا ينظرون ويتعجبون . رضوا بحكم الله عزّ وجلّ فى اختيار طالوت ملكا يحكمهم .

\*\*\*\*\*

أعد طالوت جيشه ، وكان ضمن جنود الجيش داود الحداد التقى الذى متّعه الله بقوة كبيرة كانت تمكّنه من ثنى الحديد بيديه ، وكان يمتاز ببراعته فى رمى المقلاع . يضع الحجر فى المقلاع ويديره ثم يتركه فيصيب به ما يريد . وعد طالوت جنوده بأن من يقتل جالوت ملك الفلسطينيين فسوف يزوجه من ابنته ويشركه معه فى الملك . واستطاع داود أن يقتل جالوت إذ قذفه بثلاثة أحجار فلقت رأسه فمات وتفرّق جيشه ، وانتصر بنو إسرائيل وحرروا أبناءهم من الأسر .

الله سبحانه وتعالى يدبّر الأمر كما شاء . أراد الله لليهود فى ذلك العصر أن يعودوا إلى حظيرة الإيمان ، فسلبهم على أنفسهم بالشر والفجور حتى ثابوا إلى رشدهم فبعث الله لهم بالنبيّ شمويل عليه السلام . واختار الله لهم ملكا ، أوحى إليه بما قاله من إشراك من يقتل جالوت معه فى الحكم ، ويقدر الخالق العظيم الأمر ، فيقتل داود جالوت ، فيصبح شريكا فى الملك .

وعندما مات جالوت تولى داود حكم اليهود ، فأعادهم إلى حظيرة الإيمان بالله عزّ وجلّ بما اشتهر به من تقوى وإيمان . وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل داود نبياً ؛ لما تحلّى به من صفات الورع والعدل والكرم وتسبيح الله ليل نهار ، والصيام لله يوماً ويفطر يوماً .

وقال رسول الله ﷺ : « إن أحسن الصيام هو صيام داود عليه السلام » . فله الأمر من قبل ومن بعد . أصبح داود عليه السلام هو أول من جمع بين النبوة والملك .

\*\*\*\*\*

(٨)

الخليل عليه السلام والنمرود

دخل الأحفاد إلى جدّهم فى حجرته يحملون مصاحفهم ، قبلوا يده فدعا لهم بالهداية والتوفيق فى دينهم وحياتهم . تحلّقوا حوله ينتظرون إخبارهم بالسورة التى سيطلعونها ، فيستمعون من جدّهم إلى قصة تلك الآيات الكريمات .

**قال الجذّ :** افتحوا مصاحفكم على سورة البقرة .

وأشار الجذّ إلى أحد أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا بنى الآيّة ٢٥٨ من السورة .

استعاذ الحفيد بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجذّ :** تعرفون جميعاً قصة سيدنا إبراهيم خليل الله . هو أبو الأنبياء ، هو الذى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتبع ملّته ، دين الإسلام الحنيف . هناك إحدى القصص عن رسول الله إبراهيم ، تصوّر إيمانه العميق بربه عزّ وجلّ ، مثله مثل كل الأنبياء والرسل عليهم السلام . كان ﷺ لا يهاب إلا الله ؛ لأنه يعرف أنه يدعو قوم كفر ليهديهم إلى عبادة الله وحده سبحانه وتعالى . من كان على الحق لا يخاف أحداً أبداً .

والآن أقص عليكم كيف وقف رسول الله إبراهيم مزوداً بإيمانه بالله عزّ وجلّ أمام ملك ظالم يعتبر من أكثر الملوك والحكام جبروتا وغرورا . وسوف ترون كيف عاقب الله سبحانه ذلك الملك الظالم ؛ ليأخذ كل جبّار على الأرض الموعدة من انتقام الله سبحانه وتعالى من الظالمين .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عندما ظهر نجم كبير فى سماء بابل التى كان يحكمها ملك ظالم غاشم يدعى النمرود بن كنعان خاف الناس ، وفزع



النمرود مثل أهل بلده من ظهور ذلك النجم . جمع النمرود الكهنة والعرافين وسألهم عن ذلك الأمر .

**فقالوا له :** يولد مولود فى بلدك من رعيتك ، ويكون زوال ملكك على يديه .

أمر النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح بقتل كل المولودين من الذكور فى بلده .

وُلد إبراهيم بن آزر فى ذلك الحين ، وسط قوم يعبدون الأصنام والنجوم ، لكن الله عزّ وجلّ اختاره لينشأ وقد حفظه الله من كيد النمرود فنجا من أمر الذبح . شبّ فتى باهراً ، وأنبتة الله نباتاً حسناً . وكان أبوه آزر هو الحفيد الثامن لنوح عليه السلام ، وكان يُعرف باسم تارح على اسم الصنم الذى يعبد . وكان لآزر ثلاثة أبناء ، أوسطهم هو إبراهيم عليه السلام . بدأ إبراهيم منذ صغر سنّه النظر فى ملكوت الله ، الذى حبّب إليه الإيمان واختاره سبحانه وتعالى ليعثه رسولا إلى الناس كافة بعد أن انتشر داء الكفر والإشراك بالله بين الناس فى الأرض .

رأى إبراهيم الكواكب فى السماء ، وعرف أنها لا تصلح لأن تكون إلهاً له ؛ لأنها تظهر ثم تختفى من العالم ، وعرف أن هناك إلهاً واحداً لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عنه خافية . طلب إبراهيم من ربّه أن يهديه ، فهداه للإيمان . آمن إبراهيم عليه السلام أن كل المخلوقات فى السماء وفى الأرض من خلق الله الخالق العظيم مسخرة فى ملكوت الله . أعلن إبراهيم براءته ممّا يعبد قومه سواء أكانت كواكبا أو أصناما أو غيرها المصنوعة من الحجر أو الخشب .

أنزل الله سكينته وهدايته على إبراهيم . كان الخالق سبحانه هو العليم بمدى صدق وإيمان إبراهيم فهداه إلى الطريق السوى . طلب إبراهيم من ربّه أن يريه كيف يحيى الموتى ليطمئن قلبه . أمره الله بأن يأتى بأربعة من الطير فيذبحها ثم يعجن لحمها وعظامها وريشها ويخلطه ثم يقسمها إلى أربعة

أجزاء ، ويضع كل جزء فوق تل من التلال . وأوحى الله بقدرته لإبراهيم أن يدعو الطير لتجتمع بأمر الله ، فجاءته بعد أن تجمع الريش والعظام باللحم ، ثم سعى الطير إلى رؤوسه التي كان إبراهيم يمسك بها في يده ، فالتأمت الطيور الأربعة . سجد إبراهيم لله شاكراً نعمته بعد أن صفا قلبه ، وبعد أن تيقن من قدرة الله عز وجل . جرى إبراهيم إلى أبيه يدعوهُ إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام لكن أباه آزر رفض التخلّي عن عبادة الأصنام وهدد إبراهيم بالرجم إذا لم يرجع عما يقوله . فتبرأ إبراهيم من أبيه أسفاً .

\*\*\*\*\*

عبد أهل بابل الكواكب والأصنام ولم يستطع إبراهيم ﷺ أن يسكت على الكفر وقد هداه الله إلى الإيمان ، فبدأ دعوته بين القوم منكراً عليهم عبادة الأصنام التي لا تسمعهم ولا تفيدهم أو تضرهم . وكان لأهل بابل عيداً يذهبون فيه كل عام إلى خارج البلدة يمرح فيه الجميع ويلعبون . لم يشترك معهم إبراهيم بل بقى في المدينة وحده ، ثم حطّم الأصنام كلها عدا كبيرها ، فعلق الفأس الذي حطّم به الأصنام في رقبة الصنم الكبير .

استقر رأى الكفار على حرق إبراهيم جزاء فعلته ، فجمعوا الحطب وأوقدوا ناراً هائلة وقذفوا بإبراهيم فيها .

**فقال وهو طائر في الهواء : لا إله إلا أنت سبحانك . لك الحمد ولك الملك لا شريك لك . حسبى الله ونعم الوكيل .**

فأمر الله سبحانه وتعالى بأن تكون النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، رحمة من الله لرسوله ، ومعجزة لإبراهيم ﷺ . خرج إبراهيم من النار سليماً لم يمسه سوء ، بل مستبشراً برحمة ربه ، مما جعل القوم في بابل حيارى مما حدث ، فأمن البعض سرّاً ، ومنهم من اتهمه بالسحر ، ومنهم من كذّبه ، لكنهم جميعاً امتنعوا عن التعرّض له . عرف إبراهيم مدى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وكيف أن الخالق الرحيم يحمي رسله وأنبياءه من كل شر .

\*\*\*\*\*

اعتاد القوم فى بابل أن يذهبوا فى يوم معين إلى الملك النمرود ؛  
ليعطهم هباته من الطعام . ذهب إبراهيم هو أيضا لينال حظه من الطعام ،  
وترك زوجته السيدة سارة فى بيتها . علم النمرود أن إبراهيم الذى نجا من  
النار قد جاء إلى قصر الملك ، فبعث فى طلبه .

قال النمرود مخاطباً إبراهيم عليه السلام : ما هى تلك الدعوة التى تدعو الناس إليها يا  
إبراهيم ؟

قال رسول الله إبراهيم عليه السلام : أدعو إلى عبادة الله الواحد القهار وحده لا  
شريك له .

فقال له النمرود بكبرياء و صلف أنه هو الإله على تلك الأرض .

فقال الخليل : إن الله هو الذى يحيى ويميت .

قال النمرود بصوت عال يملؤه الغرور : أنا أحيى وأميت .

وأمر جنوده بإحضار رجلين من رعيته ، فأمر بقتل أحدهما ، وأمر  
بإطلاق سراح الثانى . ثم انفجر النمرود فى الضحك يشعر بالفخر وهو  
يتصور أنه انتصر على إبراهيم .

قال له رسول الله إبراهيم عليه السلام : إن الله يأتى بالشمس من المشرق ، فهل  
تستطيع أنت أن تأتى بها من المغرب ؟

لم يستطع النمرود أن يتكلم ، بُهِت من مفاجأة إبراهيم عليه السلام له . وجاء  
رد فعل النمرود سريعاً ، فأمر بإخراج إبراهيم من القصر وعدم إعطائه  
الطعام الذى يأخذه بقية الرعايا .

عاد إبراهيم يحمل الجرابين الخاويين ، وعندما اقترب من بيته ملأ  
الجرابين بالرمال حتى لا تحزن زوجته إذا رأتهمَا خاويين . دخل بيته ووضع  
الجرابين ونام . عندما صبحا من نومه وجد زوجته قد أعدت طعاماً لهما ،  
فسألها من أين أتت بالطعام ؟ فأخبرته أنها أخذته من الجرابين .

وعرف إبراهيم عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع عباده الصالحين المؤمنين أبداً ، فرزقه من حيث لا يحتسب ، فسجد الرسول شكراً لله .

\*\*\*\*\*

اشتد طغيان النمرود وجبروته وكفره ، فبعث الله ملكاً إلى ذلك الجبار فى الأرض يأمره بالإيمان بالله .

أبى النمرود أن يطيع ، فقال له الملك : اجمع جيوشك ، وسوف أجمع جيوشى . الحرب بيننا يا عدو الله .

جمع النمرود جيشه العرمرم وقت طلوع الشمس ، وسار للقاء جيش الملك . أرسل الله على النمرود وجيشه ذباباً كثيراً حجب الشمس عنهم من كثافته ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم وامتصت دماءهم وتركتهم عظاماً بالية . وكان انتقام الله سبحانه وتعالى من النمرود انتقاماً عظيماً جزاء لكفره ؛ إذ سلط عليه ذبابة واحدة ، فدخلت فى أنف النمرود لا تخرج منه ولا تموت . ظلت الذبابة فى أنف النمرود حتى جُن جنونه ، فمات . عذبه الله فى الدنيا عذاباً أليماً ، وله فى الآخرة عذاب أكبر إن شاء الله .

أصابته أرض بابل لعنة الله على النمرود والكفرة من أتباعه وجيشه وقومه ، فتلقى إبراهيم عليه السلام أمر ربه بالهجرة إلى أرض الشام .

\*\*\*\*\*



(٩)

القرية الخاوية

جلس الجدّ في غرفته ، وحوله أحفاده ، يمسك كل منهم بمصحفه ، يستعدون لسماع جدّهم وهو يقصّ عليهم قصة جديدة من قصص القرآن العظيم .

قال الجدّ وهو يلحظ تشوّق أحفاده لبدء الدرس مبتسماً لهم : أهلاً بكم ، لا زلنا مع سورة البقرة يا أحفادي نتعلم منها ونستزيد من خيراتها . قصة اليوم تتضمن عدة قصص مترابطة معا ، قد أكون قد حكيت لكم عن بعضها أثناء حديثي معكم حول أنبياء الله عليهم السلام جميعا ، لكن الآية التي سوف نقرأها اليوم إن شاء الله بها الكثير من التفاصيل التي لم أقلها لكم من قبل .  
تمهل الجد قليلا ثم أشار إلى أصغر أحفاده .

وقال له : اقرأ لنا يا ولدي في سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الجدّ : يفتح الله عليك يا بُنى . والآن فهذه القصة تحكى قصة عزيز عليه السلام الذى أماته الله مائة عام ثم أحياه . ولكن لماذا أماته الله وجعله آية للناس ؟ وما الذى فعله اليهود فهدم الله مدينتهم وبيوتهم ؟ ثم ماذا فعل اليهود عندما رأوا عزيزاً عليه السلام بعد مائة عام ؟ كل هذه الأسئلة سوف نبينها إن شاء الله فى قصة اليوم .

سكت الجد لحظة، ثم قال لأحفاده : إن سورة البقرة الكريمة تحدثت عن اليهود فى مختلف العصور منذ بعث موسى ﷺ ، تصوّر لنا فى أجزاء كثيرة منها ماذا فعلوا وكيف أغضبوا الله سبحانه وتعالى وكيف كفروا بالنعم التى أعطاهم ربنا عزّ وجلّ . اسمعوا قصة تلك القرية ، بيت المقدس ، وما جرى فيها من أحداث .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، حكم بنى إسرائيل فى بيت المقدس ملك عادل يرعى حكم الله وينشر العدل بين الناس يدعى الملك حزقيا . كان الملك مطيعا لما يأمر به الله نبيّه شعيا بن أمصيا . كانت رحمة الله على المؤمنين ، أن يكون لهم نبيّ وأن يحكمهم ملك يطيع كل ما يوحى به الله للنبيّ . مرض الملك بقرحة فى رجله لا شفاء منها فأقعدته لا يستطيع المشى . بلغ الملك حزقيا فى تلك الأثناء بعد مرضه أن سنحاريب ملك بابل يستعد بجيش هائل لغزو بيت المقدس . سأل الملك النبيّ شعيا إن كان الله قد أوحى إليه بشىء عن نية سنحاريب فى غزوهم ، فأخبره النبيّ أنه لم يُوحَ إليه بشىء .

ظلّ الملك القعيد يدعو الله بأن ينجّيهم من هول الحرب ومن غزو الفرس أهل بابل لبلاده .

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء الملك الصالح والنبيّ الصالح ، فأوحى إلى شعيا بأنه سوف يشفى الملك ، وأنه سوف ينجّيهم من عدوّهم سنحاريب . سجد النبيّ والملك لله العظيم شكراً على نعمه عليهما وعلى المؤمنين . عندما اقترب جيش الفرس من بيت المقدس انتشر الفرع بين بنى إسرائيل ، لكن نبيهم شعيا طمأنهم بأن الله سوف يحفظهم من كل شرّ وسوف يهلك عدوّهم .

عندما أصبح الفرس على مشارف بيت المقدس أرسل الله عليهم الموت ، فهلك الجيش الفارسى كله عدا ملكهم سنحاريب وخمسة من كبار قوّاده .

أسرهم جنود الملك حزقيا وقيّدوهم فى الأغلال وطاقوا بهم فى المدينة يهينونهم ، ويعذبونهم ، ثم رموهم فى السجن .

\*\*\*\*\*

أوحى الله إلى شعيا بعد سنين أن يأمر الملك بإطلاق سراح السجناء الفرس ، سنحاريب وقواده الخمسة وإعادتهم إلى بلادهم ليذروا قومهم بما حل بهم وبجيشهم من فناء . كان كبير قواد الملك سنحاريب ، هو القائد الفارسى بوختنصر ، الذى امتلأ قلبه حقداً وغيظاً من بنى إسرائيل لما فعلوه بهم من إهانات وتحقير وتعذيب .

مات الملك حزقيا ففرح بنو إسرائيل لموته فهم لا يريدون حكما عادلا ولا إقامة لحق من حقوق الله . كرهوا العدل والحق اللذين طبّقهما الملك حزقيا خلال مدة حكمه . بدأوا فى مخالفة أحكام التوراة ، فانتشر الفساد بينهم . كلما نصّحهم نبيّهم شعيا بمراعاة حقوق الله ، والكفّ عن المعاصى ، أهانوا نبيّهم وسبّوه . حاول شعيا عليه السلام تذكيرهم بنعم الله عليهم ، فهتفوا ضده ، ثم أمسكوه فعذبوه وضربوه ثم قتلوه بعد تعذيبه .

عاش بنو إسرائيل بلا ملك ولا نبيّ ، يفعلون كل ما يحلو لهم من فجور ومعصية ، فكثر بينهم الفتن وهم يعتقدون أن الدنيا أصبحت لهم وحدهم ، نسوا دينهم وفعلوا كل ما حرّمه الله عليهم . كانت هناك فئة قليلة من الناس الصالحين ، من بينهم رجل صالح يدعى أراميا فاختره الله عزّ وجلّ ؛ ليوحي إليه . أوحى الله إلى أراميا عليه السلام بأن يخبر بنى إسرائيل بأنهم نسوا عبادة الله ونسوا كيف أكرمهم الله ونجّاهم من عدوهم ، وأن أحبارهم غيّروا من تعاليم التوراة وعبدوا غير الله ، فكان الناس يسخرون ويستهزئون من كلامه ونصحه .

أوحى الله إلى أراميا أن يخبر بنى إسرائيل بأنه سيبيّث عليه بملك جبار قاسٍ يُخرّب بلادهم . فقال لهم أراميا أن الله سوف يبدّل العزّ والنعم التى أنعم بها عليهم إلى ذلّ وعبودية ، وأن الله سوف ينزع البركة عنهم .



خرّ أراميا ساجدا لله يبيكى ويتضرّع لخالقه أن يرحمهم ، فأوحى له الله أنه سوف يسلط عليهم عبدة النار الذين لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقاب الله . تشفع أراميا لقومه فأوحى له الله أنه قد أنذرهم بعد أن أكرمهم وأن الله صبر على مكرهم وعنادهم ولم يحرمهم من بركته ، فلم يزداهم ذلك إلا طغيانا وكفرا وابتعادا عن طريق الله .

حاول أراميا تحذير قومه من غضب الله عليهم فقالوا له أنه كاذب ، يزعم أن الله سوف يهدم مساجده ويحرق كتبه ، وتساءلوا بكفرهم : ومن يعبد الله فى الأرض بعد ذلك ؟ واتهم بنو إسرائيل نبيهم أراميا بالجنون ، فأمسكوا به ثم أخذوه فعذبوه ثم رموا به فى السجن .

\*\*\*\*\*

مات الملك الفارسى سنحاريب فتولّى الملك بعده بوختنصر ، الذى لم ينس ما فعله به اليهود فملأ الحقد قلبه ضدهم وبدأ يعد العدة للانتقام منهم . اختاره الله بعزته فأدخل فى قلبه الكراهية لليهود ، ليعذب بنى إسرائيل على يديه . اختاره الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه كافر يعبد النار ولا يخاف عذاب الله ولا يرجو رحمة ربه . قرر الملك الفارسى أن يمشى بجيش كبير إلى بيت المقدس ليعذب اليهود الذين أهانوه وحرقوه وعذبوه ثم سجنوه .

سار بوختنصر بجيشه الهائل إلى بيت المقدس فدخل المدينة وجاس خلال الديار ، يحطمون بيوت الله ويحرقون بيوت بنى إسرائيل ويخربونها بعد قتل ما فيها من رجال . دخل الجنود مساجد اليهود فحرقوا كل ما بها من كتب التوراة ونهبوا الأموال والجواهر التى كانت فيها .

قتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال ، وتركوا العجائز والشيخوخ . ساق جيش الفرس أمامهم الأسرى اليهود إلى بابل فوضعوهم فى السجون .

لم يجد العجائز والشيخوخ فى بيت المقدس مكانا يقيمون فيه ، فانتشروا مسافرين إلى كل مكان وتركوا المدينة خاوية تشتعل فيها الحرائق وتهدم فيها

البيوت ، لم يعد بها أكل ولا ماء نقى يشربونه . لا زرع ولا أنعام . خرب بوختنصر وجيشه كل شىء فى بيت المقدس عقابا من الله سبحانه وتعالى لبنى إسرائيل على كفرهم وظلمهم ، وتحقيقاً لوعده الله لنبيه أراميا .

\*\*\*\*\*

كان من بين الشيوخ الذين خرجوا من بيت المقدس بعد خرابها رجل صالح مؤمن من بنى إسرائيل ، يحفظ التوراة عن ظهر قلب ، وكان الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعوته إذا ما دعاه ، فيحقق له ما دعا به . كان ذلك الشيخ يدعى : عزير بن جروة . ركب عزير حماره خارجاً من بيت المقدس ، فمشى حتى بلغ تلاً مرتفعاً يرى منه مدينته وهى تحترق بعد أن تهدمت . دخل عزير بيتاً متهدماً فوق التل ، وترك حماره أمامه ووضع سلّة معه بجواره فيها القليل من ثمار التين وبعض العنب وقليل من الخبز اليابس . جلس عزير إلى جوار الحائط فأخرج إناءً وعصر فيه ما معه من عنب ، ثم وضع فى العصير قطعاً من الخبز اليابس استعداداً لأكله .

نظر عزير إلى المدينة الخربة وقال يحدث ذاته : كيف يحيى الله هذه المدينة مرة أخرى بعد موتها ؟

فأرسل الله سبحانه وتعالى ملك الموت فقبض روح عزير وهو فى جلسته . أماته الله .

مرت السنون ومات بوختنصر ، فتولّى ملك آخر حكم بلاد الفرس . بلغه أن مدينة بيت المقدس قد أصبحت خراباً وكثرت الوحوش فى المدينة المهجورة التى لا يسكنها إنسان .

نادى الملك الأسرى من اليهود الذين أسره وسباهم بوختنصر وقال لهم : من يشأ منكم أن يعود إلى بيت المقدس فليرحل إليها .

قام ملك فارس باختيار واحد من اليهود وعيّنه ملكاً على اليهود وأمره أن يعيد بناء مدينة بيت المقدس وإعادة بناء مسجدهم . أعطاهم مالا وتركهم

يعودون إلى المدينة . بدأوا فى إعادة البناء بها حتى عادت مدينة من جديد .  
أزالوا المباني المتهدمة والمحترقة واستبدلوها بمنازل جديدة بدلا عنها .

مرّت مائة عام ، فأرسل الله سبحانه وتعالى ملكاً إلى عُزير ، فأعاد الله خلقه من جديد . وسأله الملك عن المدة التى لبث فيها فى ذلك المكان ، فأخبره عُزير أنه لبث يوماً أو بعض يوم . فقال له الملك أنه لبث فى مكانه مائة عام وأن الأكل والشراب أمامه لم يتغير طعمهما ولم يفسدا ثم سأله أن ينظر إلى عظام حماره ، وأن الله سيعيده إلى الحياة ليريه قدرة الله سبحانه وتعالى فى إحياء الموتى .

**قال عُزير :** أعرف أن الله قادر بعزته على كل شىء . يحيى الموتى متى يشاء .

\*\*\*\*\*

**نظر الجد إلى أحفاده وقال لهم :** تعرفون قصة عُزير التى سبق وأن قصصتها عليكم عندما تحدثنا عن قصص الأنبياء . نزل عُزير إلى قريته وذهب إلى بيته ودعا الله لخدمته العمياء الكسيرة فشفاه الله . وتعرفون كيف تعرف أبناء وحفدة عُزير عليه ، وكيف استطاع أن يقرأ عليهم التوراة التى كان هو الوحيد الذى يحفظها بعد فناء أحبارهم وضياع كتب التوراة .

**قال الجد :** عندما استعاد اليهود التوراة على يد عُزير كفروا بالله العظيم ، فقالوا : إن عُزير هو ابن الله . كفر اليهود فقالوا : إن موسى عليه السلام جاء بالتوراة مكتوبة فى ألواح من عند الله ، إنما جاء عُزير بها من غير كتابة . دخلوا بذلك القول فى الشرك العظيم بالله الواحد القهار فوق عباده .

\*\*\*\*\*

(١٠)

رحمة الله بالمؤمنين

دخل الأحفاد غرفة جدّهم بعد استئذانه . رحّب بهم الشيخ كعادته وأجلسهم حوله ؛ ليستمعوا إلى حديث كل مساء ، وقصصه التي تشرح لهم العبر فيما أنزله الله من آيات كريمات في القرآن الكريم .

**قال لهم جدّهم :** اليوم إن شاء الله هو آخر الأيام التي أحكى لكم فيها بعض القصص التي نزلت في سورة البقرة المليئة بالقصص الأخرى عن الأنبياء عليهم السلام ، والتي سبق أن درسناها من قبل .

**قال الجدّ الشيخ بعد لحظة :** اليوم إن شاء الله سنتحدث عن خواتيم سورة البقرة، ففي آياتها الرحمة التي أنزلها الله على عباده المؤمنين . أتدرون ماذا قال رسول الله ﷺ عن آخر آيتين في سورة البقرة ؟

قال عليه الصلاة والسلام : « أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » — أو كما قال ﷺ . هذا القول يبين لنا مدى محبة رسولنا لهاتين الآيتين ويبين لنا البركة التي وضعها الله ربّ العرش العظيم فيهما . عليكم بحفظهما وتلاوتهما كل مساء قبل نومكم ، حفظكم الله من كل شرّ . دعونا لا نستبق الأحداث .

**أشار الشيخ إلى أحد الأحفاد وقال له :** اقرأ لنا الآية رقم ٢٨٤ من سورة البقرة ، ودعوا مصاحفكم مفتوحة .

قرأ الفتى بعد أئ استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تَخَفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الشيخ لأحفاده :** نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ، التي يخبرنا فيها المولى عزّ وجلّ أنه سوف يحاسب الناس على كل ما يفكروا فيه من عمل أو قول ، عملوه أم لا . قالوه أو سكتوا عنه . مجرد التفكير في العمل خيرا أو

شرّاً ، فسوف يحاسب الله عباده عنه ، ثم يغفر لمن يشاء أو يعذب من يشاء ، فالله على كل شيء قدير .

سكت الشيخ لحظة ، ثم قال : أحدثكم الآن عما جرى بعد نزول هذه الآية الكريمة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ ، فعلم بها الصحابة رضى الله عنهم فتغيّرت وجوههم خوفاً وهلعاً من عقاب ربّهم . لا يمكن للإنسان أن يسيطر على فكره كل وقت فالنفس أمّارة بالسوء ، والشيطان دائم الوسوسة للإنسان . قد يفكر الإنسان فى الشرّ أو فيما يغضب الله سبحانه وتعالى ، لكن ما يفعله المؤمن عندما يحدث له ذلك هو أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يطرد الخاطر بالشرّ من عقله . لا يتحدث به أو يعمل به .

فلما نزلت هذه الآية قال الصحابة : لقد هلكنا . سوف يحاسبنا الله عزّ وجلّ على كل ما نفكر فيه .

ذهب الصحابة رضوان الله عليهم إلى رسول الله ﷺ ، فأحاطوا برسول الله ثم جثوا على ركبهم .

وقالوا لرسولهم ﷺ : يا رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطبق . الصلاة فصلينا . والصيام فصمنا ، والجهد فى سبيل الله فجاهدنا . إعطاء الصدقات فتصدّقنا عن طيب خاطر . وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية . إننا لا نقدر على أن نطبقها يا رسول الله .

قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ؟ قالوا : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

عندما سمع الصحابة ، رجال رسول الله ﷺ المؤمنون ، ما قاله رسولهم رددوا وراءه : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

ثم قال الصحابة للنبي ﷺ : يا رسول الله ، لقد كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل ، وأما قلوبنا فليست بأيدينا .

قال لهم رسول الله ﷺ : « إن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل » .

فمشى الصحابة عن رسولهم وقلوبهم عامرة بالإيمان ، راضين بأمر الله ، طائعين لمشيئة خالقهم فيما يقرره لعباده .

\*\*\*\*\*

رحمة الله لا حدود لها . عندما رضى الصحابة بما قاله له رسولهم أنزل الله عز وجل الآية ٢٨٥ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ صدق الله العظيم .

هذه الآية هي تكريم لرسول الله ﷺ فيما قاله ، وكذلك هي تكريم أيضا لصحابه رسول الله ﷺ ، الذين أقرّوا بالسمع والطاعة لله ولرسوله ، فهدأت قلوبهم واستكانوا راضين لأمر الله ورسوله .

رضاء الله سبحانه وتعالى عن العبد الصالح المؤمن يفتح له كل أبواب رحمة الخالق جلّ وعلا ، التي لا حدود لها . عندما رضى الصحابة بحكم الله عز وجل جاءت رحمة الله الواسعة لهم وللمسلمين جميعا ، فنزلت آخر آيات سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

لقد نسخ الله سبحانه وتعالى برحمته بنزول هذه الآية ما جاء في الآية ٢٨٤ ، بأن حساب الإنسان سوف يكون على ما يقوله أو يفعله وحسب ،

لا يحاسبه على ما يفكر فيه أو ما يوسوس له به الشيطان . تلك هي رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ومغفرته ورضوانه عليهم ، فنانا نحن المسلمين من رضاء الله عليهم نصيب كبير ، رحمهم الله ورضى عنهم ، وصلى الله على رسوله وسلم ، النبي الكريم الذي أطاع الله ، وعلم أصحابه أسس عبادة الرحمن الرحيم ، وأولها الطاعة الكاملة للخالق الغفار . طاعة عمياء ، واثقا ﷺ من ربه ورحمته وكرمه ولطفه بعباده .

إن الآية الأخيرة من سورة البقرة تتضمن دعاءً يجب على كل مسلم أن يردده دائماً وفي كل وقت .

\*\*\*\*\*

**نظر الشيخ إلى أحفاده وقال لهم :** عليكم أن تحفظوا خواتيم سورة البقرة . اقرؤوها دائماً في كل وقت . قبل نومكم وعند استيقاظكم . فيها كل البركة والرحمة من خالق السماوات والأرض ، سبحانه ربنا العظيم .

**قال الجد :** ها قد انتهينا من أحسن القصص التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ، أطول سور القرآن الكريم . سوف نبدأ غداً إن شاء الله في سرد باقي القصص في آيات قرآننا المجيد ، والحمد لله أولاً وآخراً .

\*\*\*\*\*



(١١)

معجزة القلم

دعا الجدّ أحفاده للقاءه فى غرفته ، بعد أن تأخّر حضورهم إليه كعادتهم . سألهم عمّا أخرهم عن الحضور ، فاعتذروا له . كانوا يصلّون جماعة ، ويؤمهم الحفيد الأكبر . دعا لهم الشيخ ، ودعاهم للجلوس حوله .

**وقال لهم :** نبدأ اليوم إن شاء الله فى استكمال أحسن القصص من القرآن الكريم . وقصة اليوم تبدأ بقصة السيدة مريم البتول عليها السلام . والبتول هى العذراء .

**أشار إلى حفيد من أولاده وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى فى سورة آل عمران الآيات من ٤٢ إلى ٤٤ .

قرأ الولد بعد أن استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقال : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ \* ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

**دعا الشيخ لفتى وإخوته ، ثم قال لهم :** الله غالب على أمره دائماً يا أولادى . سبحانه وتعالى يدبّر الأمر ولا معقّب لحكمه أبداً . وفى قصة خلق السيدة العذراء مريم عليها السلام ، ثم نشأتها وتقواها وطاعتها لخالقها ، الشرح الوافى لقدرة الله سبحانه وتعالى التى لا حدود لها . إن الرضا بحكم الله هو طريق الإنسان الوحيد للفوز بنعم الله وحسن الجزاء من الرحمن الرحيم . سأحدث الآن عن بعض ما مرّ على مريم عليها السلام من أحداث منذ مولدها ، وبعض المعجزات التى صادفتها فى نشأتها وكيف أعدّها الله عزّ وجلّ للرسالة التى خلقت من أجلها ، وكيف أحاطها الله سبحانه

وتعالى بالبركة منذ مولدها .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، كانت السيدة حنة بنت فاقود زوجة رجل صالح يدعى عمران بن باشم ، من نسل داود عليه السلام . كان عمران هو الذى يؤدى الصلوات أمام بنى إسرائيل فى المسجد . كانت حنة عاقرا لا تلد ، وعُرفت بين قومها بأنها من العابدات الصالحات من بنى إسرائيل المشهورات بالتقوى والورع . كانت واقفة يوما فى نافذة بيتها فرأت طائرا يطعم فرخا له ، ويضع الطعام فى منقاره ، فتمنت أن يكون لها طفل .

قامت تصلى لله وتدعوه أن يرزقها ولداً ونذرت إن استجاب الله لدعائها أن تقدم ابنها إلى المسجد ليقيم فيه بعد فطامه ليعلم ذلك المسجد . كانت السيدة حنة تقصد المسجد الأقصى عندما نذرت لله أن تهب ابنها له ليعلمه . استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء حنة ، فحملت ثم وضعت أنثى .

فكانت تخاطب ربها سبحانه وتعالى وتقول : يا رب ، لقد وضعت أنثى ولم أضع ولدا . ولقد أسميت ابنتى مريم .

وتذكرت المرأة الصالحة ما نذرته لله عز وجل فكانت تناجى ربها : إنك تعلم يا رب أن الأنثى ليست كالولد ، لكننى سأوفى بنذرى لك يا رب . ولسوف أهبها لخدمة المسجد .

ثم ألهمها الله سبحانه وتعالى أن تدعوه بأن يعيد ابنتها مريم عليها السلام وذريتها من الشيطان الرجيم . واستجاب الله بقدرته وعزته إلى دعاء أم مريم ، فأعاد مريم البتول وذريتها ، التى انحصرت فى السيد المسيح ابن مريم ، من الشيطان الرجيم .

\*\*\*\*\*

بعث الله سبحانه وتعالى بالأنبياء إلى بنى إسرائيل ، عسى أن يهتدوا  
ويطيعوا ما ينقله إليهم أنبياء الله من الوحي بضرورة التمسك بأصول الدين  
الذى أنزل على موسى عليه السلام . يعرف الله سبحانه وتعالى أن بنى إسرائيل  
متمردون بطبعهم ، فكان الخالق الرحيم يبعث إليهم بالأنبياء عسى أن يهتدوا .

عُرف زكريا بن برخيا عليه السلام وسط قومه بالتقوى والورع ، وكان هو  
النبي في بنى إسرائيل فى ذلك الحين . كان يجمع علماء بنى إسرائيل  
وأخبارهم حوله كل يوم ، يدرسون كلام الله ووصاياه التى أنزلها على  
موسى عليه السلام ، وينقل إليهم ما يوحى به الله لنبيه .

كان زكريا عليه السلام نجارا ، يعمل بيده فيأكل من كسبها ، ويكتفى بالرزق  
القليل الذى يبعثه الله إليه ، راضيا بنعم الله عليه ، ويخصص أكثر وقته  
بعد العمل فى العبادة والصلاة . تزوج سيدنا زكريا عليه السلام من السيدة أشياع  
أخت السيدة حنة . ولم يرزق زكريا وزوجته بالأبناء ، فصبرا على حكم الله  
وإرادته ، راضين بحكمه وحكمته عز وجل .

أتمت السيدة حنة فطام ابنتها مريم عليها السلام ، فقدمتها إلى المسجد  
لكى تقيم فيه ، توفى نذرها الذى نذرت له سبحانه وتعالى . قدمتها لزوج  
أختها نبي الله زكريا عليه السلام لتتعلم العبادة وخدمة المسجد . اختار زكريا  
عليه السلام مكانا شريفا للبتول مريم لتقيم فيه بالمسجد ، لا يدخله أحد سواها  
وتقوم فيه بما يجب عليها من خدمة المسجد . تتعبد ليلا ونهارها حتى  
أصبحت مضرب الأمثال فى عبادتها وتقواها بين بنى إسرائيل .

\*\*\*\*\*

كان النبي زكريا عليه السلام يدخل إلى مريم عليها السلام فى مكان عبادتها ،  
وكلما زارها رأى عندها رزقا غريبا . يجد فاكهة الشتاء خلال أشهر الصيف  
الحارة ، ويجد فاكهة الصيف فى أشهر الشتاء الباردة .

فيسألها : من أين لك هذا الرزق يا مريم ؟

فتقول السيدة العذراء : إنه من عند الله .

تأكد زكريا ﷺ أن الله سبحانه وتعالى وضع فى المكان الذى تتعبد فيه مريم عليها السلام بركة لا تعادلها بركة أخرى ، فطمع زكريا ﷺ فى رحمة ربه .

فوقف يدعو الله من المكان الذى تقف فيه مريم ويقول : يا رب . يا من رزق مريم الثمر فى غير أوانه ، هب لى ولداً وإن كان فى غير أوانه .

كان زكريا ﷺ قد بلغ من كبر سنّه ما لا يرجو رجل أن ينجب وهو فى ذلك العمر ، وكانت زوجته فى مثل سنّه وعاقرا لا تلد . كان النبىّ زكريا ﷺ يعرف قدرة الله عزّ وجلّ فدعا بكل الإيمان فى مهبط البركة عند مريم عليها السلام ، يسأل الله تعالى أن يهبه ابناً يرث زكريا فى الحكم والنبوة ، فهو من سلالة آل يعقوب .

\*\*\*\*\*

أدرك أحبار وعلماء اليهود مدى البركة والخير الذى يحيط بمريم ، فتنازعوا فيما بينهم ، كل منهم يريد أن يكفل مريم ويرعاها لينال شيئا من البركة التى تحيط بها وبالمكان الذى تتعبد فيه ، لا يدخله إلا من يكفلها ، ولا يدخله أحد غيره . اشتد النزاع بين الأحبار اليهود على كفالة مريم عليها السلام .

قال أحدهم : دعونا نقترح فيما بيننا على من يكفل مريم .

وافقوا على الاقتراح فيما بينهم بأقلامهم . كان لكل عالم أو حبرٍ منهم قلم يكتب به ، ويعرف به .

جاءوا بسلّة ، ووضع كل عالم قلمه بها ، وطلبوا من طفل صغير أن يستخرج أحد الأقلام منها ؛ ليكون صاحبه هو من يكفل مريم . سحب الطفل قلمًا ، فكان قلم زكريا ﷺ .

لم يرض علماء اليهود بذلك الاقتراع كعادتهم ونشب النزاع مجدداً بينهم .

**فقال أحدهم :** دعونا نرمى بأقلامنا فى النهر . القلم الذى يجرى خلاف جريان تيار الماء يكون هو الغالب وصاحب الحق فى كفالة مريم .

اندهش العلماء من الاقتراح فكيف يجرى القلم الخشبى عكس تيار الماء؟ لكنهم وافقوا فى النهاية على الرمي بأقلامهم فى النهر . جرت كل الأقلام الخشبية مع التيار ، إلا قلم زكريا عليه السلام ، فقد جرى عكس التيار وسط دهشة الجميع .

**قال لهم زكريا عليه السلام :** ها هو الله سبحانه وتعالى يجعل قلمي يجرى على عكس التيار . إن الله يريد كفالة مريم لى .

ثار أحبار اليهود وطلبوا إعادة الاقتراع للمرة الثالثة .

**قال أحدهم :** دعونا نرمى بالأقلام مرة أخرى فى النهر ، ومن يتحرك قلمه مع التيار ، يكون هو الكافل لمريم فى المسجد .

رمى علماء وأحبار اليهود بأقلامهم فى ماء النهر ، فكان قلم زكريا عليه السلام هو الذى جرى مع الماء بينما ثبتت باقى الأقلام ، فكان هو الغالب لهم . غضب العلماء من فوز زكريا عليه السلام بالاقتراع فى المرات الثلاث ، فرموا أقلامهم غيظاً . وتولى زكريا عليه السلام كفالة العذراء مريم عليها السلام .

\*\*\*\*\*

(١٢)

معجزات المسيح عليه السلام

جلس الجدّ وحوله أحفاده ، يمسك كل منهم بمصحفه ، ينتظرون قول جدّهم للبدء فى سرد قصة اليوم من أحسن القصص التى أنزلها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم .

**قال الجد:** سوف أقص عليكم اليوم إن شاء الله مجموعة من قصص المعجزات التى وهبها الله سبحانه وتعالى للسيد المسيح ﷺ . كان مولده ﷺ معجزة وآية فى حد ذاتها ؛ إذ خلقه الله عزّ وجلّ من مريم عليها السلام بدون أب له . وحكمة الله البالغة فى هذا الأمر ، والعلم كّلّه لله رب العالمين ، أن المولى عزّ وجلّ أراد أن يثبت لليهود الذين برعوا فى ذلك الزمان فى علوم الطب أن علمهم لا يساوى شيئاً أمام علم الخالق سبحانه وتعالى . بدأ خلق عيسى ﷺ بمعجزة كبرى ، ثم أتبعها بمعجزة ثانية ، وهى إنطاقه بالكلام وهو وليد ، عسى أن يتفكر بنو إسرائيل فى قدرة الله سبحانه وتعالى .

**قال الجد للأحفاد، وقد لاحظ مدى انتباههم لما يقول :** لقد كانت حياة السيد المسيح ﷺ سلسلة متّصلة من المعجزات ، منذ مولده وحتى وفاته ورفعته إلى السماء . والآن دعونا لا نستبق الأحداث . سوف نتكلم عن معجزات رسول الله عيسى ابن مريم ﷺ فى الفترة ما بين معجزة مولده ، ومعجزة وفاته .

**أشار الجد إلى أحد الحفدة وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى فى سورة آل عمران من الآية ٤٨ إلى الآية ٥١ :

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم فتلا : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِّنَ



التَّوراةِ ولأحلَّ لكم بعضَ الَّذي حرَّم عليكم وجئتكم بآيةٍ من ربِّكم فاتَّقوا اللهَ وأطيعون \* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجدة:** لا تظنوا أن الله سبحانه وتعالى وهب السيد المسيح عليه السلام المعجزات وحده . لقد زوّد الله رسله وأنبياءه بالمعجزات ، كل آية أو معجزة مع رسول أو نبي كانت تناسب القوم الذين وُجد معهم ذلك النبي . وكان كل الأنبياء والرسل يرجعون معجزاتهم إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، تثبيتاً من الخالق عزّ وجلّ للأنبياء ورسالتهم لقومهم . لكن رسولنا محمد صلى الله عليه وآله بُعث لكل الخلق من الإنس والجن ، ومعجزته الباقية حتى يوم القيامة يحفظها الله ، وهى القرآن الكريم . انتهت المعجزات التى جاءت مع كل الرسل والأنبياء بعد موتهم ، أما معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله فبقيت ، وستبقى بإذن الله حتى يوم القيامة .

**سكت الشيخ للحظة ثم قال :** المعجزات هى شىء خارق للعادة ، فوق قدرة المخلوق ؛ لأنها من عند الخالق سبحانه وتعالى . يهبها لمن يشاء من عباده عندما يريد . لقد أعطى الله عزّ وجلّ لرسوله إبراهيم عليه السلام القدرة على إحياء الموتى عندما نادى على الطير المذبوح ليلتئم لحمه ودمه وعظمه ويعود إلى الحياة . كان نداء أبى الأنبياء لإحياء الطير أن يجتمع بأمر الله . كذلك موسى عليه السلام عندما أحيا الله القتيل على يديه ، كان الرسول ينقل إلى الناس وحى الله عزّ وجلّ له وأوامره . عندما نادى على القتيل ليقوم قال : قم بإذن الله . وكذلك السيد المسيح عليه السلام كان يأتى بالمعجزات المتلاحقة وهو يقول بإذن الله دائماً . وليست معجزة رفع السيد المسيح إلى السماء هى الوحيدة للأنبياء عليهم السلام ، فكما قصصت عليكم قصة إدريس عليه السلام، عرفتم كيف أن الله سبحانه وتعالى رفعه إلى السماء فى مكان على . وأعتقد يا أولادى أن إنقاذ سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار، وقدرة الخالق العظيم سبحانه فى تغيير طبيعة النار الحارقة لتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم

هى من المعجزات الإلهية الكبرى للبشر ، ليؤمنوا بقدرة الله سبحانه وتعالى على أن يقول للشئ: كن فيكون .

\*\*\*\*\*

والآن بسم الله الرحمن الرحيم ، وُلد السيد المسيح فطارت الشياطين لترى الإنسان الجديد ، فوجدته فى حجر أمه ، والملائكة حولهما تحرسانهما ففرت بعيدا عنهما . عرفوا أن الله قدّر أن يعيدهما من الشياطين .

ظهر نجم كبير فى السماء فخاف ملك الفرس من ظهوره وسأل كهنته عن ذلك الأمر فقالوا له أنه علامة على ولادة رجل عظيم فى الأرض سيكون له شأن كبير . أرسل ملك الفرس عيونه فى كل مكان ، فعرفوا بمولد نبيّ الله عيسى ﷺ وكلامه فى المهد ، فقرر الملك أن يبعث بالهدايا إلى السيد المسيح وأمه . علم ملك الشام بالأمر وهو يرى هدايا ملك الفرس فى طريقها إلى فلسطين ، فقرر ملك الشام قتل المسيح ، وعلمت مريم عليها السلام بنية ملك الشام فى قتل المسيح ، فقررت الهروب إلى مصر .

سافرت مريم البتول وعلى يديها الطاهرتين رسول الله عيسى ﷺ، هاربة إلى مصر ، ونزلا فى بيت كبير التجّار الذى كان يُخصص فى بيته مكانا للفقراء والمحتاجين ، ليأكلوا ويناموا فيه ، ضيوفا على الرجل . افتقد كبير التجّار يوما مالا فى بيته ، وأنكر الموجودون بالدار معرفتهم بالسارق ، فعزّ ذلك على مريم رضى الله عنها أن يُتهم قوم هى والمسيح ﷺ فيهم . رأى السيد المسيح الضيق على وجه أمّه ، فذهب إلى رجلين من المقيمين معهم ضيوفا على كبير التجّار ، أحدهما كفيف لا يرى ، والثانى كسيح .

قال السيد المسيح ﷺ للرجل الكفيف : احمل هذا الكسيح كما فعلتما حين خبأتما المال فى هذه الفتحة فى السقف .

فعل السيد المسيح ذلك وهو طفل ؛ ليزيل الحرج عن أمّه ، فعظم أمره ﷺ وهو لا يزال طفلا صغيرا .

كبر المسيح قليلا ، فكان يلعب مع الأطفال فى سنّه ، فكان يقول لأحدهم : إن كان يريد أن يعرف ما خبأته أمه من طعام ؟ فيلجّ الطفل لمعرفة ذلك الأمر ، فيخبره عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيذهب الطفل إلى أمه فيطلب منها أن تطعمه مما خبأت له . تسأله الأم عن الذى أخبره فيقول لها : عيسى ابن مريم . ولما تكرر ذلك الأمر مع الصبية تشاور الأهل معا وقرروا إبعاد أولادهم عن عيسى ابن مريم . جمعوهم فى بيت وأغلقوا عليهم الباب .

بحث المسيح عن الأطفال فلم يجدهم كعادتهم كل صباح ، وسمع أصواتهم فى أحد البيوت ، فسأل عن تلك الأصوات .

**فقالوله :** الأطفال ليسوا هنا . هذه الضوضاء صادرة عن قردة وخنازير .

**فقال السيد المسيح :** اللهم كذلك .

فمسخهم الله قردة وخنازير ؛ إكراما لرسوله عيسى ابن مريم عليه السلام . بلغ السيد المسيح ثلاث عشرة سنة من عمره وهو فى مصر ، فأمره الله أن يرجع إلى بيت المقدس . بعثت مريم إلى أهلها تخبرهم برغبتها فى العودة ، فجاءهما يوسف النجار على حماره ، واصطحبهما فى رحلة مباركة من مصر إلى بيت المقدس حيث أقام السيد المسيح .

\*\*\*\*\*

علّم الله سبحانه وتعالى رسوله عيسى ابن مريم التوراة ، ثم أنزل عليه الإنجيل ، ووهبه المقدرة على إحياء الموتى وإبراء الأمراض والعلم بما يدّخر الناس فى بيوتهم . كان السيد المسيح يمارس تلك القدرات بإذن الله ، عسى أن يؤمن بدعوته اليهود الذين اشتهروا فى تلك الأيام بنبوغهم فى الطب والتداوى ، لكن معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام التى أعطاهها الله له كانت فوق قدراتهم كأطباء . وعلى الرغم من ذلك فلم يؤمن برسالة المسيح معظم أولئك الأطباء . انتشر أمر السيد المسيح بالمعجزات التى يأتى بها أمامهم بإذن الله ، فكان يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

لم يكن للمسيح بيت يأوى إليه ، وإنما يسبح في الأرض يدعو الناس في ترحاله إلى عبادة الله ويعالج المرضى فيشفاهم بإذن الله فيدعوهم للإيمان بالله العظيم الرحمن الرحيم ، وكلما مشى عيسى ابن مريم في الأرض كلما صدقه وآمن برسالته قوم كثير من الفقراء والضعفاء الذين رأوا فيه المثل في التقشف والزهد في الدنيا .

مرّ المسيح يوماً فوجد امرأة جالسة عند قبر وهى تبكى ، فسألها عما بها وما يبكيها .

**فقالت له :** ماتت ابنتى ولم يكن لى ولد غيرها . وإنى عاهدت ربّى أن لا أبرح موضعى هذا حتى أذوق ما ذاق من الموت أو يحييها الله فأنظر إليها . فسألها المسيح إن كانت ترجع إلى بيتها إذا ما نظرت إلى ابنتها ؟ فوافقت المرأة وعاهدت عيسى ابن مريم على ذلك .

قام السيد المسيح فصلّى لله ، ثم جاء عند القبر ونادى البنت أن تقوم بإذن الله ، ثم تخرج بإذن الله الرحمن الرحيم . انشقّ القبر وخرجت البنت الميتة تنفض التراب عن رأسها .

**وقالت لأُمها :** يا أمّاه ، ما الذى دفعك إلى أن أذوق كرب الموت مرتين ؟ اصبرى واحتسبى لأمر الله .

**وقالت للسيد المسيح :** يا روح الله وكلمته ، سلّ ربّى أن يردّنى إلى الآخرة وأن يهوّن علىّ كرب الموت .

دعا السيد المسيح الله ، فاستوت الأرض فوق البنت ، وقامت الأم ذاهبة إلى بيتها تبكى ابنتها ، مؤمنة بالسيد المسيح ، شاكراً لربّها نعمته .

بلغ اليهود ما حدث للمرأة ، التى ظلت تروى قصتها لكل من يقابلها ، فازداد حنقهم وغيظهم وكراهيتهم للسيد المسيح الذى يأتى بالمعجزات ، فيزداد عدد المؤمنين به كل يوم .

ازدادت كراهية اليهود للسيد المسيح ﷺ ، وكان من أغلظهم قلبا وأكثرهم كراهية لعيسى ابن مريم ﷺ ، يهودى يعيش فى دمشق يسمّى بولص . كان يتعقب كل من يؤمن بالمسيح فيعذّبه ثم يقتله . وكان من بين المؤمنين رجل دمشقى صالح يدعى حنيا فخاف من بطش بولص ، فهرب إلى الجبال يختفى فيها . عرف بولص أن السيد المسيح يتنوى زيارة دمشق ، فقرر الخروج إليه لقتله . واجه بولص عيسى ابن مريم ﷺ ، والله يعلم ما فى قلب بولص ، فجاء مَلَكٌ وضرب وجه بولص فأعماه . ركع بولص أمام المسيح وبكى واعتذر عن قصده بالسوء تجاه رسول الله وأعلن إيمانه بالمسيح . سأله بولص أن يرد عليه بصره .

**فقال له عيسى ابن مريم ﷺ : اذهب إلى حنيا فى دمشق ، ودعه يدعو لك فيرد الله عليك بصرك .**

عاد بولص إلى دمشق وبحث حتى وجد حنيا ، فدعى الله أن يرد على بولص بصره ، فردّه الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*

اشتدت عداوة اليهود للسيد المسيح ﷺ فبَيَّتُوا النِّيَّةَ على قتله والتخلص منه بعد ازدياد عدد أتباعه . أوحى الله إلى رسوله بأنه سيتوفاه ثم يرفعه إلى السماء . جمع السيد المسيح اثنى عشر رجلا من الحواريين ، فاستقبلهم وغسل لهم أيديهم وأرجلهم ، وهو يقول لهم أنه يخدمهم ويطلب منهم أن يكون لهم أسوة حسنة ، فلا يتعالوا أو يتعاضموا على الآخرين . وبدأ السيد المسيح يعظهم ويخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى سوف يتوفاه ويرفعه إلى السماء . طلب من أحدهم أن يقبل إلقاء الشبه بعيسى عليه . وألقى شبه عيسى عليه بأمر الله . وأخبرهم عيسى أن أحد الحواريين سوف يبيعه قبل الفجر بدراهم قليلة . تفرّق الحواريون ، ورفع الله بعزته عيسى ابن مريم إلى السماء .

كان اليهود يبحثون عن المسيح ﷺ فى كل مكان ، فدللهم على مكانه أحد الحواريين ويدعى يهوذا كرايوطا ، مقابل ثلاثين درهما . هجم اليهود على المكان فأخذوا من ألقى عليه شبه السيد المسيح ، فعذبوه ثم صلبوه بعد رميه بالشوك والقاذورات . شعر كرايوطا بمدى الجرم الذى ارتكبه ، فقتل نفسه .

\*\*\*\*\*

جلست السيدة مريم بنت عمران عليها السلام تحت قدمى الرجل المصلوب الذى حسبته ابنها السيد المسيح وهى تبكى حزنا وألما . جاءها سيدنا جبريل ﷺ يخبرها بأن الله سبحانه وتعالى قد رفع المسيح إلى السماء وطهره من الذين كفروا ، وأن المصلوب شبيه لعيسى . طلب منها جبريل ﷺ أن توافيه مريم عند حديقة حدها لها وفى موعد معين لتقابل ابنها عيسى ﷺ .

ذهبت البتول ، فأسرع إليها المسيح يُقبل رأسها ويدعو لها كما كان يفعل طوال حياته ، ثم رفعه الله إلى السماء مرة أخرى بأمر الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*

(١٢)

**فتنة اليهود**

أحاط الأحفاد بجدهم يجلسون حوله وفي يد كل منهم مصحفه ، يستعدون لسماع قصة جديدة من الشيخ كعادتهم كل مساء . رَحَّبَ بهم الجدّ .

**وقال لهم :** قصة اليوم تدور حول إحدى الفتن التي حاول اليهود في المدينة إيقاعها بالمسلمين الذين آمنوا بمحمد رسول الله ﷺ . فقد لاحظ اليهود كيف استطاع رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يجمع المسلمين كلهم في بوتقة واحدة تضمهم - الإسلام الحنيف - فنسوا ما كان بينهم من عدااء قبلى ، ووقفوا صفًا واحدًا خلف محمد ﷺ . وقد استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يطفى نار الفتنة التي حاول اليهود إشعالها بين المسلمين . وقد أنزل الله عزّ وجلّ آيات كريمات في هذا الأمر .

**أشار الجدّ إلى أحد الأحفاد وقال :** اقرأ لنا يا ولدى في سورة آل عمران الآيات من ١٠٠ إلى ١٠٣ .

استعاذ الفتى بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ \* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجدّ لأحفاده :** الحمد لله على نعمة الإيمان . نسأل الله سبحانه وتعالى أن لا نموت إلا ونحن مسلمون . والآن دعونى أحكى لكم ما حدث في المدينة من اليهود ، وكيف استطاع رسولنا الأمين ﷺ أن يقضى على تلك



\* \* \* \* \*

بسم الله الرحمن الرحيم ، استطاع الإسلام بعدما أقام رسول الله ﷺ في المدينة المنورة أن يقضى على العصبية الجاهلية القبلية التي كانت تحكم المجتمع في المدينة ، والمتمثلة في وجود قبيلتين كبيرتين ، هما الأوس والخزرج . عاشت القبيلتان سنوات الجاهلية في حروب مستمرة بينهما . وكلما هدأت الحروب بينهما أشعل يهود المدينة نيران الفتنة بين القبيلتين لتستمر الحرب بينهما ؛ لأن في استمرارها فائدة لليهود الذين يبيعون السلاح للقبيلتين ويمدونهما بالمال . كانت قبيلة الأوس قد عقدت معاهدة مع يهود بني قريظة وبني النضير ، وكان الخزرج في تحالف مع قبيلة بني قينقاع .

ظلت الحروب بين القبيلتين مشتعلة إلى اليوم الذي دخلت فيه القبيلتان حرباً طاحنةً ضروساً ، أطلق عليها حرب يوم بُعَاث ، واستطاعت قبائل الأوس أن تهزم قبائل الخزرج في تلك الحرب . عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة بدأ دعوته للسلام والإسلام بين أهل المدينة الذين لم يكونوا قد دخلوا في الإسلام بعد ، فهداهم الله عز وجلّ وشرح صدرهم للإسلام ووجدوا في هدى رسول الله ﷺ قدوة ومثلاً فدخلوا في الإسلام أفواجاً من رجال قبيلتي الأوس والخزرج .

تمكن رسول الله ﷺ من أن يوحد أهل المدينة من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، ثم يؤاخى بينهم وبين المهاجرين من مكة . وعقد رسول الله عليه الصلاة والسلام ميثاقاً للتحالف الإسلامي قضى به على كل تقاليد الجاهلية وأزال به كل الفروق بين المسلمين ، وأمر المسلمين بأنهم مهما كانت خلافاتهم في أمر ما فإن الرأي سيكون لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ . وكانت أعظم نتائج هذا الميثاق هي اختفاء العداء التقليدي بين قبيلتي الأوس والخزرج .

\* \* \* \* \*

كان أهل المدينة من رجال الأوس والخزرج يتجمعون كل يوم لتدارس الدين الإسلامى ، وتعاليم رسول الله ﷺ ، واختفت من صدورهم نار الثأر الذى عاشوا به سنين طويلة ، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً . وكلما مرّ يهود المدينة على تلك التجمعات ، ورأوا المسلمين يجلسون معا لدراسة دينهم الذى هداهم الله إليه ، ويتدارسون تعاليم رسول الله ﷺ ، ازداد غيظهم وحقدهم ، وملاً الغلّ صدورهم من رسول الله وأصحابه . كان أحد شيوخ اليهود ويدعى شاس بن قيس من أشد اليهود حسداً وحقداً للمسلمين ، فمرّ شاس يوماً فرأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون معا ، فاغتاظ عندما رأى مدى المودة والحب والألفة التى جمعتهم على الإسلام بعد العداء الذى كان بينهم قبل الإسلام .

**قال الشيخ اليهودى يحدث نفسه والغلّ يأكل صدره :** لقد اجتمع أبناء القبائل فى هذه البلاد معا . والله إذا اجتمعوا معا فلن يكون لنا بقاء فى هذا المكان من الدنيا .

نادى اليهودى شاس واحداً من شباب اليهود كان جالسا يستمع إلى أحاديث المسلمين .

**فقال له:** اسمع يا فتى ، عليك أن تتدخل فى الحديث وأنت جالس وسط المسلمين ، وتذكر يوم بُعَاث والحروب بين الأوس والخزرج . واذكر بعض الأشعار الحماسية التى قيلت عن تلك الحرب .

\*\*\*\*\*

عاد الفتى اليهودى إلى مجلس المسلمين وبدأ الحديث عن حرب يوم بُعَاث بين الأوس والخزرج ، ويذكرهم بالأشعار التى قيلت ، فبدأ الجالسون يتذكرون تلك الأشعار ، ثم بدأ التفاخر بين رجال القبيلتين بالقوة والانتصار . ازداد النقاش بينهم وعلت الأصوات ، فوقف رجل من قبيلة الأوس يدعى أوس بن فيظى ووقف أمامه رجل من الخزرج يدعى جبّار بن صخر فظلا يتفاخران كل منهما بقبيلته .

فقال أحدهما : إن شئتم رددنا الحرب بيننا من جديد مرة أخرى .

وغضب الفريقان فقالوا : نقبل الحرب ، هيا إلى السلاح .

جرى أحد المسلمين إلى رسول الله ﷺ ؛ يخبره بما حدث من الشيخ اليهودي ، وكيف استطاع الفتى اليهودي أن يثير صدور المسلمين من قبيلتي الأوس والخزرج وقال الرجل المسلم أن رجال القبيلتين يستعدون للقتال .

خرج رسول الله ﷺ ، ومعه أصحابه رضى الله عنهم ، وتوجهوا إلى حيث اجتمع رجال القبيلتين .

فقال لهم رسولهم عليه الصلاة والسلام : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ؟ » .

هدأت صدور المسلمين من رجال القبيلتين ، وعرفوا أن الشيطان قد نزغ بينهم ، وأن عدوهم من اليهود قد مكروا وكادوا لهم . بكى الرجال حزناً على ما بدر منهم ، واستغفروا الله ، ثم قاموا فعانق رجال الأوس والخزرج بعضهم البعض .

انصرف الرجال مع رسول الله ﷺ ، سامعين ومطيعين لقوله عليه الصلاة والسلام ، بعد أن أطفأ الله النار التي أراد عدو الله شاس بن قيس اليهودي أن يشعلها بين المسلمين بعضهم البعض .

\*\*\*\*\*

(١٤)

الحريث والأنعام

اتخذ الجدّ قعدته فى حجرته ، فتحلّق الأحفاد حوله ، فى يد كل منهم مصحفه يضمّه إلى صدره حبّاً وتقديساً لكلام الله سبحانه وتعالى .

**قال لهم الجد بعد ترحيبه بهم :** حكينا بالأمس عدة قصص متداخلة ، علّمها لنا الله عزّ وجلّ . وشرح لنا أسلافنا من العلماء ، رضى الله عنهم ، ما خفى من أمور علينا . هذه يا أولادى هى قيمة العلم ، يُنقل من جيل إلى آخر وإلى ما يشاء الله ربّ العالمين . اهتموا بالعلم وليحاول كل منكم عندما تشبّون وتصبحون رجالا إن شاء الله أن ينشر العلم لغيره من البشر ، كل فى مجاله . وفقكم الله .

**سكت الجد للحظة يلتقط فيها أنفاسه ، ثم قال :** كان عمرو بن لُحىّ الخزاعى هو أول من سيّب السوائب . فما هى السوائب ؟ هذه هى قصتنا اليوم إن شاء الله . ولسوف تعرفون إن شاء الله فى قصة أخرى عندما يحين الوقت ، ما الذى فعله ذلك الخزاعى فى مكة .

**نظرا الجد إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ لنا يا بنىّ فى سورة المائدة الآيتين ١٠٣

و ١٠٤ .

فتح الفتيان مصاحفهم على سورة المائدة ، وقرأ الحفيد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ \* صدق الله العظيم .

**قال الجد :** فتح الله عليك يا ولدى . نتكلم الآن عن قصة جديدة علّمها لنا الله سبحانه وتعالى فى تلك الآيات الكريمات لنعرف أسس ديننا الحنيف وأن لا يأتى أحد بالبدع ، ثم يقول : إنها من عند الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ، تشعب الكفر في مكة وغالى فيه العرب ، كل منهم يتدع بدعة ، فيسارع الآخرون إلى اتباعها . قامت قبائل بنى خولان بعبادة صنم أسموه عميانوس ، أشركوه مع الله فى زعمهم فيما يقدمونه من أنعام وثمار وماء . نظر القوم إلى أنعامهم فبدأوا فى تقديم بعضها إلى أصنامهم تقرباً أو نذراً . كان أولها البَحيرة ، وهى الناقة التى تُشق أذنها فتعرف بالبحيرة فلا يركب ظهرها ولا يُجزّ وبرها ولا يُشرب لبنها إلا لضيف أو للتصدق بلبنها . ويتركون هذه الناقة لآلهتهم ترعى كيف شاءت وتشرب الماء من أى مكان .

كان الرجل منهم إذا مرض ، أو تطلّع إلى شىء يريد تحقيقه ، ينذر أن يسيب ناقةً أو جملاً لبعض آلهتهم ، فتسمى الناقة بالسائبة ، ترعى كيف تشاء ولا ينتفع بها . وكان الرجل منهم يفعل ذلك إذا ما تحقق النذر ، كأن يشفى المريض أو يتحقق له ما طلبه .

أما فحل الجمل فإذا ما أنتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهم ذكر حمى ظهره ، فلم يُركب ولم يُجزّ وبره ، يتركونه وسط الإبل حرّاً وأسموه الحام . ثم تفنن الكفار زيادة فى ابتداع وسائل التقرب إلى الأصنام ، فقالوا: إذا ما ولدت الشاة عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، اثنين فى كل بطن ، وليس بينها ذكر ، جعلوها وصيلة . كل ما تلده بعد ذلك للذكور منهم دون أن يكون لإناثهم فيها نصيب .

\*\*\*\*\*

نظرا الجدل إلى حفيده ، وقال يخاطبه : والآن يا بنى افتح القرآن الكريم على سورة الأنعام ، واقرأ لنا الآيات من ١٣٦ إلى ١٣٩ ؛ لأشرح لكم ما كان العرب المشركون يعملون فى كفرهم قبل أن يُغطى الإسلام الحنيف قبائل العرب بعبادة الإسلام .

قرأ الفتى الآيات بصوت جميل ورتّلها ، فقال بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ

بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ  
إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا  
يَفْتَرُونَ \* وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجَرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ  
حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ \* وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ  
يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* صَدَقَ اللَّهُ  
الْعَظِيمُ .

قال الجَدُّ: أحسنت يا ولدي القراءة والحمد لله . نقص الآن ما أوضحتها  
الآيات الكريمة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، على الرغم من إدخال الكفار للأصنام  
والأوثان إلى البيت العتيق وانتشار عبادتها في كل مكان من بلاد العرب إلا  
أن الكعبة كانت لها قدسية خاصة عندهم ، فحافظوا على تأدية المناسك  
التي جرى العمل بها أثناء موسم الحج . يفد الحجاج إلى مكة من كل  
مكان لتأدية تلك المناسك . لم يكتف المشركون بإدخال الأصنام إلى الحرم  
المكي الشريف ، بل أغواهم الشيطان من كل جانب فدفعهم إلى ابتكار  
أعمال أخرى تزيد من كفرهم وشركهم .

ابتدع المشركون بدعاً وكفراً وشركاً بالله العظيم . جعلوا لله شركاء  
وجزءاً من خلقه ، وهو الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى . جعلوا لله مما  
خلق من الزرع والثمار نصيباً . كان أعداء الله إذا جمعوا زرعاً أو ثمرًا  
جعلوا لله جزءاً منه وللوثن جزءاً . فما كان من نصيب الأوثان حفظوه  
وأحصوه ، وإن سقط شيء من الثمار واختلط بما قرروا منحه للأوثان أعطوه  
لأصنامهم ، وكذلك الماء ، يقولون : الأصنام فقيرة فيعطونها الماء ،

ويقولون : إنما يقدمون ذلك قربةً إلى الله .

وكان المشركون إذا ذبحوا ذكروا الله ، لا يأكلون من الذبيحة إلا إذا ذكروا أصنامهم مع الله ، وإذا ذبحوا للأوثان لا يذكرون اسم الله عليها . لقد حرم الله على المسلمين أن يأكلوا شيئاً إلا إذا ذكر اسم الله عليها ، لكن الشيطان الرجيم تمكن من الكفار في ذلك العصر . كذلك زينت الشياطين لأولئك القوم قتل أولادهم مخافة الفقر ، ووأد بناتهم خشية العار . والوأة هو دفن الطفلة وهي حيّة ، فتموت . وقد حرم الله سبحانه وتعالى قتل النفس . كانت الشياطين تأمرهم بذلك الفعل الشائن لأحد أمرين ، إما ليهلكوهم بسبب قلة النساء بعد استمرار الوأة فيقل نسلهم ، وإما ليخرجوا عن طاعة الله بالخلط في دينهم .

وزاد الكافرون في البدع التي ابتدعوها ، فكانوا يُحرّمون اللبن على إناثهم ويشربه الذكور من أولادهم . وإذا ولدت الشاة ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء ، فإن كانت ولد الشاة أنثى تركت فلم تُذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيها شركاء . وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن كل هذه الأمور ، وجاء سيدنا محمد ﷺ ، ومعه تحريم كل هذه البدع التي كان العرب يطبقونها في الجاهلية . فالحمد لله والشكر له على نعمه التي أنعمها علينا ، وأولها بعث محمد رسول الله ﷺ .

\*\*\*\*\*





(١٥)

المفضوب عليهم

توسط الجدّ أحفاده ، يستعدون لسماع الدرس اليومي من الشيخ الجدّ ، وبدأ بسؤالهم عن أحوالهم ومدى حفظهم للآيات ، وهم يجيبون سريعا ، يثبتون لجدّهم أنهم من الحافظين والفاهمين لكل ما يقوله لهم .

دعا الشيخ لهم وأطرى إيمانهم وقال لهم : عندما سأل الناس عن سيدنا محمد ﷺ

قل عنه أن خلقه القرآن . وإن كان هذا القول يثبت شيئا ، ورسول الله ﷺ هو القدوة لكل مسلم منا ، فهو يثبت أهمية كتاب الله عند المسلم . أوصيكم بتلاوته دائما وفهمه وحفظه ، فهو النجاة من كل شرّ ، وهو الهادى لكل مؤمن . حديثي اليوم عن المغضوب عليهم . عن اليهود الذين أكرمهم الله عزّ وجلّ ؛ لأنّ فيهم سيدنا موسى ﷺ . أولئك المغضوب عليهم من ربّنا ، عملوا كل ما يخالف أوامر الله منذ أن نجاهم الله من فرعون وجنده . أعطى الله موسى ﷺ معجزة شطر البحر إلى نصفين حتى يعبره هو والخارجون معه من مصر ، ثم عاد البحر إلى طبيعته وأطبق الماء على فرعون وجنوده . ماذا فعل بنو إسرائيل بعد غرق فرعون ؟ هذه هي قصتنا اليوم إن شاء الله .

أشار الجدّ إلى أحد أحفاده وطلب منه أن يقرأ في سورة المائدة الآيات من ٢٠ إلى ٢٦ ، فقرأ الحفيد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ \* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا

لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* صدق الله العظيم .

قال الجد حفيدة : أحسنت يا ولدى . والآن نبدأ قصص عصيان بنى إسرائيل لنبيهم وعقاب الله لهم .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، غرق فرعون وجنوده ، ففرح بنو إسرائيل ورقصوا احتفالاً بنجاتهم من فرعون الذى أغرقه الله ونجى موسى عليه السلام ومن خرج معه من مصر . سار الناجون فى الصحراء ، فمروا على قوم يعبدون أصناما صنعوها على صورة البقرة .

فسألوهم عن سبب عبادتهم لها فقالوا لهم : إن البقر ينفعنا ونسترزق منه . وهو قد يضرنا أيضا فلا بد أن نعبده .

فالتفت بنو إسرائيل حول نبيهم وقالوا له : اجعل لنا يا موسى إلها نعبده مثل هؤلاء الناس .

ثار موسى عليه السلام ، وذكرهم بنعم الله عليهم وأنه سبحانه وتعالى أنجاهم من جبروت فرعون ، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يُعبد غيره أحد أبداً .

عطش بنو إسرائيل فى الصحراء فأوحى الله جلّ جلاله لموسى أن يضرب الأرض بعصاه فانفجرت من الأرض اثنتا عشرة عينا ، فجعل موسى عليه السلام لكل سبط من أسباطهم عين ماء يشربون منها ماءً عذبا ، ويسقون منها أغنامهم ومواشيهم . وأنزل الله عليهم المن والسلوى . كان المن ينزل عليهم فى الصباح ، وكانت طيور السمّان تهبط عليهم فى المساء فيمسكونها ويذبحونها ثم يأكلون لحما لذيذ الطعم .

أوحى الله إلى رسوله موسى بأن يذهب إلى الجبل ليكلّمه الله بعد ثلاثين ليلة ، فصام موسى ﷺ ثلاثين ليلة ، ثم خرج ليستمع إلى كلام الله عزّ وجلّ له . طلب موسى من أخيه هارون عليهما السلام أن يرعى القوم أثناء غيابه في الجبل . اقترب موسى ﷺ من الجبل الذي حدده له الله سبحانه ، فخاف موسى أن تخرج من فمه رائحة الصيام وهو يكلم الله ، فأمسك ببعض الأعشاب ومضغها في فمه لتضيق منه رائحة الصيام . سأله الله عزّ وجلّ عن سبب كسر صيامه ؟ فرد النبي ﷺ بأنه خشى من رائحة فمه وهو يتحدث إلى الله سبحانه وتعالى . أمره الله أن يذهب فيصوم عشرة أيام آخر ، ثم يأتى لميقات ربّه صائماً . فصار صيام موسى ﷺ أربعين ليلة .

\*\*\*\*\*

كان من بين رجال بنى إسرائيل الذين خرجوا مع موسى ﷺ ، رجل يدعى هارون السامريّ ، ضعيف الإيمان رغم كل ما شاهده من معجزات موسى ﷺ التي وهبها له الله عزّ وجلّ . عندما تأخر موسى ﷺ عشرة أيام أخرى تنفيذاً لأمر ربّه سبحانه وتعالى ، بدأ السامريّ في إثارة الناس ضدّ نبيهم موسى . طلب منهم أن يجمعوا الحليّ الذهبية التي أخذها بنو إسرائيل من المصريين قبل خروجهم من مصر . جمع بنو إسرائيل الحليّ وقدّموها للسامريّ ، فصهرها وجعلها ذهباً سائلاً . عندما استعد بنو إسرائيل سرّاً للخروج من مصر ، ذهبت كل امرأة منهم إلى جارتها المصرية واستعارت منها بعض الحليّ الذهبية ، ثم فررن مع قومهن من مصر واستولين على الذهب الذي اقترضنه من المصريات .

قال السامريّ لبنى إسرائيل أنه سوف يصنع لهم عجلاً من الذهب يقدسونه ويعبدونه من دون الله ، فصرخ فيهم هارون ﷺ يحذّرهم من الكفر والاستماع إلى ما يقوله لهم السامريّ . ثار السامريّ ومن معه على هارون ﷺ وكادوا يقتلونه ، فابتعد عنهم هو ومن معه من المؤمنين القلائل

ينتظرون عودة نبيهم موسى عليه السلام .

عمل السامريّ عجلاً من الذهب ، وجعل له فتحة في فمه وأخرى في مؤخرته . كلما مرّ الهواء بين الفتحتين أصدر صوتاً وكأنه خوار الثور ، ففرح الذين اتبعوه وعبدوا ذلك الصنم العجل ، ونسوا موسى عليه السلام ورسالته التي حملها إليهم من عند الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*

أكرم المولى سبحانه وتعالى موسى فكلمه ، فسأل موسى ربّه أن يرفع الحجاب لينظر إلى الله عزّ وجلّ . أمره الله أن ينظر إلى الجبل ، فلما تجلّى ربّ العزة للجبل انهار الجبل الشامخ في لمح البصر وصار تراباً ، فسقط موسى صعقاً ميتاً . أحيا الله موسى من صعقته .

**فسجد نبي الله موسى عليه السلام لله وقال:** آمنت بربّ العالمين ، أستغفرك يا ربّ وأتوب إليك ، ولا أسأل ما سألت مرّة أخرى .

كلم الله موسى ، وأنزل عليه التوراة في الألواح ، ثم أخبره الله بما فعله قومه أثناء غيابه . أخذ موسى الألواح وعاد إلى قومه غضبان أسفاً على هؤلاء القوم الذين كفروا بالله خلال أيام غيابه ، ورمى بالألواح المكتوب عليها التوراة على الأرض من شدة غضبه ، وأخذ يلوم الناس ويعنّفهم على ما اقترفوه من ذنب عظيم ، ثم أخذ العجل الذهبي الذي صنعه السامريّ ، فحطّمه ثم ألقاه في البحر . دعا موسى عليه السلام على السامريّ بأن يعيش ما تبقى له من عمر وألا يمسه أحد في هذه الدنيا ، وطرده إلى الصحراء ، وتوعده بأن الله سبحانه وتعالى سوف يعاقبه عقاباً شديداً في الآخرة جزاء كفره وإشراكه بالله .

طلب موسى عليه السلام من الله عزّ وجلّ أن يتوب عليه وعلى القوم الذين فتنهم السامريّ فأضلّهم ، فأوحى الله لنبيه بأن توبة الله لن تحلّ عليهم إلا إذا قُتل كل من عبد العجل . وأخبر موسى القوم بما أوحى إليه من ربّه ،

فقام كل من لم يعبد العجل ، فأخذ سيفه فقتل به واحدا من الذين عبدوا العجل . غفر الله بعزته للقاتل والمقتول ؛ إكراما لنبية وكليمه موسى ﷺ . طلب القوم من موسى أن يستغفروا الله على ما بدر من الذين كفروا وعبدوا العجل . اختار موسى ﷺ سبعين رجلا من بنى إسرائيل ، ومعهم أخاه هارون ﷺ ، وذهبوا إلى الجبل ليسمعوا كلام الله لنبية موسى ، عسى أن يفتح الله لهم باب توبته سبحانه .

استمع السبعون رجلا لكلام الله عز وجل لنبية موسى ﷺ ، فطلبوا من موسى أن يروا الله ، فصعقهم الله فأماتهم . سجد موسى وظل يستغفر الله ويتقرب إليه ويتضرع لخالقه ، ويقرّ بظلم بنى إسرائيل ويرجو خالقه أن يسامحهم . تقبل الله شفاعة نبية وكليمه موسى ﷺ ، فأحياهم الله مرة أخرى ليكونوا عظة وعبرة لباقي قومهم .

\*\*\*\*\*

قرأ موسى على الرجال نصوص التوراة التى أنزلها الله عليهم ، فيها أحكام الله ، يأمرهم بأن يُنفذوا كل ما أمر به الله . قالوا لنبية أنهم سوف يأخذون أسهل الأمور فى التوراة وحسب .

قال لهم موسى ﷺ : ما يأمر به الله هو أمر مُطاع عليكم أن تُنفذوه كله وبلا تردد .

رفض بنو إسرائيل أن يأخذوا التوراة بكل ما فيها من أوامر الله سبحانه وتعالى . ظل موسى ﷺ يحاورهم وينصحهم ويحذّرهم من غضب الله عليهم إن لم يطيعوا ما أمر به الله . لكن بنو إسرائيل استمروا فى عناد رسولهم موسى ﷺ .

أمر الله الملائكة أن يرفعوا الجبل ويجعلوه فوق السبعين رجلا من بنى إسرائيل ، فسرى الخوف والرعب فيهم ، يخافون سقوط الجبل فوقهم ، وهو فوق رؤوسهم كسحابة قائمة . أمرهم موسى ﷺ أن يقبلوا التوراة كما

أنزلها الله وإلا سقط الجبل فوقهم ، فقبلوا أن يأخذوا التوراة كما أنزلها الله ، خوفاً وفزعاً من سقوط الجبل فوقهم إذا ما استمروا في رفضهم .

أمر موسى ﷺ القوم أن يسجدوا له شكراً على نعمه ، فسجدوا وهم ينظرون بعين إلى أعلى مخافة أن يسقط الجبل فوقهم . وحتى يومنا هذا ، فإن اليهود يسجدون على حاجبهم الأيسر ، وينظرون بعينهم اليمنى ويقولون : إنها سجدة أنجتنا من الموت .

\*\*\*\*\*

آذى بنو إسرائيل نبيهم موسى ﷺ وضايقوه وعصوا أوامره ، فصبر موسى عليهم صبر الرسول المؤمن وطلب منهم أن يمشوا من صحراء سيناء متجهين إلى أرض فلسطين التي ولد فيها نبي الله يعقوب ﷺ ، وعاش فيها . مشى موسى وهارون عليهما السلام ووراءهم سار بنو إسرائيل في قافلة كبيرة يخترقون الصحراء المترامية والجبال الوعرة ، والله برحمته يرسل السحاب فوقهم يظللهم لمنع حرارة الشمس عنهم ، ويبعث لهم بالمن والسكوى ، وكلما احتاجوا إلى الماء يضرب موسى ﷺ الحجر فيخرج منه الماء بإذن الله .

اقتربوا من فلسطين ، فأمر موسى ﷺ قومه أن يقيموا معسكرهم ، وأرسل اثني عشر رجلاً من بني إسرائيل ، اختار من كل سبط من أولاد يعقوب ﷺ رجلاً ، وبعث بهم كجواسيس إلى بلدة أريحا ؛ ليعرفوا أخبار أهل فلسطين ، قبل هجوم جيش موسى ﷺ على البلدة . تخفى الجواسيس ودخلوا أريحا ، أكبر بلاد فلسطين حينذاك وأقواها تحصناً وجنداً . عاش الجواسيس وسط المدينة يختلطون بأهلها ويدرسون قوة البلدة وأسوار حصونها وما لديهم من طعام وعتاد عسكري .

عاد جواسيس بني إسرائيل إلى موسى ﷺ يحدّثونه عن المدينة ومن فيها .

قالوا : لقد وجدنا يا موسى قوماً أقوياء لا نستطيع أبداً أن نهزمهم بأى حال من الأحوال . لديهم السلاح والطعام والماء ويعيشون داخل حصن مدينتهم ذى السور العالى .

قال لهم يوشع بن نون عليه السلام ، فتى موسى الذى لا يفارقه : يا قوم ، يجب أن نتوكل على الله وندخل البلدة وسوف ينصرنا الله على أهلها .

وقال لهم كالب بن يوفنا ، زوج مريم بنت عمران ، أخت هارون وموسى عليهما السلام : يا قوم ، إذا هجمنا عليهم فإن الله سوف ينصرنا .

سمع بنو إسرائيل الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وبين يوشع وكالب والجواسيس الذين عادوا من أريحا بأرض فلسطين ، فساد الهرج والمرج بين صفوفهم ، وغلبهم الخوف والجب ، فهم يخافون على حياتهم . اجتمع رأيهم على أن لا يحاربوا أهل بلدة أريحا كما طلب منهم نبيهم موسى عليه السلام .

قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : يا موسى ، لن نحارب أهل فلسطين الأقوياء ما داموا فيها . سوف نقعد هنا فى الصحراء ، فاذهب أنت وربك فحاربنا وسوف نتظرك هنا .

عندما سمع موسى وهارون عليهما السلام ذلك القول من قومهم سجداً على الأرض خوفاً من غضب الله ، يستغفران ربهما ويرجوانه العفو . شقّ يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ملابسهما حزناً على ما قاله بنو إسرائيل فى حق الله سبحانه وتعالى .

رفع موسى عليه السلام يديه إلى أعلى تضرعاً إلى الله عز وجل وقال : ربّ ، لا أملك إلا نفسى ونفس أخى هارون . ونحن مستعدان لتنفيذ ما تأمرنا به ، إننا نتبرأ من هؤلاء القوم الكافرين الظالمين .

\*\*\*\*\*



غضب الله سبحانه وتعالى غضبا شديدا لما قاله بنو إسرائيل فقرر الله بعزته على بنى إسرائيل أن يتيهوا فى الصحراء لمدة أربعين سنة ، يسىرون فيها إلى غير مقصد ليلا ونهاراً . ضلّ بنو إسرائيل بعصيانهم لربهم ولنبيهم ، كلّما مشوا من منطقة عادوا إليها ، لا يستطيعون الخروج من الصحراء ، أربعون عاما عاشها بنو إسرائيل فى صحراء جرداء يبحثون عن مخرج لهم فلا يجدون شيئا . أتاهم عقاب الله من جرّاء عصيانهم وقولهم على الله سبحانه ما لا يقال .

مات هارون عليه السلام فدفنه موسى وهو حزين على فراق شقيقه الذى رافقه فى النبوة . وكان موسى عليه السلام يتلقّى الوحي من الله سبحانه وتعالى وإلى جواره فتاه يوشع بن نون . أمر الله موسى أن يجنّد بنو إسرائيل عندما قاربت السنوات الأربعون على نهايتها ، فظل موسى ويوشع عليهما السلام يدعوان فيهم بأنهم إذا قاموا بواجبهم ولم يتراجعوا عن القتال كما فعل آبائهم من قبل فسوف ينصرهم الله على عدوهم فيدخلون أرض فلسطين .

مات موسى عليه السلام قبل أن تنتهى سنوات العقاب ، ولا يدرى أحد مكان قبر سيدنا موسى عليه السلام . فلقد احتفظ الله جلّت قدرته وحده بمعرفة ذلك ؛ تكريما للرسول كلّم الله موسى عليه السلام . أوحى الله إلى يوشع بن نون بأن يذهب بجيشه ليقاتل ويدخل إلى بيت المقدس ، وألهم الله نبيه يوشع الطريق للخروج من التيه ودخول فلسطين بعد أربعين سنة قضاها بنو إسرائيل تائهين فى الصحراء ، وبعد أن مات كل بنى إسرائيل الذين رفضوا الحرب وعصوا نبيهم موسى عليه السلام ، والذين حكم عليهم ربنا أن لا يدخل منهم أحد مع الداخلين .

\*\*\*\*\*

**قال الجد لأحفاده :** وفى مناسبة هذه القصة هناك قصة يجب أن تعرفوها ؛ لتروا كيف تعامل المسلمون مع رسولهم صلى الله عليه وسلم . كان المسلمون على قتلهم وقت غزوة بدر يستعدون لملاقاة جيش كفّار قريش . رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

كثرة عدد المشركين ، فاستشار النبي أصحابه في الحرب .  
فقال له سعد بن معاذ : كأنك تُعرض بنا يا رسول الله . فوالله الذي بعثك  
بالحق لو طلبت منا أن نخوض معك البحر لخضناه ما تخلف منا رجل  
واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر في الحرب وصدق في  
اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .  
فرح رسول الله ﷺ بقول سعد ، فسأل المقداد عن رأيه ، فقال للنبي : يا رسول الله ، إنا لا  
نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا  
قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون .

\*\*\*\*\*

(١٦)

مائة السماء

التفّ الأحفاد حول جدّهم الشيخ ، قاعدون ممسكون بمصاحفهم يستعدون لدرس جدّهم حول أحسن القصص ، قصص القرآن الكريم .

**قال لهم الجد :** لا زلنا مع سورة المائدة ، وقصة اليوم إن شاء الله تدور حول المائدة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى من السماء تلبية لدعاء السيد المسيح عليه السلام ، والتي سمّيت السورة الكريمة باسم المائدة . وسنقرأ الآن بإذن الله في هذه السورة التي تقص علينا قصة المائدة .

**وأشار الجد إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ يا ولدى الآيات من ١١٢ إلى ١١٥ من سورة المائدة .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ \* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجد :** ذكرت لكم من قبل في قصة السيد المسيح عليه السلام ، كيف خان الحواريون عيسى ابن مريم عليه السلام وباعوا من ألقى عليه الشبه بالمسيح لليهود . وقصة اليوم توضح لكم كيف أن الحواريين لم يملأوا الإيمان قلوبهم ، فكانوا يطلبون من السيد المسيح عليه السلام أشياء كثيرة تدل على تشككهم في رسالته عليه السلام . دعونا نقص قصة المائدة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، طلب المسيح ﷺ من الحواريين أن يصوموا ثلاثين يوماً لله ، ثم يسألوا الله سبحانه وتعالى فيعطيهـم ما سألوه ، فإن أجر العامل على من عمل له . فصام الحواريون ثلاثين يوماً .

ثم قالوا لعيسى ابن مريم ﷺ : يا معلّم الخير . قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له . أمرتنا أن نصوم لله ففعلنا . ولم نكن نعمل لأحد إلا وأطعمنا حين نفرغ من العمل . هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ استاء السيد المسيح ﷺ من سماع ذلك القول من الحواريين .

**فقال لهم :** اقنعوا بما رزقكم به الله فى الأرض ولا تسألوا المائدة من السماء ، فإنها إن نزلت عليكم فهى آية من ربكم . لقد هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كانت نهايتهم فيها .

صمّم الحواريون على طلبهم ، يقولون لنبيهم أن نزول تلك المائدة من السماء فيها إرضاء لهم ، واطمئنان لقلوبهم ، وزيادة الإيمان بعيسى وبرسالته . يشهدون أنها آية من عند الله ودلالة على نبوة السيد المسيح ﷺ .

رأى السيد المسيح ﷺ أنهم مصمّمون على طلبهم ، فقام ﷺ فاغتسل ودخل مصلاه فصلى ما شاء له الله ، فلما قضى صلاته قام واستقبل القبلة ، ووضع يده اليمنى فوق اليسرى ، وغضّ بصره وطأطأ برأسه بخشوع .

**ثم بكى، ودعا الله فقال :** اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء .

واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء رسوله عيسى ابن مريم ﷺ فنزلت مائدة حمراء بين سحابتين . غمامة فوقها وأخرى تحتها ، وهم ينظرون إليها فى الهواء وهى تنزل إليهم ، ويكى السيد المسيح خوفاً من الشروط التى أخذها الله عليهم .

**أخذ السيد المسيح يدعو وهو يراها نازلة من السماء ويقول :** اللهم اجعلها رحمة لهم ولا تدعها عذابا ، يا إلهى ، كم سألتك من عجيبة فأعطينى ، فاجعلنا يا ربنا

من الشاكرين . اللهم إني أعوذ بك لأن تكون أنزلتها غضباً ورجزاً . إلهي اجعلها سلامة وعافية ، ولا تجعلها فتنة .

\*\*\*\*\*

ظلّ السيد المسيح ﷺ يدعو الله حتى استقرت المائدة بين يديه ، والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا رائحة مثلها من قبل أبداً . خرّ عيسى ساجداً لله شكراً له على ما رزقهم من حيث لم يحتسبوا . تجمع اليهود حولهم ينظرون عجباً ، ثم انصرفوا والغيط يملؤهم .

جلس السيد المسيح والحواريون حول المائدة فإذا عليها منديل مغطى . طلب منهم المسيح أن يقوم أجراًهم بكشف المنديل عن المائدة .

وقال لهم : من كان أحسننا بلاءً عند ربّه فليكشف لنا عن هذه الآية حتى نراها ونحمد ربنا ونذكر اسمه ، ونأكل من رزقه الذي رزقنا .

قال الحواريون للسيد المسيح : يا روح الله وكلمته . أنت أولانا بذلك وأحقنا بالكشف عن المائدة .

قام السيد المسيح فتوضاً ثانية ، ثم دخل مصلاه فصلّى ، ثم بكى ودعا الله أن يأذن له بكشف الغطاء عن المائدة ، ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقا .

عاد إلى الحواريين وتناول الغطاء وقال : بسم الله خير الرازقين .

كشف عن المائدة فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية ليس في جوفها شوك ، تحيط بها البقول من كل صنف ، ومعها خمسة أرغفة ، على واحد منها زيتون ، وعلى الآخر تمر وعلى الثالث رمان .

فقال شمعون كبير الحواريين للسيد المسيح : يا روح الله وكلمته ، أمن طعام الدنيا هذه أم من طعام الجنة ؟

قال لهم السيد المسيح ﷺ : أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا من النباش في الأمور ؟ ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول

هذه الآية .

**فقال شمعون :** لا وإله إسرائيل ، ما أردت بها سؤالاً يا بن الصديقة .

**قال عيسى ابن مريم عليه السلام :** ليس مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ، إنما هو شيء ابتدعه الله فى الهواء بالقدرة الإلهية القاهرة . قال له : كن ، فيكون أسرع من طرفة العين . كلوا مما سألتكم بسم الله واحمدوا ربكم عليه يمدكم منه ويزدكم رزقا ، فالله كريم رحيم .

**قال الحواريون :** يا روح الله وكلمته إنا نحب أن يرينا الله آية فى هذه الآية .

**قال السيد المسيح عليه السلام :** يا سبحان الله ، أما اكتفيت بما رأيتم من هذه الآية ؟ تسألون فيها آية أخرى ؟

**ونظر عيسى عليه السلام إلى السمكة وقال :** يا سمكة ، عودى بإذن الله حية كما كنت .

أحيها الله بقدرته ، فاضطربت السمكة وعادت بإذن ربها حية طرية تتلوى ، وتدور عيناها ولها بصيص ، ففزع الحواريون منها وابتعدوا بأجسامهم عن المائدة .

**قال لهم المسيح :** ما لكم ؟ تسألون الآية فإذا أراكموها الله عز وجل كرهتموها ؟ أخاف عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون .

\*\*\*\*\*

سأل عيسى ابن مريم عليه السلام ربه أن يعيد السمكة كما كانت .

**فقال :** يا سمكة ، عودى بإذن الله كما كنت .

فعادت السمكة بإذن الله كما كانت ، مشوية كما خلقت أول مرة .

**قال الحواريون لنبيهم :** يا عيسى يا روح الله وكلمته ، عليك أن تبدأ أنت فى

الأكل منها ، ثم نأكل نحن .

فقال لهم رسولهم عيسى عليه السلام : معاذ الله من ذلك . يبدأ الأكل من طلبها .  
فلما رأى الحواريون امتناع عيسى عليه السلام عن الأكل منها خافوا أن يكون  
فى نزولها سخط ، أو فى أكلها سخط مثله ، فامتنعوا عن الأكل . أيقن  
السيد المسيح عليه السلام أن الحواريين لن يأكلوا من المائدة .

فقام بدعوة الفقراء والمرضى وقال لهم : كلوا من رزق الله ربكم ودعوة نبيكم  
واحمدوا الله الذى أنزلها لكم ، فىكون هناؤها لكم وعقوبتها على غيركم .  
ابدأوا الأكل بسم الله واختموه بحمد الله .

أكل من المائدة ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة حتى امتلأت  
بطونهم وشبعوا . نظر المسيح عليه السلام والحواريون إلى المائدة ، فوجدوا ما  
عليها من طعام باق كما هو لم ينقص منه شيئا . رفعت المائدة إلى السماء  
وهم ينظرون ، فندم الحواريون وأصحابهم الذين رفضوا أن يأكلوا منها .

\*\*\*\*\*

كانت المائدة تنزل من السماء كل يوم ، فيقبل اليهود إليها يسعون من  
كل مكان يزاحم بعضهم بعضا ، ويتزاحمون عليها ، فجعل الله المائدة تنزل  
يوما ولا تنزل يوما لمدة أربعين يوما متتالية منذ الغروب وحتى ترفع إلى  
السماء بأمر ربها .

أوحى الله إلى رسوله عليه السلام بأن يجعل رزق الله فى المائدة للفقراء  
واليتامى دون الأغنياء من الناس . ففعل المسيح عليه السلام بما أوحى إليه من ربه ،  
فارتاب الأغنياء من الناس وتسلل الشيطان إلى قلوبهم ، فبدأوا يشككون  
فيها ويذمونها .

فسأل الحواريون رسولهم عيسى عليه السلام : أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحق  
هى ؟ لقد ارتاب بها كثير من البشر .

قال السيد المسيح عليه السلام : هلكتم وإله المسيح ، طلبتم المائدة من نبيكم ،  
فطلبها لكم من ربكم ، فلما فعل ذلك وأنزلها الله عليكم رحمة ورزقا لكم



وأراكم الآيات والعبر كذبتُم بها وشكَّكتُم فيها . أبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله .





قعد الجدّ في غرفته ، وحوله الأحفاد يمسكون بمصاحفهم ، ينتظرون قصة الشيخ التي تعودوا على سماعها كل مساء .

قال لهم الجدّ : نعود بقصة اليوم إن شاء الله ، إلى اليهود الذين أوضح لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كيف عصوا وفجروا وكفروا منذ خروجهم من مصر مع رسول الله موسى ﷺ ، فعصوا رسولهم وكفروا بنعم الله التي أنعمها عليهم عزّ وجلّ . قصة اليوم توضح الخبث الذي فعله اليهود بمحاولة التحايل على أوامر الله لهم ، وكيف عاقبهم الله سبحانه وتعالى على فعلتهم ، حتى يتدبّر الناس أفعالهم ويعلمون أن أوامر الله سبحانه وتعالى لا بد وأن تنفذ دون تردد . ويعرفون أيضا أن الله يمهل ولا يهمل ، وأن عقابه لشديد ، وأن رحمته واسعة .

نظرا لجدّ إلى أكبر أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا بُنىّ في سورة الأعراف من الآية ١٦٣ إلى الآية ١٦٦ .

قرأ الفتى ما طلبه جدّه منه بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم فقال : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الجدّ لحفيده : أحسنت يا ولدى ، والآن نبدأ في سرد قصة من أحسن القصص ، قصص القرآن الكريم .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسموات فى ستة أيام ، فأوحى إلى عباده أن يعملوا ستة أيام فى الأسبوع ثم يرتاحوا يوماً . كان يوم الجمعة هو اليوم الذى يستريح فيه الناس منذ خلقهم الله . جاء اليهود فغيروا من كثير مما أمرهم به الله عزّ وجلّ ، فجعلوا أجازتهم يوم السبت بدلاً من يوم الجمعة ، وأخذوا العهود على أنفسهم أمام الله أنهم سوف يحترموا قدسية ذلك اليوم ولن يعملوا فيه أبداً منذ غروب يوم الجمعة وحتى غروب شمس يوم السبت . قرر الله عليهم ذلك الأمر ، ووعدهم بالعذاب إن خالفوا ذلك العهد .

عاش اليهود فى قرية تسمى إيلة على البحر ، يحترمون شريعتهم التى عاهدوا الله عليها فلا يعملون شيئاً كلما جاء يوم السبت . لاحظ أهل القرية أن السمك يكثر ناحية الشاطئ فى بلدتهم يوم السبت ، بينما يختفى السمك فى الأيام الأخرى . كانت معيشتهم وحياتهم تقوم على الصيد وأكل خيرات البحر .

تطوّر الحال إلى أن قرر الله عزّ وجلّ أن يختبر إيمان أهل القرية والتزامهم بالشريعة التى وضعوها لأنفسهم بعدم العمل يوم السبت مهما كان الأمر . أمر الله بعزّته وجلاله أن يختفى السمك أمام بلدة إيلة طوال أيام الأسبوع ولا يظهر إلا يوم السبت . يتجمع السمك كلّ أمام شواطئ البلدة يتقافز فوق الماء ، وكأنها قوارب ذات شراع ، واليهود ينظرون إليه ولا يستطيعون صيده ، فالصيد محرّم عليهم يوم السبت .

\*\*\*\*\*

جلس أحد اليهود يوم الجمعة يفكر ويحدث ذاته : شىء غريب أن يأتى السمك إلى الشاطئ كل يوم سبت ولا أستطيع أن أصطاده فى ذلك اليوم ثم يختفى باقى أيام الأسبوع .

فرح الشيطان بما يسمعه من اليهودى ، فوسوس له قائلاً : لماذا لا تضع الشص فى الماء يوم الجمعة قبل الغروب ، وتضع حجراً ثقيلاً فوق الخيط ، وتترك الشص يصيد

السّمك وحده ؟ ثم انتظر حتى مغيب شمس يوم السبت فتأخذ ما يمسك به الشّص وتأكل لحمًا طريًّا من السّمك اللّذيذ .

فرك اليهودى يديه فرحًا بالفكرة الشّيطانية ، ففعل كما وسوس به الشّيطان ، ثم ذهب إلى بيته ينتظر حتى مساء يوم السبت وهو يمتنى نفسه بعشاء شهى دسم .

ظلّ اليهودى ينتظر غروب شمس يوم السبت حين تنتهى شعائر ذلك اليوم ، فأخذ حطبًا وجهازه للإشعال استعدادًا لشىّ السّمك . غابت الشمس فجرى اليهودى إلى شاطئ البحر ، وسحب خيط الشّص فوجده ثقيلا ، فظل يسحبه حتى خرجت فى نهايته سمكة كبيرة . أخذها وجرى بها مسرعا إلى بيته . أشعل الحطب وبدأ يشوى الحوت الذى اصطاده ، ثم أكله فى نهم شديد وهو يضحك معجبا بذكائه وحيلته التى ساقها له الشّيطان .

شمّ اليهود الذين يقيمون بجواره ، رائحة السّمك المشوى فسألوه عنها .  
**فقال لهم :** كانت جلدة أحد الأسماك وسط الحطب فاحترقت . كيف أجد سمكًا يوم السبت ؟

\*\*\*\*\*

جاء يوم الجمعة التالى ، فأعد اليهودى عدّة خيوط فى آخر كل منها شصّ ، ورمّاها فى البحر ووضع الحجارة على نهايات الخيوط حتى لا تسحب السمكة الخيط ، فتظل حية فى الماء ومعلّقة فى الشّص تنتظر جمعها مساء يوم السبت .

جمع اليهودى الأسماك التى اصطادها وجرى بها إلى بيته ، يشوى إحداها ويحتفظ بالباقى ليأكل منها فى أيامه القادمة . اشمّ الناس رائحة شواء السّمك فجرؤا إليه .

**فقال أحدهم :** لا تقل لنا أن ما نشمه اليوم هو رائحة جلد سمك يحترق !

**ضحك اليهودى وقال لهم :** سوف أخبركم بالحقيقة فاجلسوا .

جلس القوم حوله فأخبرهم بفكرته التى نفذها لصيد السمك ، وأقنعهم أنه بذلك العمل لم يكسر العهد مع الله ، فقد انتظر فقط ولم يصطد . أعجب الجالسون بالفكرة الشيطانية بالتحايل على العهد وقرروا تنفيذها فى يوم الجمعة الذى يأتى واستعدوا لذلك . لم يكن الشيطان أقل نشاطاً عنهم فوسوس لهم أن يحفروا قنوات ضيقة بها مياه ضحلة تنتهى بحفرة ، فإذا جاء السمك يوم السبت وجد القنوات التى فتحتها اليهود يوم الجمعة فيدفع موج البحر بالسمك إلى القناة فيسبح السمك فى الماء الضحل ويسقط فى الحفرة فلا يستطيع الخروج منها ويبقى بها إلى أن يجمع اليهود صباح يوم الأحد الأسماك الوفيرة التى تجمعت فى الحفر .

رأى أهل القرية السمك الوفير الذى حصل عليه من تحايلوا على عهد السبت ، فانقسموا إلى ثلاثة أقسام : أولئك الذين أطاعوا الشيطان فاصطادوا وهم يصرون على أنهم لم يقترفوا أىّ ذنب . وقسم من الصالحين المؤمنين الذين وبّخوهم على التحايل على العهد مع الله الذى يختبر فيهم الصبر والإيمان ، فلم يرعوا العهد . وأما القسم الثالث من القوم ، فهم الذين قالوا للمؤمنين : ماذا توبخونهم على فعلتهم وهم يعلمون إثمهم ؟ إن الله سوف ينتقم ممن لا يرعى عهد السبت .

مرت الأيام واليهود مستمرّون فى مخالفة عهد الله معهم ، وصيد الحيتان كل أسبوع ، لا يستمعون لنصح الصالحين بالكف عن خيانة عهد الله ، فرحين بما أتوا لا يدركون أن الله سبحانه وتعالى يدّخر لهم العذاب فى الدنيا والآخرة .

قرر المؤمنون من أهل القرية أن لا يسكنوا إلى جوار هؤلاء القوم الذين عصوا الله وتحايلوا على شريعته ، فرحلوا بعيداً عنهم . بنوا لهم بيوتا جديدة فى مكان آخر تاركين القرية ومن عصى الله منهم ، يعيشون فيها وحدهم .

استمر اليهود العُصاة فى عملهم كل أسبوع ينصبون الفخاخ والحُفر  
للأسماك لتقع فيها كل يوم جمعة ، ثم يجمعون السمك صباح يوم الأحد .  
لاحظ المؤمنون يوما أن اليهود العُصاة لم يخرجوا إلى البحر يوم الجمعة  
كعادتهم لاصطياد السمك ، فتسلل بعضهم إلى القرية فلم يروا أحداً بها .

جرى المتسللون عائدين إلى أهلهم يخبرونهم أن القرية أصبحت خاوية  
لا بشر فيها . سارع المؤمنون جميعاً إلى القرية ، ليروا ما حلّ بها ،  
وجدوها خاوية كما وصفها المتسللون . نظروا داخل البيوت فإذا بأهل القرية  
جلوس داخلها ، وكلهم أصبحوا قروداً . مسخهم الله جميعاً فجعلهم  
قردة ، يجرون إلى أقاربهم يتمسحون فيهم ولا يعرفهم أقاربهم .

أيام ثلاثة عاشها القروء ثم ماتوا كلهم . إن أمر الله أن لا يعيش المسخ  
المشوه أكثر من ثلاثة أيام حتى لا يلد مسخاً . إن الله جميل يحب الجمال ،  
خلق الإنسان فى أحسن صورة فلا يرضى الخالق العظيم جلّ وعلا أن يكون  
عباده مشوهين ممسوخين .

نال اليهود الذين عصوا الله ولم يصبروا ، فتحايلوا على حكمه ،  
عقابهم فى الدنيا . لم ينفعهم طمعهم ولا جشعهم ، بل كان ذلك الأمر  
عليهم وبالاً وسوء مصير .



(١٨)

دُعَاءُ الشَّرِّ



جلس الجدّ وسط أحفاده ، يرحّب بهم ويسألهم عن دراستهم وواجباتهم ، ثم يسألهم عن مدى ما وصلوا إليه فى حفظ الآيات ، وفهمهم لما يقصّه عليهم .

**قال لهم :** قصة اليوم من أحسن القصص تتعلق بالدعاء إلى الله . تذكرون عندما تحدثنا عن الدعاء ، وقلت لكم : إن الدعاء لا بد وأن يكون للخير ؟ ولا يدعو أحد بالشر ؟ الله سبحانه وتعالى لا يحب إلا الخير والعمل الصالح . قصة اليوم التى أنزلها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم تفهمنا أن دعاء الشر ينقلب على صاحبه . دعونا لا نستبق الأحداث يا أولادى .

**نظر الشيخ إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى فى سورة الأعراف من الآية ١٧٥ إلى الآية ١٧٨ .

قرأ الحفيد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم فقال : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ \* سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ \* مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يَضِلْ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الجد :** سوف أبدأ فى سرد القصة ، وتدور أحداثها خلال السنوات التى مرّت على بنى إسرائيل وهم فى فترة التيه بالصحراء .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عاش رجل صالح مؤمن من قوم موسى عليه السلام ، ويدعى بلعام بن باعوراء ، مقرباً من الله سبحانه وتعالى بسبب كثرة العبادة لله والإيمان به ، فאלله يختار من عباده الصالحين أولئك الذين

يسارعون فى عمل الخير دائماً ، والذين يدعون الله ليل نهار خوفاً من الله سبحانه وتعالى ، ويطمعون فى رحمته وكرمه ، فيستجيب الله للدعاء إذا ما دعوه ، ويلبى جلّ جلاله لهم كل ما يطلبونه طالما أن دعاءهم من أجل الخير دائماً .

كان بلعام بن باعوراء رجلاً مستجاب الدعاء ، أعطاه الله سرّ الاسم الأعظم لله ، الذى إذا ما دعا به الإنسان استجاب الله لدعاء عبده . ولا يعرف اسم الله الأعظم إلا من يختاره الله عزّ وجلّ . وكان موسى عليه السلام يعرف صلاح بلعام بن باعوراء وتقواه ، فأرسله إلى ملك بلاد مدين ليدعوه إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

سافر بلعام بن باعوراء إلى أرض مدين فقابلته ملكها ، ورأى فيه رجلاً صالحاً وعرف عنه أن الله تعالى يستجيب لدعائه إذا ما دعاه .  
قال له ملك مدين بعدما رأى فى بلعام الصلاح وحسن الرأى والمشورة : أريدك أن تبقى معنا يا بلعام ، ولك كل ما تطلبه .

قال له بلعام : يا ملك مدين ، إننى مكلف بمهمة أؤديها ثم أعود إلى قومي .

قال له الملك : سوف أمنحك أرضاً مثمرة كبيرة لتعيش فيها معنا . إننا نحتاج إلى رجل مثلك بيننا . سوف أعطيك المال والماشية والأنعام والعبيد وأجعلك أغنى الناس بيننا فى مدين .

فكر بلعام فى الأمر الذى عرضه عليه الملك . يُسأل نفسه هل يترك العرض ويرفضه ويعود إلى موسى عليه السلام وهو وقومه فى الصحراء ؟ أم يقبل عرض الملك ويقيم فى أرض مدين وينعم بخيراتها ؟ قرر بلعام بن باعوراء قبول هدية ملك مدين ، وأقام فى المزرعة الهائلة التى أهداها إليه ملك مدين .

عاش بلعام فى أرض مدين سنين ، وفاقت أمواله وممتلكاته كل تصوّر فأصبح أغنى رجال مدين . جاءهم يوما خبر احتشاد المؤمنين تحت قيادة يوشع بن نون عليه السلام استعداداً لغزو أرض فلسطين ، وأنهم يتدربون كل يوم على القتال بعد انتهاء السنوات الأربعين التى أمضوها فى الصحراء تائهين لا يعرفون لهم مخرجاً منها .

فزع أهل مدين من تلك الأخبار عن جيش المؤمنين وقائدهم يوشع بن نون عليه السلام ، وبلغهم أنه رجل قوى وشجاع ، فخافوا من الهزيمة أمام ذلك الجيش واحتلال بنى إسرائيل لديارهم وأرضهم .

ذهبوا إلى بلعام بن باعوراء وقالوا له : إن يوشع رجل قوى ومعه جيش وجنود كثيرون ، نحن نعلم أنك مستجاب الدعاء ، فادع لنا الله أن يردّ عنا بأسهم وأن نهزمهم .

قال بلعام : يا قوم ، هل تريدون منى أن أدعو على نبيّ ؟

قالوا له : نعم ، وعلى جيشه معه .

قال بلعام : سوف أسأل ربّى أولاً عن الدعاء على نبيّه ، ثم أخبركم .

عاد بلعام إلى القوم وأخبرهم أن الله نهاه عن الدعاء على نبيّه يوشع بن نون . جاء القوم بالهدايا والأموال والعبيد ، وقدموها إلى بلعام ، وطلبوا منه أن يسأل الله مرة أخرى ، قام بلعام إلى مصلاه ، فصلّى لله ثم دعا ربّه أن يلهمه ما يفعل . عاد بلعام بن باعوراء إلى قومه وقال لهم أن الله نهاه عن الدعاء على نبيّه ومن معه من المؤمنين ، وطلب منهم أن يتركوه لحاله .

انتظر أهل مدين بضعة أيام ، ثم ذهبوا إلى بلعام فقدموا له الهدايا والمال والأنعام والعبيد .

وقالوا له : اسأل لنا الله يا بلعام ، لقد بلغنا أن جيش يوشع بن نون يستعد للهجوم علينا .

قام بلعام بالدخول إلى مصلاه ، فصلّى ودعا ربه طويلاً ، ثم عاد إلى

القوم وأخبرهم أن الله لم يأمره بشيء . طلبوا منه أن يدعو على المؤمنين ونبئهم .

لكنهم لاحظوا تردده فقالوا له : يا بلعام ، لو كرر ربك أن تدعو عليهم لنهاك عن ذلك كما فعل من قبل .

\*\*\*\*\*

ترك الله سبحانه وتعالى الخيار لبلعام بن باعوراء ، إما أن يعمل صالحا كما تعود فلا يطيع القوم بالدعاء على المؤمنين ، وإما أن يدعو عليهم فيعصى الله . اختار بلعام الدنيا ، فقرر أن يدعو على المؤمنين ويعصى الله . ركب بلعام حماره ، وتوجه إلى الجبل الذى يستطيع وهو فوق قمته أن يرى جيش المؤمنين . صعد حماره الجبل ، ووراءه نفر من قوم مدين ليشهدوا هلاك جيش يوشع بن نون بعد دعاء بلعام عليهم . عندما اقترب بلعام من القمة توقف الحمار عن السير ورفض المشى ، ثم رقد على الأرض . أخذ بلعام يضرب حماره حتى قام ليمشى . سار الحمار خطوات ثم توقف مرة أخرى ورقد . عاد بلعام إلى ضرب الحمار ليتحرك . فأنطق الله سبحانه وتعالى الحيوان الأعجم الذى قال لبلعام: ويحك يا بلعام ، أين أنت ذاهب ؟

قال بلعام بغیظ : ما شأنك أنت أيها الحمار ؟

فأنطق الحمار يقول : يا بلعام ، أما ترى الملائكة أمامى تضرب وجهى وتردنى عن السير ؟ هل تذهب لتدعو على نبي الله ومن معه من المؤمنين ؟

ظل بلعام يضرب حماره ، ويحضه على السير ، فمشى الحمار وهو ينهق حتى بلغ قمة الجبل فنظر بلعام بن باعوراء أمامه ، فوجد جيش يوشع عليه السلام فى معسكره على أهبة الاستعداد بقوة وجند كثير . رفع بلعام يديه إلى السماء ودعا الله . كلما دعا على المؤمنين بالشر بدّل الله برحمته الدعاء ليصيب قوم بلعام . كان يدعو على جيش يوشع عليه السلام ، فيجد لسانه ينطق :

اللهم اجعل جيش الكفرة مهزوما .

صرخ قوم مدين المحيطون به قائلين : هل تدعو علينا يا بلعام ؟

فرد عليهم يقول والحيرة تملكه : وماذا أفعل ؟ كلما دعوت على المؤمنين صرف الله لسانى عنهم وحوّل الدعاء عليكم ، لقد ذهبت منى الدنيا والآخرة يا قوم مدين .

كفّ بلعام عن الدعاء ، فوجد لسانه قد تدلّى من فمه على صدره ، لا يستطيع أن يعيده إلى فمه مرة أخرى . أصبح لسانه شبيها بلسان الكلب يحسّ بالعطش ويلهث دائما .

\*\*\*\*\*

جلس بلعام يحدث نفسه ويقول : لقد منحنى الله نعمة الاستجابة للدعاء . كنت أستطيع أن أفوز بالجنة وأنا فى تلك النعمة ، لكننى تركتها واخترت الدنيا وما فيها من مُتّع زائلة . لقد ظلمت نفسى وكفرت بنعم الله علىّ ، فخالفت أوامره وخرجت عن طاعته .

ظلّ بلعام يبكى ندمًا ، جلس وحيدًا بعدما تركه قوم مدين .

جاءه الشيطان يوسوس له : لقد ذهبت منك الدنيا بخروج لسانك فأصبحت مثل الكلب . ينفر الناس منك وخسرت الآخرة ؛ لأن الله أخذ منك نعمة الاستجابة عند الدعاء . أنساك الله اسمه الأعظم ولم يبق لك يا بلعام إلا المكر والحيلة لكى يعود القوم فيحبّونك .

فرك بلعام كفيه فرحًا وسأل الشيطان ماذا يفعل ؟

فقال له الشيطان الذى سعد بخروج عبد صالح مؤمن عن طاعة الله عز وجل : دع قومك يبعثون بنسائهم الجميلات إلى معسكر جيش المؤمنين ، فيترك الجنود الحرب ويلهون مع النساء .

فرح بلعام بن باعوراء بفكرة الشيطان الرّجيم .

وعاد إلى قومه مسرعاً يقول لهم : إن لم يستجب الله لدعائى فإن عندى فكرة سوف تجعلكم تهزمون أعداءكم .

قالوا له : ما الذى عندك يا بلعام من أفكار ؟

قال لهم بلعام بن باعوراء : جملوا نساءكم وابعثوا بهن إلى جيش المؤمنين ، ومعهن الهدايا والطبل والزمر فيلهون معهن وينسون الحرب والقتال .  
تشاور القوم فى الفكرة التى طرحها بلعام أمامهم ، فأعجبتهم الحيلة ، يفكرون فى الانقضااض على جيش المؤمنين إذا ما اشتد تفكك جيش يوشع ابن نون .

قال لهم بلعام وهو يراهم فى حيرة بين القبول للفكرة التى أعجبتهم ، وبين الرفض لخوفهم : ماذا أفعل يا قوم ؟ لقد خسرت دنيائى وآخرتى ولم يبق لى سوى المكر والحيلة .  
فعل قوم بلعام ما أشار به عليهم ، فأرسلوا نساءهم إلى جيش المؤمنين . ترك الجند سلاحهم وجروا يستقبلون النساء ، يلهون معهم ويغنون على أصوات الطبل والزمر .

غضب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين لما فعلوه . بعث عليهم مرض الطاعون فتفشى فيهم ، فقضى على عدد كبير جداً منهم .

حزن نبيّ الله يوشع بن نون ﷺ على ما أصاب قومه نتيجة عصيان ما أمرهم به الله ، فقام بطرد النساء وقتل من لم تُردّ منهن أن تذهب عنهم . دعا يوشع ﷺ الله أن يهدى قومه للإيمان وطاعة الله حتى يستطيعوا أن يهجموا بالجيش على فلسطين ؛ ليأخذوا أرضها بعد سنوات التيه الأربعين فى الصحراء .



(١٩)

الأشهر الحرم

جلس الجدّ في غرفته وحوله أحفاده ، يمسك كل منهم بمصحفه الكريم .

قال الشيخ يخاطبهم : افتحوا المصاحف على سورة التوبة .

ونظر الى واحد من الحفدة وقال له : اقرأ لنا الآيتين ٣٦ و ٣٧ من سورة التوبة .

قرأ الفتى يقول بعد أن استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ إِنَّمَا النِّسْيَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ صدق الله العظيم .

قال الشيخ : أحسنت يا ولدى . والآن أشرح لكم .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، تعرفون أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض جعل كل شيء خلقه في كتاب . وعندما خلق الله السماوات والأرض جعل السنة مقسمة إلى اثني عشر شهراً . وهذه الشهور هي شهور قمرية ، أى : يبدأ الشهر عند ظهور هلال القمر ، وينتهى الشهر عند اختفائه ؛ ليبدأ الشهر الجديد بظهور الهلال مرة أخرى . تعلمون هذا جيداً في شهر رمضان المبارك عندما ننتظر ظهور الهلال لنصوم ، وننتظر ظهور هلال شهر شوال لنحتفل بعيد الفطر المبارك .

وتعرفون أيضاً يا أولادى أن البيت العتيق ، الذى رفع قواعده سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام منذ قديم الزمان ، جعله الله قبلة للناس ليحجّوا إليه ، ويطوفوا حوله ويسبّحوا بحمد الله ، فقرر الله عزّ



وجلّ أن يوفر للناس الأمن والطمأنينة أثناء موسم الحج . قضى الله سبحانه أن يجعل في السنة أربعة أشهر يحرم فيها القتال أو النزاع : شهر ذى القعدة ، عندما يبدأ الناس في السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وشهر ذى الحجة ، الذي يؤدون فيه مشاعر الحج . وشهر المحرم ، الذي يعود فيه الناس إلى بلادهم بعد أداء مراسم الحج . وتعرفون أن الجمال والإبل والسير مع القوافل كانت هي وسائل السفر للحج في القرون الماضية ، فوفر الخالق الكريم لحجاج بيته الأمن خلال تلك الأشهر . واختار الله بعزته شهر رجب أيضا كشهر حرام رابع لكي يستطيع الناس في الجزيرة العربية أن يسافروا باطمئنان لأداء مراسم العمرة قبل شهر رمضان . اختار الخالق العظيم هذه الأشهر الأربعة ، فحرمها على الناس ، وأمرهم وأمرنا جميعا بأن لا نظلم فيهن أنفسنا ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يضاعف العقاب لكل من يرتكب ذنباً أو إثماً في هذه الأشهر الحرم . إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم في غيرها . وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ، لكن الله عز وجلّ يعظم من أمره كيف يشاء . فقد اصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكر الله ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، ومن الليالي ليلة القدر . علينا أن نعظم ما عظم الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*

جاءت فترة من الزمن تحوّل القوم في مكة إلى الشرك والكفر بدين جدّهم إسماعيل عليه السلام ، فعبدوا الأصنام وبدّلوا من عندهم فيما حرم الله . كان هؤلاء المشركون يمتنعون عن قتال أعدائهم خلال الأشهر الثلاثة الحرم أثناء موسم الحج ، لكنهم قرروا أن يحلّوا شهر المحرم عاماً ثم يحرموه عاماً آخر ، ويبدّلوا التحريم بين شهرى المحرم وصفر .

كان المنادى من المشركين يقول لهم : إنا قد حرّمنا المحرم وأخرنا صفر .

ثم يجيء العام التالي بعده فيقول : إنا قد حرّمنا صفر وأخرنا المحرم . وسوف تتساءلون عن معنى كلمة النسيء ؟ معناها : التأخير .

نظر الجد إلى أحفاده وقال لهم : لا شك أنكم تريدون سماع كيف تحوّل أهل مكّة والجزيرة العربية إلى الكفر بعد أن كانوا من أتباع سيدنا إسماعيل عليه السلام يدينون بدين الإسلام الذي بُعث به سيدنا إبراهيم ، عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام . سوف أقصّ عليكم ما حدث .

\*\*\*\*\*

عاش إسماعيل عليه السلام في مكّة ، وماء زمزم يفيض أمامه ، فكان يسقى منه الناس والأنعام ويتولى سقاية الحجيج وسدانة بيت الله الكريم . يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار على دين أبيه إبراهيم عليه السلام . كان يدعو سكان مكّة من قبيلتي الجراهمة والعماليق وغيرهم إلى عبادة الله وعدم الإشراف به وتأدية المناسك في موسم الحج كما تعلمها من أبيه الخليل ، عليهما السلام . وعاش أولاد إسماعيل إلى جواره يتعلمون منه ، وهو الرسول النبي الذي اشتهر بين قومه بصدق الوعد الذي وصفه به الله عزّ وجلّ .

شبّ أولاده وانتشروا في كل مكان ، يسировون على دين جدّهم إبراهيم وأبيهم إسماعيل عليهما السلام . ولما ازدحمت مكّة وما حول البيت الحرام بالناس انتقل أولاد إسماعيل بقبائلهم وتفرّقوا في أنحاء الجزيرة العربية ولم يبق مع إسماعيل عليه السلام من أولاده سوى نابت وقيدار . تولّى نابت الابن البكر لإسماعيل أمر بيت الله بعد وفاة أبيه ، فسار على نهجه في رعاية وإكرام ضيوف الرحمن أثناء الحج . وعاشت مكّة في أمان كما كانت في عهد إسماعيل ، لا يُظلم من دخلها ، ولا يقرب أحد أموال الكعبة التي تُهدى إليها ، والتي كانت تُوضع في بئر احتفره إبراهيم عليه السلام داخل الكعبة .

\*\*\*\*\*

عاشت في مكّة قبيلتان : جرهم وقطوراء التي كان يُطلق عليها اسم العماليق . وانضم إلى القبيلتين قومان أبناء عمومة من اليمن : قوم مضاض

ابن عمرو الجرهمي ، فنزلوا في مكان بأعلى مكة ، في حمى الجراهمة ، وقوم السُمَيْدَع ، ونزلوا في أسفل مكة في حمى قبيلة قاطوراء . كان الجراهمة هم أحوال أولاد إسماعيل ، فأمرهم زوجة إسماعيل عليه السلام كانت من قبيلة جرهم . فشارك الجراهمة أولاد إسماعيل عليه السلام في تولي أمر البيت الحرام وأمر السقاية من بئر زمزم . ولما توفى نابت بن إسماعيل ، تولي مضاض بن عمرو الجرهمي ولاية البيت من بعده ، ولم يعترض أولاد نابت ، فلقد كان مضاض جدّهم وأولاده أحوالهم ، فرضوا بذلك ولم يعترضوا .

مرت السنون وقرر مضاض الجرهمي فرض ضريبة يجيئها على كل غريب يدخل مكة من أعلاها حيث يقيم الجراهمة ، بمقدار عشر ثمن ما معهم من بضاعة أو أشياء أخرى . سارع السُمَيْدَع بدوره إلى فرض ضريبة مماثلة على الغرباء الداخلين إلى مكة من أسفلها حيث تقيم قبيلة قاطوراء . اتفقت القبيلتان على عدم الاعتداء على بعضهم البعض والاكتفاء بجباية العشور على كل من يدخل بلد الله الحرام من جهته .

غار السُمَيْدَع من ابن عمه مضاض ، وهما اللذان خرجا معاً من اليمن فأقاما في مكة يقسمان خيرها ، وهو يرى استقلال مضاض بولاية البيت الحرام والسقاية من زمزم . استعد القومان للقتال رغم ما بينهما من اتفاق ، ودارت الحرب بينهما وقتل فيها السُمَيْدَع ، فتداعوا للصلح وهما أبناء عمومة ، وسلّموا الأمر لمضاض ، وأقروا إليه بأمر مكة كله . لم يرض أبناء إسماعيل عليه السلام وأبناء نابت وأبناء قيذار عمّا جرى في مكة من بغى وقتال ، ولم يقدرُوا على منع جدّهم وأحوالهم عما قاموا به من بغى في بلد الله الحرام ، فتركوا مكة ، وشاء الله بقدرته أن ينتشر ولد إسماعيل في البلاد كلها ، تاركين البيت العتيق للجراهمة .

\*\*\*\*\*

انتشر الفساد بين الجراهمة في مكة ، وسُرقت أموال الكعبة ، ونُسئت الأشهر الحُرُم ، وانتُهكت حُرمة بيت الله الكريم في عهدهم ، حتى بلغ

برجل منهم يُدعى : إساف بن بغى أن يواعد امرأة من الجراهمة تدعى : نائلة بنت ديك للقاءه فى داخل الكعبة ، فى أظھر مكان خلقه الله عزّ وجلّ ، فمسخهما الله القدير العزيز وجعلهما حجرين من قبل أن يفجرا فى بيت الله . أخرجهما الناس حجرين ونقلوهما إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ليكونا عبرة وعظة لكل من تحدّثه نفسه بالاقتراب بالبغى من بيت الله الحرام ، والفسوق فى حرمه الطاهر .

اجتمعت قبائل بنى بكر وخزاعة ، وتشاوروا فيما حل بمكة من فجور الجراهمة وقرروا حربهم وإخراجهم من مكة . وعندما لاحت الهزيمة للجراهمة ، جرى عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، فنزع حجر الركن والغزالين الذهبين اللذين كانا يزينان الكعبة فوضعها فوق حافة بئر زمزم ثم أتى بالدروع والسيوف الثمينة التى يمتلكها هو وقومه ، فوضعها فوق زمزم ثم ردم عليها وهرب مسرعا . اختفت بئر زمزم ولم يعثر عليها المنتصرون من بنى بكر وخزاعة .

فرحت قريش ، وهى بيوت متفرقة من بنى كنانة ، بانتصار بنى بكر ، حفدة إسماعيل عليه السلام ، بتطهير البيت الحرام من الجراهمة . لم تستمر الفرحة طويلا ، إذ اختلفوا مع قوم خزاعة ، وتمكن عمرو الخزاعى من الاستيلاء على ولاية البيت الحرام والسقاية واستبعاد بنى بكر منها . أقروا مبدأ توارث بنى خزاعة لولاية البيت دون غيرهم ، فدان حكم مكة إلى عمرو بن لُحى الخزاعى ، وجعلته قبائل العرب رئيسا لها .

\*\*\*\*\*

سافر عمرو بن لُحى يوما إلى الشام بتجارته ، فمرّ بقوم من العماليق ، فرآهم يعبدون الأصنام فسألهم عنها فأخبروه أنهم يعبدونها ، يسألونها المطر والنصر . طلب منهم صنما فأعطوه واحدا يُقال له : هُبَل ، فنصبه عندما عاد إلى مكة ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . كان صنم هُبَل هو أول صنم عبُد فى مكة من دون الله تعالى .

لم يكتف عمرو بن لُحى الخزاعى بذلك ، لكنه أمر القوم أن يعبدوا  
صخرة فى الحرم الشريف تسمى صخرة اللات ، كان رجل من قبيلة ثقيف  
يلت عليها الطعام للحجاج .

فلما مات الرجل قال لهم عمرو بن لُحى : لم يمت الرجل من بنى ثقيف وإنما دخل فى  
الصخرة . ابنوا عليه بيتا يسمّى اللات . فبنوا البيت فعبدوه .

وسمع عمرو بن لُحى أنهم يعبدون فى مدينة جدّة أصناما كانت تُعبد فى  
زمن نوح عليه السلام : ود وسُواع ويَعُوث وَيَعُوق ونَسْر . سافر عمرو بن لُحى  
إلى جدّة وأتى بها إلى مكة فنصبها فى الكعبة الشريفة وأمر الناس بعبادتها .

أصبحت مكة وبلاد العرب تعجّ بالأصنام والأوثان وانتشرت تجارتها ،  
فظهر الكهنة وانتشرت الخرافات والعرافة والشعوذة ، وصار الأمر مجالا  
خصبا للشيطان مع القوم الذين نسوا قدسيّة المكان وتشريف الله سبحانه  
وتعالى لتلك البقعة الطاهرة .

قال الجد لأحفاده : أتعلمون يا أحفادى ماذا قال رسول الله ﷺ ؟

قال ﷺ : « رأيت عمرو بن لُحى الخزاعى يجرّ قصبة فى النار . وكان أول  
من سيّب السوائب » . هكذا كانت مكة ، بلد بيت الله الحرام ، مرتعا  
للكفار من عبدة الأصنام ، حتى بعث الله لنا محمداً ، ففتح مكة وكسّر  
الأصنام ، وأعاد للكعبة الشريفة قدسيّتها وتحريمها ، لا يُعبد فيها إلا الله  
ربّ العالمين سبحانه وتعالى . فالحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على  
سيدنا محمد وسلّم .

\*\*\*\*\*



رحب الجدّ بأحفاده الملتفين حوله كعادتهم كل مساء .

**قال لهم الشيخ :** نواصل اليوم إن شاء الله حديثنا عن أحسن القصص ،  
 قصص القرآن العظيم . وقصة اليوم هي من أحب القصص إليكم وإلى كل  
 المسلمين ؛ لما فيها من الحُصّ على الصبر ، الذي أمر الله المسلمين أن  
 يتمسكوا بالصبر دائماً في كل أمورهم . إن أصابهم خير من الله فعليهم  
 بالصبر عليه وشكر الله وحمده على نعمه . وإن أصابهم مكروه صبروا عليه  
 داعين الله أن يفرّج عنهم كربتهم . وقصة اليوم هي عن اتهام أخوة يوسف  
 له بالسرقة . وهل يسرق نبيّ ؟ سوف نرى إن شاء الله أسباب ذلك الاتهام .  
 إنني أدرك أنكم تعرفون قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وكذلك قصة أبيه سيدنا  
 يعقوب عليه السلام ، فقد قصصتهما عليكم عندما تحدّثنا عن قصص الأنبياء  
 عليهم السلام ، ولكن إيضاح موضوع السرقة يقتضى بنا العودة إلى سرد  
 بعض التفاصيل التي سبق وأن قلّتها لكم باختصار في قصّتي يوسف  
 ويعقوب عليهما السلام .

أشار الجد إلى حفيد من أبنائه وقال له : اقرأ لنا يا ولدي في سورة يوسف ، من  
 الآية ٦٩ إلى الآية ٧٧ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، فرتّل : ﴿وَلَمَّا  
 دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \*  
 فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ  
 لَسَارِقُونَ \* قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ \* قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ  
 بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا  
 سَارِقِينَ \* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ \* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ  
 جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ \* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ

وَعَاءَ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ \* قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ صدق لله العظيم .

قال الشيخ : أحسنت يا ولدي ، فتح الله عليكم جميعا إن شاء الله ، كان أبو يوسف ، سيدنا يعقوب عليه السلام ، يعلم بالوحي أن الله سبحانه وتعالى سوف يختار ابنه يوسف ليمنحه بركة جده الأكبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فكان يحبه حبا جما ولا يفارقه ، مما أوجد الغيرة في نفوس أبناء يعقوب الآخرين فقرروا التخلص من ذلك الطفل الجميل الذي فاز بكل حب أبيهم يعقوب . مرت الأحداث التي تعرفونها بإلقاء يوسف في البئر العميق وأخذه كعبد إلى مصر وبيعه للعزيز ، ثم دخوله السجن ، إلى أن مكّن الله نبيه يوسف عليه السلام من أن يشرف على خزائن مصر ، يدير أمورها في السنوات السبع العجاف التي اختفى فيها الطعام ، فجاع الناس وجاءوا إلى مصر من كل مكان للحصول على شيء من الطعام الذي احتفظ به يوسف في الخزائن . والآن إلى سرد القصة التي نحن بصددتها .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، جاء أخوة يوسف إلى مصر مع القادمين يلتمسون طعاما ، وكان من عادة يوسف عليه السلام أن يغطي وجهه بوشاح ؛ حتى لا يرى الناس جمال وجهه الذي يتلأأ منه النور ، نور وجه الأنبياء . لم يعرف أخوة يوسف أن الرجل المثلّم الذي يوزع الطعام على الناس هو أخوهم يوسف ، لكنه عرفهم . ووجد أن شقيقه الأصغر بنيامين لم يكن معهم .

أعطاهم العجوب وسألهم : كم أخ أنتم ؟



قالوا أنهم أحد عشر أخاً ، مات لهم أخ من قبل . فسألهم عن أخيهم الآخر وهو يراهم تسعة فقط ، وطلب منهم أن يحضروه معهم فى المرة القادمة وإلا منع عنهم الغذاء .

وقال : إذا أحضرتوه معكم فسوف أزيد من الغذاء لكم بمقدار ما يحمله بعير .

عاد أخوة يوسف إلى أبيهم ، وحكوا له ما حدث لهم وظلوا يقنعونه بأن يرسل معهم ابنه بنيامين ، بعد أن وجدوا بضاعتهم التى باعوها فى مصر ، قد وضعت مع الغذاء الذى أتوا به من هناك . كان يوسف عليه السلام قد أخفى بضاعتهم التى جاءوا بها لبيعها فى مصر وشراء الغذاء بثمنها ، مع ما حملوه من غذاء على الجمال ، لهدف قصد إليه يوسف عليه السلام . إما أن يعيدوا تلك البضاعة إلى مصر ، وإما يشجعهم ذلك للعودة للحصول على المزيد من الغذاء . كان هدف يوسف عليه السلام أن يعود أخوته مرة أخرى وأن يصطحبوا معهم أخاه بنيامين .

\*\*\*\*\*

تحقق ما أراده يوسف عليه السلام ، فقد ظل أخوة يوسف يلحّون على أبيهم يعقوب عليه السلام أن يرسل معهم بنيامين حتى يحصلوا على المزيد من الطعام لهم . قدّموا لأبيهم كل ما طلبه منهم من عهود ومواثيق للمحافظة على ابنه بنيامين خوفاً من إضاعته ، كما أضاعوا ابنه الحبيب يوسف من قبل .

دخل الأخوة ومعهم بنيامين على يوسف ؛ لينالوا ما وعدهم به من غذاء ، فعرف أخاه واشتاقت نفسه لرؤيته وهو الذى حُرّم من أخوته سنين طويلة . أسرّ يوسف إلى بنيامين أنه شقيقه الذى رماه أخوته غير الأشقاء فى البئر منذ سنين طويلة وطلب منه أن يكتّم الأمر ؛ لأنه يدبر أمراً ما .

أكرم يوسف إخوته ولم يفصح لهم عن شخصيته ، وأمر رجاله بأن يضعوا المكيال الفضى الذى يكيل به القمح فى متاع أخيه بنيامين . عندما بدأ أخوة يوسف فى الانصراف نادى كبير حراس القصر بأن مكيال الملك قد

سُرِق . أمسكوا بالإخوة .

فقال أحدهم أنهم ما جاءوا إلى مصر ليسرقوا . فأمر يوسف بتفتيش متاع كل خارج من المدينة لمعرفة السارق .

قال له أخوته : يا أيها العزيز إننا قوم نؤمن بالله ولا نسرق أبدا .

فقال له يوسف عليه السلام : وماذا أفعل بكم إذا وجدت أن أحدكم قد سرق

المكيال ؟

قالوا له : إن ديننا يقول أن من سرق شيئا من أحد فإنه يصبح عبداً لمن

سرق منه .

\*\*\*\*\*

كان يوسف عليه السلام يريد منهم أن يصرحوا بحكم شريعة دينهم فى حكم السارق ، فهو يدرك أن شريعة أبيه يعقوب هى نفس شريعة إسحاق وإبراهيم عليهم جميعا السلام . يريد أن يأخذ أخاه منهم ويبقيه عنده . تلك كانت هى الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها أن يبقى بنيامين معه ؛ لأنه لو طبق مبدأ الملك فى مصر وحكمه فى السارق لوضع أخاه فى السجن ، كما كان المصريون يفعلون مع السارق . وجدوا المكيال فى متاع بنيامين .

صاح الحراس مهللين : وجدنا المكيال هنا ، هذا هو السارق .

أمسكوا ببنيامين وقدموه عبداً ليوسف . بكى أخوة يوسف أمامه ، يستعطفونه لكى يتركه إكراما لأبيه الشيخ ، وأن يأخذ بدلا عنه أخا آخر . رفض يوسف ذلك وأصر على أخذ بنيامين .

قال أحد الأخوة مخاطب يوسف : إنك تعلم يا أيها العزيز أننا ما جئنا هنا لنسرق .

فقال له يوسف عليه السلام : لقد وجدنا المكيال فى متاع أخيكم فهو السارق إذن .

ولسوف أطبق شريعتكم ويصبح عبداً لى .

قال الأخ : إن كان هذا الأخ قد سرق فقد سرق شقيقه الذى مات من

قبل .

حزن يوسف عليه السلام عند سماعه لقولهم واتهامهم إياه بالسرقة ، فهو يعلم أنهم كاذبون ، لكنه لم يرد على اتهامهم ، بل أخذ أخاه إلى قصره وأكرمه ، يحدث ذاته فيقول : إنكم أخوة تُخفون الشرّ دائما لى ، لكن الله سبحانه وتعالى يعرف عباده ، ويعرف أننى لم أسرق أبدا .

\*\*\*\*\*

نال يعقوب عليه السلام بركة أبيه إسحاق التى ورثها عن أبيه إبراهيم عليهما السلام . وكان ليعقوب توأم أخ يدعى العيص ، فخافت أم يعقوب على ابنها من غيظ توأمه العيص بعدما نال يعقوب بركة الأنبياء ، فطلبت من زوجها إسحاق عليه السلام أن يأمر ابنهما يعقوب بالسفر إلى خاله فى بلاد حران؛ ليعمل عنده ويتزوج من بناته . أمر إسحاق ابنه يعقوب بالسفر إلى خاله لابان فى أرض حرّان . سافر يعقوب إلى خاله الغنى الذى لم يكن يؤمن بدين إبراهيم عليه السلام ، بل كان غارقا فى الشرك بالله يعبد الأصنام . وجد يعقوب أن لخاله ابنتين . الكبرى وتدعى ليا والصغرى ذات الجمال والحسن تدعى راحيل ، فطلب يعقوب من خاله لابان أن يتزوج من راحيل .

**قال له خاله :** إن أردت أن تتزوج من راحيل عليك أن تعمل عندى لمدة سبع سنوات ترعى فيها أغنامى .

وافق يعقوب على شرط خاله وعمل السنوات السبع فى رعى أغنامه ، ثم طلب منه الوفاء بوعده وتزويجه براحيل . جمع لابان الناس وزفّ إليه ابنته ليا وكانت تقاليدهم أن لا يرى الرجل عروسه قبل دخول بيته .

**عندما اكتشف يعقوب الخديعة التى دبرها خاله ، قال له :** لقد غدرت بى يا خال . لقد

خطبت منك راحيل من قبل وليست ليا .

**فقال له خاله لابان :** ليس من عادتنا أن نزوّج الصغرى قبل الكبرى . إذا

أحببت أن تتزوج أختها راحيل فاعمل سبع سنوات أخرى فأزوجك إياها .

كان أهل ذلك الزمان يستطيعون الزواج من أختين فى وقت واحد إلى أن نزلت التوراة فحرمت زواج الشقيقتين . عمل يعقوب عند خاله سبع سنين أخرى ؛ ليفوز بالزواج من راحيل التى أحبها . مضت السنوات السبع على يعقوب حتى استطاع الزواج من راحيل ، وقد أصبح له سبعة أولاد من زوجته ليا : بنت وحيدة وستة أولاد ذكور . وكان لكل من زوجته جارية ، أنجب منهما يعقوب أربعة أولاد ذكور . وشاء الله سبحانه وتعالى أن تكون راحيل ، التى شقى يعقوب من أجلها أربع عشرة سنة ، عاقرا لا تلد .

\*\*\*\*\*

طلب يعقوب من خاله أن يسمح له بالعودة إلى ديار أبيه .

**فقال له خاله :** لقد جلبت لى البركة يا يعقوب فزادت أغنامى ومواشى أضعافا مضاعفة منذ جئت إلينا . خذ منها ما تشاء وخذ زوجتيك وأولادك وارحل إلى حيث يعيش أهلك .

كان لدى خال يعقوب أصنام يضعها فى البيت ليعبدها ، فقامت راحيل بسرقتها من أبيها وخبأتها فى متاعها . سافر يعقوب وأهله فى قافلة كبيرة ، يسوقون أمامهم الأغنام والأنعام التى أعطاهها له خاله لابان . اكتشف لابان سرقة أصنامة الصغيرة ، فجرى مع رجاله حتى لحق بالقافلة ، فاستوقف يعقوب ، وقام بتفتيش القافلة كلها بحثًا عن تلك الأصنام . جلست راحيل فوق الأصنام وادّعت أنها مريضة لا تستطيع القيام ، فلم يعثر لابان على التماثيل بعد أن فتشوا عنها فى كل مكان ، ومع كل من بالقافلة رجالا ونساءً وأطفالا وعبيدا . عندما فقد لابان الأمل فى العثور على أصنامة ترك يعقوب وقافلته يستأنفون سيرهم ، حتى وصلوا إلى بلد أبيه إسحاق عليه السلام .

دعا يعقوب ربه الله أن يرزقه بطفل ذكر من زوجته راحيل التى أحبها وشقى من أجلها كل تلك السنين . استجاب الله بعزته وجلاله لدعاء نبيه ، فحملت راحيل ثم أنجبت أجمل مخلوقات الله من الذكور بعد سيدنا آدم عليه السلام . ولدت له راحيل غلاما شريفاً جميلاً ، أسماه أبوه يوسف ، ثم

أنجبت له ابناً ثانياً أسماه بنيامين بعد استقرارهم فى بلدة نبيّ الله إسحاق عليه السلام.

\*\*\*\*\*

شبّ يوسف ، وبدأ اللعب كالأطفال ، فعثر يوماً على الأصنام الصغيرة التى كانت أمه قد سرقتها وخبأتها سنوات طويلة ، ولم تخبر أحداً بما فعلته . أمسك الطفل يوسف بالأصنام الصغيرة ، وهو صبى يبحث دائماً عن اكتشاف الجديد ، أو هى مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فى أن يعثر يوسف وحده على تماثيل تصوّر الشرك بالله . أمسك بها الصبى وأخذ يكسرها . رآه أخوته وهو يحطم التماثيل فاتهموه بأنه هو الذى سرقتها من جدّه لابان عندما خرجوا من بلاد حران . لم يستطع الصبى الصغير أن يدافع عن نفسه أو ينفى تهمة السرقة ، بل ألصقها به أخوته من شدة حسدهم له .

وكانت عمّة يوسف ، أخت يعقوب الكبرى ، تحبّ الصبى يوسف حبّاً جمّاً ، تبقّيه معها دائماً ، وكان لسيدنا إسحاق عليه السلام حزام يلقّه حول وسطه ، بركة من إبراهيم الخليل . فلما مات إسحاق ورثت ابنته الكبرى حزام أبيها ، لكنها من شدة حبها ليوسف ورؤيتها لحسد إخوته له قامت بلف الحزام حول وسط يوسف لتمنحه بركة الحزام ، حتى يحفظه الله من كل شرّ .

ماتت عمّة يوسف ، فبحثوا عن الحزام بركة إسحاق وإبراهيم عليهما السلام فلم يجدوه . كل واحد من الإخوة يحاول أن ينال الحزام . واكتشفوا يوماً أن الحزام مربوط حول وسط يوسف ، فاتهموه بسرقة من عمّته . ولم يستطع الغلام أن يدافع عن نفسه بأنه لم يسرق الحزام . ألصقت بيوسف عليه السلام تهمة السرقة للمرة الثانية .

كان قلب الصبى يوسف قلب مؤمن . اختاره الله بعزّته ليودع فى قلبه هذا حب الخير للبشر ، مثله مثل قلوب كل الأنبياء عليهم السلام . اعتاد يوسف أن يأخذ الطعام من بيت أبيه ويخرج إلى الفقراء فيعطيههم ذلك الطعام ليأكلوا . أمسك به أخوته يوماً وهو يأخذ الطعام ويخرج به ليزعه

على الفقراء ، فاتهموه بسرقة طعام البيت .

كانت الصفات التى أودعها الله فى نبيه يوسف عليه السلام منذ طفولته :  
العداء للأصنام ، يحطمها لأن قلبه لا يؤمن إلا بالله الواحد القهار .  
ويحمل يوسف عليه السلام بركة الأنبياء ، بما ألبسته عمته بحزام جدّه إسحاق  
المزدان ببركة سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام ، والعطف على الفقراء  
والمساكين .

تلك الصفات ، صفات الأنبياء ، هى نفسها الصفات التى اتهم فيها  
نبيّ الله يوسف بأنه سارق . ذلك هو الفرق بين نظرة الرضا من الله عزّ  
وجلّ إلى يوسف ونظرة الحقد والحسد من البشر إلى يوسف عليه السلام .

\*\*\*\*\*

(٢١)

الإِسَاءَةُ

جمع الجد أحفاده حوله كعادته كل مساء، وقال لهم : قصة اليوم يا أولادى هى واحدة من المعجزات التى وهبها الله لرسوله محمد ﷺ . إنها قصة الإسراء برسولنا من مكة إلى بيت المقدس ، وما جرى فيها . لكنى أود قبل أن أحكى لكم قصة الإسراء أن أوضح لكم الظروف التى مرّ بها رسول الله ﷺ قبل معجزة الإسراء .

جاء عام الحزن على رسول الله ﷺ ؛ إذ مات عمّه أبو طالب ، ثم توفيت زوجته خديجة رضى الله عنها ، وشدد الكفار من قريش من إيذائهم للنبي ، فخرج عليه الصلاة والسلام إلى الطائف راجياً أن يستجيب أهلها للحق وبدعوة الإسلام . لم ير النبي منهم سوى الأذى والرمى بالأحجار حتى سال الدم من رجله الشريفة .

جلس الرسول الحبيب إلى جوار بستان خارج البلدة يدعويه الله ويقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك أو يحلّ على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

بعث الله سبحانه وتعالى بسيدنا جبريل ومعه ملك الجبال إلى رسول الله ﷺ يسألانه هل يطبق الجبلين على أهل مكة ؟

فرفض محمد ﷺ وقال : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له » .

هذا هو محمد ، الحبيب المصطفى الغالى ﷺ . عاد إلى بيته حزينا على ما صادفه فى الطائف وما قوبل به من جفاء أهلها . لكن الله سبحانه



وتعالى ، أسعد قلب هذا النبي الكريم الذي شكّا لخالقه عزّ وجلّ ما هو فيه ، فأراه الله بقدرته ما لم يره رسول آخر ، والله أعلم بخلقه ، إنّما ما نعرفه بعلمنا القليل هو أن الإسراء بمحمد ﷺ كان له دونًا عن الرسل والأنبياء الآخرين ، عليهم السلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأشار الجدل إلى أصغر أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا صغيري في سورة الإسراء الآية الأولى .

فقرأ الصغير بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الشيخ : أحسنت يا ولدي ، والآن أقص عليكم قصة الإسراء بالنبي ﷺ .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، نام رسول الله ﷺ ، فجاءه سيدنا جبريل عليه السلام ، وهمزه بقدمه فصحا النبي من نومه فلم ير شيئا فنام ، فجاء جبريل فهمزه مرة ثانية ، فصحا النبي لكنه لم ير شيئا ، وفي المرة الثالثة أمسك برسول الله ﷺ وأخذه خارج البيت . رأى النبي دابة بيضاء حجمها أكد من الحمار وأقل من البغل ، وفي فخذه جناحان . عندما حاول النب ركوبها جفلت الدابة .

فقال لها جبريل عليه السلام : ألا تستحي يا بُراق مما تصنع ؟ فوالله ما ركبك ع لله قبل محمد أكرم عليه منه .

فتصبب العرق من البراق ، وهى الدابة التى تُحمل عليها الأنبياء . ركب رسول الله ﷺ البراق مع جبريل عليه السلام ، فرأى آيات الله سبحانه وتعالى بين السماء والأرض حتى وصل إلى بيت المقدس فوجد إبراهيم

وموسى وعيسى ونفراً من الأنبياء عليهم السلام فصلّى بهم رسول الله ﷺ إماماً .

أتى جبريل عليه السلام بثلاثة أوانٍ : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وثالث فيه ماء .

وسمع رسول الله عليه الصلاة والسلام من يقول : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته . وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهُديت أمته . فأخذ رسول الله اللبن .

فقال له جبريل : هُديت وهُديت أمتك يا محمد .

\*\*\*\*\*

جاء الصباح ، فذهب محمد ﷺ إلى قريش يخبرهم بما حدث وإسراء الله به إلى المسجد الأقصى ، فلم يصدّقه معظم الناس ، يقولون له أن الرحلة بين مكة وبيت المقدس تستغرق شهراً فى الذهاب ومثله فى العودة ، فكيف يذهب محمد إلى بيت المقدس ويعود فى ليلة واحدة . أخبرهم رسول الله أنه رأى فى طريق عودته قافلة وصفها لهم .

ذهب الناس إلى أبى بكر وقالوا له : يا أبا بكر ، يزعم صاحبك أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه ثم رجع إلى مكة .

قال لهم أبوبكر : إنكم تكذبون عليه .

قالوا له : لم نكذب ، هو فى المسجد يحدث الناس .

قال لهم أبوبكر : والله لئن كان قاله لقد صدق . إنه ليخبرنى أن الخبر يأتى من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدّقه .

توجه أبوبكر رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ وقال : يا نبيّ الله ، أحدثت القوم أنك

جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟

فقال رسول الله ﷺ : « نعم » .

فقال أبوبكر : يا نبيّ الله ، صفه لى فإنى قد رأيته .

أمر الله سبحانه وتعالى برفع المسجد الأقصى أمام أعين محمد رسول الله ﷺ ، فأخذ يصفه ، وكلما وصف مكانا فيه ، يقول له أبو بكر : صدقت . أشهد أنك رسول الله . وكلما وصف شيئا آخر يقول أبو بكر نفس القول حتى انتهى رسول الله من وصف المسجد الأقصى .

قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « وأنت يا أبا بكر الصديق » .

ومنذ ذلك اليوم ، أسماه النبيّ عليه الصلاة والسلام بالصدّيق .

\*\*\*\*\*

نظرا لجد إلى أحفاده وقال : عرفتم مكانة أبى بكر عند رسول الله ﷺ ؟ لقد صدّقه عندما كذّبه الناس فى حديثه عن إسراء الله به من مكة إلى بيت المقدس . وعرفتم أيضا المكانة التى يحظى بها رسولنا الكريم بين رسل الله وأنبيائه . لقد كان محمد إمامًا لكل الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا . وهذا الأمر هو تشريف لرسولنا والحمد لله .

وقال الشيخ : ماذا حدث بعد أن أسرى الله بعبده محمد عليه الصلاة والسلام ؟ لقد أخذ النبيّ فى رحلة العروج إلى السماوات العلا ، فأراه الله عزّ وجلّ من آياته ما رأى ، وفرض الله على رسوله وعلى أمته الصلاة . هذه القصة سوف نعالجها إن شاء الله فى ليلة قادمة .

\*\*\*\*\*

(٢٢)

**الفتية المؤمنون**

جلس الجدّ وسط أحفاده يسألهم عن أحوالهم ، وما حفظه كل منهم من آيات القرآن الكريم .

**قال لهم :** سنقرأ اليوم إن شاء الله في سورة الكهف . هذه السورة تضمنت العديد من القصص التي أنزلها الله عزّ وجلّ على رسوله محمد ﷺ . وتضمنت القصص القرآنية الإجابات على الأسئلة التي وجهها يهود المدينة للنبي ﷺ ليعرفوا ، أو ليتأكدوا أنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى . فالأسئلة لا يعرف إجاباتها سوى الله سبحانه وتعالى ، وأنزلها على موسى عليه السلام من قبل فعرها أحبار اليهود ، وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ جاءهم بالإجابات إلا أنهم لم يسلموا ، بل شكّوا ، كطيعتهم دائما في نبوة محمد ﷺ ورسالته .

**نظر الشيخ إلى أحفاده وقال لأحدهم :** اقرأ لنا يا ولدي في سورة الكهف من الآية ٩ إلى الآية ١٨ .

استعاذ الحفيد بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا \* إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرْبَنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا \* ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا \* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا \* هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا \* وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا \* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ

ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا \*  
وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ  
ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا \* صدق  
الله العظيم .

**قال الجند :** فتح الله عليك يا ولدى ، اسمعوا الآن قصة هؤلاء الفتية  
المؤمنين .

\*\*\*\*\*

كان الملك دقيانوس جباراً كافراً يأمر الناس بعبادة الأصنام ، فيذبحون  
لها فى أعيادهم ويسجدون لتلك الأصنام . كان للبلدة عيد يجتمع فيه الناس  
كل عام ليذبحوا أمام أصنامهم ، وكان هناك فتية من أهل تلك المدينة  
يجدون فى عبادة الأصنام والسجود أمامها ما لا يتفق وما يشعرون به من  
جلال الله الخالق الواحد ووجوب عبادته . أبت قلوبهم مجاراة أهل بلدتهم  
فى طقوسهم بعبادة الأصنام ، وما يفعله أهل البلدة من سجود وذبح لتلك  
الأحجار .

ذهب أحد هؤلاء الفتية بعيداً عن اللهو والأصنام وجلس تحت ظل  
شجرة يفكر فيما يفعله أهله فى عيدهم . جاءه فتى آخر ، فجلس إلى  
جواره ، ثم جاء ثالث ، ثم فتى رابع ، لا يعرف أحد عددهم غير الله  
سبحانه وتعالى . لم يكن الفتية من الأصدقاء ، لا يعرفون بعضهم البعض ،  
لكن الله عز وجل جمعهم فى ذلك المكان ، وجمع قلوبهم على الإيمان .  
كان كل واحد من الفتية يكتُم ما فى صدره عن الآخرين ؛ خوفاً منهم ،  
فهو لا يدرى إن كان كل الجالسين حوله يفكرون بمثل ما يعتقدوه هو .

**فخاطبهم أحدهم قائلاً:** تعلمون يا قوم أن هناك سبياً فى تركم أهلكم وحدهم  
فى العيد . فليقل كل منكم السبب الذى دعاه إلى ترك الاحتفال بالعيد .

**قال واحد من الفتية :** لقد رأيت ما يفعله قومي في العيد وأرى أنه شيء باطل . إن الذي يستحق أن يُعبد وحده ولا يُشرك به شيئاً هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيها .

**قال فتى ثالث :** لقد أحسست والله بنفس ما تحدثت عنه يا أخى .

اتفقت آراء كل الفتية الموجودين تحت الشجرة على أن الله وحده هو الجدير بالعبادة والسجود له . تعاهدوا على عبادة الله وحده ، واتفقوا فيما بينهم على اتخاذ مكان لهم يعبدون فيه الله .

\*\*\*\*\*

عرف الناس في المدينة بأمر هؤلاء الفتية ، فذهبوا إلى الملك دقيانوس وأخبروه بأمر أولئك الفتية الذين يرفضون عبادة الأصنام ويجتمعون معا لعبادة الله . استدعاهم الملك الظالم الجبار وسألهم عن أمرهم وما هم فيه ، فأجابوه بالحق ودعوه إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وترك عبادة الأصنام التي صنعوها بأيديهم من الحجارة التي لا تنفعهم ولا تضرهم .

ثار الملك عند سماعه لقولهم ، فهددهم وتوعدهم بالقتل والتعذيب . أمر الملك دقيانوس بنزع ثيابهم عنهم وكل ما كان عليهم من زينة . وقرر الملك أن يتركهم هكذا ويطلق سراحهم حتى يراهم الناس في المدينة ، كنوع من الإهانة لهم . ذلك هو ما قدره الله لهم ، سبحانه وتعالى لكي يحفظهم من تعذيب الملك الكافر لهم ثم قتلهم . الله بجلاله يقدر بعزته كل أمر .

**قال لهم الملك دقيانوس قبل إطلاق سراحهم :** سوف أمنحكم فرصة لكي تفكروا فيما تقولونه عسى أن تعودوا إلى صوابكم وتعبدوا ما نعبد .

تساور الفتية في أمرهم فهم لن يرجعوا عن عبادة الله الذي آمنوا بوحدانيته وألوهيته لا شريك له ، وأنهم لا يمكن لهم العودة إلى عبادة الأصنام . استقر رأيهم على الفرار من ذلك الملك الكافر ومن القوم بالمدينة عبدة الأصنام .

قال أحدهم لزملائه : إن فارقنا هؤلاء القوم فإن الله سوف يبسط علينا رحمته .

اتفق الفتية على مغادرة المدينة واعتزال القوم الكافرين . قرروا الهروب إلى الجبل والبحث عن مأوى فيه . أعدوا عدّتهم سريعا وهربوا إلى الجبل فوجدوا كهفا فدخلوه وجلسوا فيه ، ينتظرون رحمة ربهم .

طلب الملك دقيانوس إحضار الفتية إليه مرة أخرى ليسألهم عما طلبه منهم بتغيير معتقداتهم فلم يجدهم جنود الملك . أمر الملك الجبار على الأرض جيشه بالخروج والبحث عن الفتية الذين عصوا أوامره وهربوا . انتشر الجنود فى كل مكان يبحثون ، لكن الله سبحانه وتعالى أعمى الجند عن رؤية الفتية داخل كهفهم ، فمشوا بعيدا عنهم وتركوا الفتية بالكهف .

\*\*\*\*\*

كان دخول الفتية إلى الكهف فى الصباح وكان معهم كلب أحدهم ، اصطحبه لحراستهم . عندما انصرف جند دقيانوس الذين يبحثون عنهم مشى الكلب إلى مدخل الكهف ، ورقد مادّا قدميه الأماميتين ، واضعاً رأسه بينهما ، وكأنه يحرس الكهف ومن به من فتية . طال النهار ، فرقد الفتية مكانهم ليناموا .

جاء أمر الله سبحانه وتعالى الذى لا يترك عباده المؤمنين وقت شدّتهم ، بل يجد لهم مخرجا من كل ضيق ، فالله يعلم ما فى القلوب وما فيها من إيمان فيهدى من يشاء من عباده . أنامهم الله فى رقدتهم بأن جعلهم لا يسمعون شيئا ، لكن عيونهم ظلت مفتوحة وهم نيام ، لحكمة خلقها الله ، فلو انطبقت الجفون لمدة طويلة لفقدت إبصارها ، فأبقاها الله أحسن الخالقين مفتوحة حتى يتخللها الهواء الذى يدخل من فتحة الكهف ، كما تدخلها أشعة الشمس من تلك الفجوة مرة فى الصباح عند الشروق ، وأخرى عند غروب الشمس .



جعل الله عزّ وجلّ الفتية يتقلّبون فى رقدتهم على جنوبهم اليمنى مرةً ،  
واليسرى أخرى حتى لا يصابوا بمرض قرحة الفراش التى تصيب المرضى  
الذين لا يستطيعون التقلّب أو الحركة وهم رقاد . أنام الله سبحانه هؤلاء  
الفتية المؤمنين ثلاثمائة سنة وتسع سنين . أنامهم الله ثلاثمائة سنة ميلادية ،  
بحساب غير المسلمين . ويحسب المسلمون السنين بالسنة القمرية ، فإذا ما  
حُسب الفرق بين السنة القمرية والسنة الميلادية فإن الفرق يبلغ تسع سنين  
بعد ثلاثمائة سنة ميلادية . والله أعلم بما لبثوا فى كهفهم .

\*\*\*\*\*

بعث الله الفتية المؤمنين بعد كل تلك الفترة ، فقاموا من نومهم فأروا  
الليل قد دخل عليهم .

تساءل أحدهم يقول : كم لبثنا هنا ؟

فردّ عليه أحد الفتية يقول : لبثنا يوماً أو بعض يوم .

قال الفتى هذا رأى دلالة على أن حالهم لم يتغير أو يتبدل رغم طول  
السنوات التى مرّت عليهم فى كهفهم . لم تطل ذقونهم ولا شعرهم ، فلم  
يلاحظوا أى نوع من التغير طرأ عليهم . شعروا بالجوع .

فقال أحدهم يخاطب رفاقه : فلينزل أحدنا إلى المدينة ليشتري لنا طعاما . عليه أن  
لا يثير انتباه أحد من الناس إليه ، فإنهم لو عرفوا مكاننا لقتلونا أو أجبرونا  
على العودة إلى عبادة أصنامهم .

جمع الفتية ما معهم من نقود فضية ، وقدموها للفتى الذى قرر أن ينزل  
إلى المدينة ليشتري لهم الطعام . خرج الفتى من الكهف متسللاً وتوجه إلى  
المدينة لشراء الطعام . عندما لاحت المدينة أمام أنظار الفتى ، تعجب وهو  
يرى كل شىء قد تغيّر فيها ، وهو لا يدرى سبباً لذلك . مشى بحذر فى  
شوارع المدينة متعجباً من ذلك التغير الذى طرأ عليها وعلى الناس أيضاً  
الذين تغيرت ملامحهم وملابسهم .

تقدّم إلى أحد محال الطعام ليشتري شيئاً منه ، ثم قدّم ما معه من عملات فضيّة ، مضى عليها أكثر من ثلاثمائة سنة . أمسك البائع بالنقود ، ثم أراها لرجل يقف إلى جواره .

قال الرجلان للفتى : هل عثرت على كنز يا بُنى ؟

فارتبك الفتى ، وقال : إننى من هذه المدينة التى يحكمها دقيانوس .

قال البائع : أتقول : دقيانوس ؟ ذلك الملك الظالم ؟

قال الفتى وهو يرتعد خوفاً : نعم .

قال له الرجل مبتسماً : لقد مات دقيانوس منذ نحو ثلاثمائة سنة يا ولدى .

هل جنّنت ؟

تجمّع الناس حول الفتى ، ينظرون إليه وهم يضحكون . اعتقدوا أن الفتى قد جنّ ، بقوله أنهم خرجوا من المدينة هرباً من دقيانوس وقومه وأقاموا فى أحد الكهوف .

\*\*\*\*\*

سار الناس مع الفتى حتى وصلوا إلى الكهف ليتأكدوا من صدق كلامه . طلب منهم الفتى أن ينتظروا حتى يدخل هو أولاً لئلا يفزع رفاقه إذا ما رأوا الناس . أيقن أهل البلدة عندما رأوا الفتية فى الكهف أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، وأن الله عزّ وجلّ هو الذى يُحيى ويميت . كان الإيمان قد عمّ المدينة ، فأعطى حاكم المدينة الأمان للفتية ، وفرحوا بالخلاص من الشرك بالله ومن عبادة الأصنام .

خرج الناس من الكهف وهم يتعجّبون من آيات الله العظيمة التى يُريها للناس كل حين ، وعاد الفتية إلى أماكنهم فى الكهف وناموا ، فأماتهم الله عزّ وجلّ .

\*\*\*\*\*

(٢٣)

الكفر والإيمان

جلس الأحفاد حول جدّهم وأمام كل منهم مصحفه الكريم ، ينتظرون أمر جدّهم بالبدء فى القراءة متشوّقين لسماع قصة جديدة من قصص القرآن الكريم ، أحسن القصص .

حيّا الجدّ أحفاده ثم دعاهم وقال : لا زلنا مع سورة الكهف وما فيها من عظات على كل مؤمن أن يعيها ويفهم مغزاها ، ويعمل بما جاء فيها من توجيهات الخالق العظيم ، سواء بالنهى عن أشياء قد لا يفكر فيها الإنسان ، أو بالطاعة لما يطلبه منا الله عزّ وجلّ .

أشار الشيخ إلى أحد أحفاده وقال : اقرأ لنا يا ولدى فى سورة الكهف من الآية ٣٢ وحتى الآية ٤٣ لنعرف الخيط الرفيع بين الكفر والإيمان . جنبكم الله وإيانا الكُفر بالله ، وجعلنا من المؤمنين الصابرين الشاكرين لله جلّ جلاله وعظم شأنه .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا \* كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا \* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا \* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا \* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا \* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا \* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَأَى أَنْ أَوَّلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا \* فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا \* أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا \* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ

أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٩٠﴾  
صدق الله العظيم .

قال الجدة : أحسنت يا ولدى . والآن أصغوا جيداً لمغزى هذه القصة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، أنعم الله على عبد من عباده بالجاه والمال ، فكان له بستانان مليئان بالفواكه من العنب وحولهما النخيل يحيط بهما من كل جانب . قام الرجل بزراعة الحديقتين بالمحاصيل الزراعية الأخرى . وكان من نعم الله على الرجل أن فجر الله نهراً بين الجنتين ، وتفرع النهر إلى عدة أنهار صغيرة فى كل جانب ، يروى منها أراضيه .

تعود الرجل أن يزرع ويحصد الثمار الوفيرة التى أعطتها كل الأشجار ، فيبيعها للناس . زاد ماله وكثرت أرباحه . ولم تقف نعم الله على الرجل عند ذلك الحد ، بل أعطاه الله سبحانه وتعالى أولاداً ، يملأون عليه حياته ، ويتمتعون بالنعم التى وهبها الله لأبيهم .

أحس الرجل بمدى الغنى والنعيم الذى يرفل فيه ، فتسلل الشيطان إلى صدره يوسوس له بأنه أصبح أغنى الناس وأعلاهم مقاماً فى المدينة . دخل الكبر والغرور إلى قلبه فتمكن منه .

جاءه أحد أصحابه يوماً لزيارته ، فقال لصاحبه : تعال معى لأريك المزرعتين اللتين أمتلكهما .

كانت الأشجار قد امتلأت بالثمار الناضجة ، وخضرة الأشجار ونضارتها بادية ، والماء يجرى خلال الحدايق .

قال لصاحبه : إننى أكثر منك مالا وثروة . ولدى من الأبناء والخدم والعبيد عدد كبير . لا أظن أن لديك مثل ما عندى .

وضحك الرجل فى غرور والكبر يملأ صدره .

نظر إلى الشمارف فوق الشجر وقال لصاحبه : لا أظن أن تفنى هذه الحدائق أبدا .

نظر صاحبه إليه نظرة عتاب على ما يقول ، فضحك صاحب الحديقتين وقال : ولا أعتقد أن هناك شيئا اسمه الآخرة . وحتى إن كانت هناك جنة فإن الله سوف يعطيني مثل هذه البساتين الياقة ؛ لأننى أستحقها بما صرفته فيها من أموال ، وكما أعطانى الله إياها فى الدنيا فلا بد أن يعطينى مثلها فى الآخرة .

\*\*\*\*\*

تعجب الصديق من قول صاحب المزرعتين ، ما يقوله يعتبر كُفراً بالله العظيم وبنعمه على العباد . شعر أن الكبر والغرور قد أنسيا صاحبه أن الله سبحانه وتعالى هو الذى منح ذاك الرجل كل تلك النعم . ها هو يكفر بالله ويعتقد أن الدنيا هى كل شيء وأنه يستحق كل تلك النعم .

قال له صاحبه المؤمن : هل كفرت بالله العظيم يا رجل ؟ هل نسيت أن الله سبحانه وتعالى قد خلقك من تراب ثم صنعك رجلا وأمدك بكل هذه النعم ؟

نظر إليه صاحب البستانين مندهشا ، فقال له صاحبه : إننى أوّمن بالله العظيم ولا أشرك برّبى أحداً . كان يجب عليك أن تقول وأنت تدخل إلى أملاكك : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، لا أن تقول ما قلته يا صاحبنى .

قال صاحب الحديقتين : وما الذى قلته أنا يا رجل ؟

قال صديقه : قلت الكثير . قارنت بين مالى وأولادى ، بما لديك من ثروات وعزوة وعائلة كبيرة . إننى أقل منك مالا ، وليس عندى الكثير من الأولاد والخدم ، لكننى أرد الفضل كله لله رب العالمين ، فهو الذى أنعم علىّ بما لدىّ من ثروة قليلة .

تعجب صاحب الحديقتين من قول صاحبه .

فخبط كفيه تعجبا وقال له : إن ما قلته عن أملاكى وأهلى حقيقة . هل تنكر

لك ؟

**قال له الصديق :** هذه نعم من الله يا رجل ، الله ينعم على من يشاء .  
 قد يعطينى ربى أكثر مما أعطاك . لا أحد يدرى . أو قد يرسل الله على  
 مزارعك أمطاراً غزيرة تهلك الزرع فلا تجد لك ثمرة واحدة أو يجعل الله  
 الأنهار تجفّ فجأة فلا تجد ماءً تروى به الزرع فيموت وتجف الأشجار .  
 ضحك الرجل من كلام صاحبه ، يشير بيديه إلى الأشجار الياقة  
 والثمار التى تتدلى فوق الأغصان ، يرى صاحبه النعيم الذى يعيش فيه ،  
 والذى ملأ صدره بالغرور والكبر .

\*\*\*\*\*

ذهب الرجل بعد أيام إلى مزارعه ليتفقدّها ، فلم يجد بها ثمرة واحدة .  
 أبادهها الله سبحانه وتعالى فى غمضة عين . وقع للرجل الذى كفر بنعم الله  
 عليه ما حذرّه منه الرجل المؤمن . وقف صاحب الحديقتين فاتحاً فمه من  
 الدهشة والحسرة وعدم التصديق . يضرب كفّاً بكف تعجباً مما يراه .  
**يقول :** ليتنى لم أشرك بالله ، ليتنى لم أحس بالغرور بما عندى من مال  
 ونعم من الله سبحانه وتعالى .

دار الرجل بعينه فى البستانين اللذين أصبحا أرضاً بوراً بلا ثمار أو ماء ،  
 فيستغفر ربّه ويضرب كفّاً بكف .

**ويقول :** أين ذهب المال الذى أنفقته على هاتين الجنتين ؟ أين ذهب  
 الجهد والعرق ؟ راح كل ذلك فى غمضة عين .

نظر حوله فى دهشة وألم يعصر كبده ، لا يدرى ماذا يفعل ، لم يجد  
 أحداً إلى جواره لينقذه مما أصابه من ضياع ماله فى لحظة . أدرك أنه لا  
 عاصم من غضب الله إلا الإيمان بالخالق العظيم سبحانه وتعالى وعدم  
 الإشراك به . الله وحده هو الذى يرزق العباد . وعلى العباد أن يردّوا  
 الفضل كله دائماً إلى الخالق جلّ وعلا .

\*\*\*\*\*

(٢٤)

موسى والخضر عليهما السلام



التف الأحفاد حول جدّهم ومع كل منهم القرآن الكريم ، يستعدون للقراءة عندما يطلب الشيخ ذلك منهم .

دعاهم الجدّ، وقال يخاطبهم : لا زلنا مع سورة الكهف التى يعلمنا فيها الله سبحانه وتعالى الكثير من الحكم التى يجب أن يتبعها كل مؤمن .

نظرا لجدّه إلى أحد أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا ولدى فى سورة الكهف من الآية ٦٠ إلى الآية ٧٠ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا \* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا \* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا \* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا \* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا \* قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ صدق الله العظيم .

اعتدل الجدّ فى قعدته وقال يحدث أحفاده : يقص لنا ربنا سبحانه وتعالى فى هذه القصة ما دار بين موسى والخضر عليهما السلام . لم يرد فى القرآن الكريم اسم الخضر عليه السلام صراحة ، أو صرح القرآن الكريم بأنه نبيّ من عند الله العظيم . لكن رسول الله ﷺ قال أن ذلك العالم الذى بعث الله بموسى إليه لكى يتعلم منه هو الخضر . كما أعلمنا رسولنا الكريم ﷺ أن فتى موسى عليه السلام هو يوشع بن نون ، النبىّ الذى بعثه الله إلى بنى إسرائيل بعد

وفاة موسى . سوف أحكى لكم القصة وما احتوته من عبرٍ يجب على كل مسلم مؤمن أن يعيها وأن يجعلها دائما في قلبه وذاكرته .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، وقف سيدنا موسى عليه السلام يخطب في الناس من بنى إسرائيل ، يحبب إليهم الإيمان بالله ويذكرهم بنعم الله التي أنعمها عليهم ، ويشرح لهم أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى من عباده الكفر والشرك به . فاضت دموع السامعين للنبي موسى عليه السلام ، ورقّت قلوبهم لما يقوله لهم .

قال موسى عليه السلام : لقد كلم الله نبيكم تكليما ، واصطفاه لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه . إن نبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة .

لم يترك موسى عليه السلام نعمة من نعم الله على بنى إسرائيل إلا وعرفهم إياها .

قام رجل من بنى إسرائيل وسأل موسى عليه السلام : يا نبي الله ، هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟

فقال موسى عليه السلام : لا ، ليس هناك من هو أعلم منى .

عتب الله سبحانه وتعالى على موسى ، الذى لم يرد العلم لله العليم القدير . أوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن هناك من هو أكثر علما من موسى فى الأرض . سأل موسى ربه عن مكان ذلك العالم لكى يذهب إليه فيتعلم منه . أخبره الله تعالى أنه إذا مشى إلى المكان الذى يلتقى فيه البحرين فسوف يجد ذلك العالم ، وأن على موسى أن يأخذ معه سمكة ، فإذا هربت السمكة التى معه إلى الماء فإن ذلك هو المكان الذى سيرى فيه ذلك الرجل العالم .

طلب موسى عليه السلام من فتاه يوشع بن نون عليه السلام ، أن يأخذ طعاما لهما ليأكلانه فى سفرهما ، بحثًا عن الرجل العالم ، وطلب موسى من فتاه أن يضع سمكة مملحة فى الجراب الذى سيحمله معه فى السفر . وطلب موسى من يوشع عليهما السلام أن يخبره عندما تقفز السمكة المملحة إلى الماء .

خرج موسى ومعه يوشع بن نون ، وهو الفتى الذى لا يفارق النبىّ موسى عليه السلام ، والذى يتعلّم منه الدين الصحيح ، وأصول عبادة الله عزّ وجلّ . كان لا يعارض نبىّ الله ولا يناقشه فى أىّ أمر يصدره إليه ، أدبًا وحبًا فى موسى كليم الله . كان يوشع بن نون عليه السلام هو النبىّ الذى بعثه الله لبنى إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام .

\*\*\*\*\*

وصل موسى ويوشع عليهما السلام إلى مجمع البحرين بعد سفر شاق ، فوجدا أرضا رطبة تحت الشجر ، فقعدا واستندا إلى صخرة ليستريحا . ناما فى قعدتهما من التعب . تحرّكت السمكة بإذن ربّها وقفزت من الجراب تضرب فى الأرض حتى وصلت إلى الماء ، واختفت فى البحر . رأى يوشع ابن نون السمكة وهى تهرب حتى وصلت إلى الماء ، فقرر أن لا يوقظ موسى وهو يراه نائمًا من التعب . قرر أن ينتظر حتى يفيق موسى عليه السلام من غفوته فيخبره بما حدث . عندما صحا موسى من نومه طلب من يوشع أن يسرعا للبحث عن الرجل العالم ، فنسى يوشع أن يخبر موسى بما حدث للسمكة .

أحس موسى بالجوع فقال لفتاه : لقد تعبنا من السفر ، إننى أشعر بالجوع . فلنجلس ونأكل .

تذكر يوشع السمكة الهاربة ، فقال لنبىّه موسى : لقد أسانى الشيطان أن أذكر لك أن السمكة قفزت إلى الماء ونحن نستريح بجوار الصخرة .

قال موسى ليوشع بن نون : هذا ما كنّا نريد أن نعرفه . هيا بنا نعود إلى المكان الذى قفزت فيه السمكة إلى الماء .

عاد موسى عليه السلام إلى المكان الذي أحيا الله فيه السمكة ، فوجد الخضر عليه السلام واقفا ، ألقى موسى السلام .

فقال له الخضر، ذلك النبي الذي علمه الله أكثر مما علم به موسى : وهل هناك سلام على الأرض ؟

قال له موسى : إننى أنا موسى .

قال له الخضر عليه السلام : موسى نبيّ بنى إسرائيل ؟

قال موسى عليه السلام : نعم . سأله الخضر عليه السلام عما يريد .

فقال له موسى عليه السلام : جئتك لتعلمنى ممّا علّمت من الحكمة .

قال الخضر عليه السلام : أما يكفيك يا موسى أن التوراة بيدك ؟ وأن الله عزّ وجلّ كلّمك ؟ وأن الوحي يأتيك ؟ يا موسى إن لى علماً لا ينبغي عليك أن تعلمه ، وأن لك علماً لا ينبغي لى أن أعلمه .

وبينما هما يتكلمان جاء طائر وانقضّ من علّ، يلتقط شيئاً من الماء .

فقال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام : والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر . لا يستطيع أن ينقصه أبداً .

أطرق موسى عليه السلام برأسه ، ثم طلب من الخضر أن يمشى معه فيتعلّم

منه .

قال له الخضر : لن تستطيع يا موسى أن تصبر على ما سوف تراه .

أكد كليّم الله أنه سوف يكون صابراً مطيعاً ؛ لأنه يريد أن يتعلّم .

قال له الخضر : إذا رأيت منى فعلا فلا تسألنى عنه حتى أخبرك عنه .

فوعده موسى عليه السلام بذلك ومشى إلى جوار الخضر ، فوجدا سفناً صغيرة تنقل الركّاب من برّ إلى آخر ، فركبا إحداها ، فقام الخضر وسط الماء بنزع أحد الألواح الخشبية من المركب .

فصرخ فيه موسى قائلاً : لماذا خرقت السفينة ؟ إنها لن تصلح للعمل بعد ذلك .

قال له الخضر ﷺ : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع أن تصبر يا موسى ؟  
ألم نتفق على أن لا تسألنى عن شىء حتى أخبرك عنه ؟

اعتذر موسى عن نسيانه الوعد ، ونزلاً من المركب فمشيا معا . وجدا  
غلماناً يلعبون ، فنادى الخضر أحدهم ثم قتله .

فصرخ موسى : لماذا تقتل نفساً زكية بغير حق ؟

فقام الخضر بتذكير موسى بوعدده أن لا يسأل ، وقال له : لقد أخبرتك من قبل أنك لن  
تستطيع الصبر على ما لا تعلمه يا موسى .

أبدى موسى أسفه مرة ثانية على النسيان بالوعد الذى قطعه على نفسه .  
وقال للخضر : إذا سألتك مرة أخرى فلا تسامحنى . سوف أفارقك .

مشى النبيان معا ، فدخلوا قرية فطلبوا طعاماً من أهل تلك القرية ،  
فرفض الناس أن يعطوهم طعاماً ، ورأى الخضر جداراً على وشك السقوط ،  
فقام الخضر بهدم البناء القديم ، ثم قام بإعادة بناء الحائط .

قال له موسى : لقد طلبنا طعاماً من أهل هذه القرية فرفضوا ولم  
يستضيفونا ، فتقوم أنت ببناء الحائط بعد ذلك وبدون أجر . لماذا لم تطلب  
أجراً نظير ما قمت به من عمل ؟

نظر الخضر إلى موسى ، عليهما السلام وقال له : هذا فراق بينى وبينك يا موسى . لم  
تصبر حتى أشرح لك ما قمت به من عمل .

\*\*\*\*\*

شرح الخضر ﷺ ما قام به من عمل خلال رحلته مع موسى ﷺ .

فقال الخضر : إنه كان هناك ملك ظالم يدعى هدد بن بدد ، كان يستولى  
على كل سفينة تبهر فى الماء بتلك الناحية . وكانت السفينة التى ركبها  
الخضر وموسى عليهما السلام لأيتام يرتزقون منها ، يعيشون على المال القليل  
الذى يحصلون عليه كأجر ممن يركبون معهم . فأوحى الله سبحانه وتعالى

إلى الخضر بأن يعيب تلك السفينة حتى إذا وجدها الملك الظالم لا تصلح للملاحة تركها لأصحابها ، فيقومون بإصلاحها واستخدامها مرة أخرى .

وأما الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام فإنه وُلد كافراً ، رغم أن أبويه كانا صالحين يعبدان الله ، لكنهما تعلقا بحب ابنهما حباً شديداً رغم عدم اتباع الابن لدين والديه ، بل طُبع على الكفر . قضى الله عز وجلّ بالوحى إلى الخضر أن يقتل ذلك الغلام الذى كان سيشبّ على الكفر ، ويدفع بأبويه اللذين يحبّانه كل الحب إلى الكفر هما أيضاً بسبب ذلك الحب لابنهما . أراد الله جلّت قدرته أن يعوّضهما بطفل جديد يخرج مؤمناً بالله مثل والديه مسلمين لله عز وجلّ .

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين ، وكان مدفوناً تحت ذلك الجدار كنز من الذهب ، دفنه أبو الغلامين . أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الخضر أن يعيد بناء ذلك الحائط حتى لا يقع فيعثر الناس على الكنز المخبأ للولدين . أراد الله سبحانه وتعالى أن يظل الكنز مدفوناً محفوظاً للولدين حتى يكبرا ، ويجدان كنزهما فيأخذانه .

\*\*\*\*\*

قال الخضر لموسى ، **عليهما السلام** : ما فعلت يا موسى ما فعلته من نفسى ، إنما كان ذلك بوحي من الله سبحانه وتعالى رحمة منه ، وهو الرحمن الرحيم ، للأيتام أصحاب السفينة ، ولأبوى الغلام الكافر ، وللولدين اليتيمين .

عرف موسى عليه السلام أنه لا يجب على الإنسان المؤمن أن يحكم على أمر قدره الله بأنه ضار . فقد يكون الفعل الذى ظاهره شرّ فيه كل الخير ، ولا يستطيع الإنسان أن يحكم بمجرد الظاهر على أمر أراده الله سبحانه وتعالى . على الإنسان المؤمن أن يرضى بكل ما قدره الله ، مؤمناً بأن فيه الخير إن شاء الله من عند الله سبحانه وتعالى .

\*\*\*\*\*



التف الأحفاد حول جدّهم ، يحملون مصاحفهم ويبتغون أمر جدّهم  
 فى قراءة الآيات التى سيطلب منهم قراءتها ، ابتسم لهم الجدّ فى حنان ،  
 وسألهم عن أحوالهم وهو يرى الرغبة فى عيونهم لبدء الدرس اليومى .  
 ابتسم لهم وقال : أرى فى أعينكم الرغبة أن نبدأ فوراً فى سرد قصة جديدة .  
 فابتسم الأحفاد ، وكأنهم يوافقون على ما قاله الشيخ .

بإدلهم الابتسام ، وقال : لا زلنا فى سورة الكهف وما بها من قصص أنزلها الله  
 بعزّته على رسوله محمد ﷺ . وقصة اليوم ستكون إن شاء الله عن ذى  
 القرنين ، الذى ذكره الله فى القرآن فى سورة الكهف ، ووصفه بعدة  
 أوصاف تدل على مدى ما كان ذو القرنين يتمتع به من رضاء الله سبحانه  
 وتعالى ، فأمدّه بالنعم . لكن الله لم يشأ أن يوضح لنا هل كان ذو القرنين  
 نبياً أم رجلاً صالحاً ؟ سوف نرى إن شاء الله .

أشار الشيخ إلى أحد أحفاده وقال له : افتح يا بنى المصحف على سورة الكهف واقرأ  
 لنا الآيات من ٨٣ إلى ٩٥ .

استعاذ الفتى بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ  
 ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ  
 شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ  
 وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا \* قَالَ  
 أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ  
 صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا \* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ  
 مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا \* كَذَلِكَ وَقَدْ  
 أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا \* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا  
 قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي



الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكْنَىٰ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٢٠٤﴾ صدق الله العظيم .

\*\*\*\*\*

استحسن الشيخ قراءة حفيده فدعاه ، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ، نزل غضب الله على أرض بابل أيام حكم الملك الظالم النمرود ، فدمرها الله وأمات النمرود شر ميتة . مضت السنون ، وشاء الله أن يتولّى حكم بابل ملك مسلم صالح آمن بدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فانتهى الشرك بالله والكفر فى أرض بابل . أسمى الناس ذلك الملك باسم ذى القرنين . هل كان ذلك بسبب أن رأسه كان بها بروزين كل منهما كالقرن ؟ أم لأنه رأى قرن الشمس فى المشرق ، ورأى قرن الشمس فى المغرب ، فأصبح ذا القرنين ؟ العلم عند الله سبحانه وتعالى وحده .

عندما يحب الله عبداً صالحاً فإنه يعطيه من كل شيء . وسّع الله مملكة ذى القرنين فى البلاد وأعطاه من العدد والآلات ما يستعين بها على ما قرّره من القيام بمهمة عظيمة وأمر هام ، ألا وهى الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله العظيم . نصر الله ذا القرنين فى كل فتوحاته حتى قهر البلاد ونال الأموال الكثيرة من البلاد التى فتحها . كان ذو القرنين يفتح البلد ، فمن تبعه على دينه تركه فى سلام ، ومن رفض دعوة الإيمان والإسلام قتله ذو القرنين .

أعطى الله العلم بلا حدود لذى القرنين . عرفه الله الأرض ومسالكها ودروبها ، وأصل من يسكن تلك الأراضى المختلفة ، وأعطاه الله فوق ذلك أيضاً معرفة لغة أهل كل بلد يفتحها . كان لا يغزو قوماً إلاّ وحدثهم بلغتهم . كان ذو القرنين من أحفاد سام بن نوح عليه السلام ، وكان أصله من أهل حمير ، إحدى القبائل العربية التى انتشرت فى أرض العرب .

أما الإسكندر الأكبر ، الذى أطلق عليه لقب إسكندر ذو القرنين فهو إسكندر المقدونى المصرى اليونانى الذى بنى مدينة الإسكندرية ، وكان حكمه قبل بعث السيد المسيح ﷺ رسولا بنحو ثلاثمائة سنة .

كان ذو القرنين عبداً صالحاً وملكاً عادلاً . أما المقدونى فكان مشركاً طاغية يفتح البلاد لحب الغزو والسيطرة . وبين زمان ذى القرنين ، واسكندر ذى القرنين ما يزيد عن ألف سنة .

\*\*\*\*\*

سار ذو القرنين بجيوشه إلى الغرب حتى بلغ شاطئ المحيط الواسع فشهد غروب الشمس فيما وراء الماء وكأنها تغوص فى البحر . انتهى ذو القرنين من فتوحاته بالأرض الغربية إلى حيث لا يمكن أن يجاوز ذلك وقتئذ ، أمدّه الله سبحانه وتعالى بكل ما يحتاجه من الطعام والعتاد وما لا يمكن لعقل بشر أن يدركه من نعم الله على عباده الصالحين ، ففتح ذو القرنين البلاد والأقاليم ، ينشر العدل بين الناس ويدعوهم للإيمان بالله الواحد القهار ، فأثنى الله على عبده ذى القرنين ثناءً عظيماً ، وأوحى إليه ربه أن يعذب أهل تلك المنطقة أو يسامحهم .

**فما كان من ذى القرنين إلا أن قال للناس :** من كفر منكم واستمر على شركه بالله فظلم نفسه فسوف أعذبه هنا ، وعندما يُردّ إلى الله يوم القيامة فسوف يعذبه الله عذاباً شديداً .

**رأى ذو القرنين الخوف فى عيون الناس ، فقال لهم :** أما الذين يؤمنون بالله منكم فإن الله سوف يكافئه فى الآخرة بالخير والثواب ، وسوف أقدم لهم الخير والإحسان وأعاملهم بالحسنى .

عندما مكّن الله ذا القرنين من الناس فى الغرب منحه الله سلطة الحكم فيهم ، إما يقتلهم وإما يعفو عنهم . تصرف ذو القرنين فى عطاء ربه من السلطان والحكم بالتقوى والصلاح ، فبين للناس نعمة الإيمان ، وقارنه

بالعذاب الذى ينتظر الكافرين . بدأ ذو القرنين بشرح عذاب الدنيا ؛ لأنه سيكون على يد الملك الجالس أمامهم وجنوده حوله ؛ لأن الكافر لا يستطيع أن يدرك معنى عذاب الآخرة ، لكنهم يعرفون جيداً أنهم إذا خالفوا الملك فسوف يقتلهم .

عاد ذو القرنين من رحلته إلى الغرب فاتجه إلى الشرق حيث تطلع الشمس ، تحفظه رعاية الله وعنايته وهو يمشى من المغرب إلى المشرق . عندما وصل ذو القرنين إلى مشرق الشمس وجد هناك قومًا ليس لهم بيوت ولا أماكن يستترون بها من حرّ الشمس ووهجها . فإذا اشتدت حرارة الشمس عندهم سارع القوم إلى حُفَرٍ فى الأرض أشبه بالقبور ، يدخلون فيها حتى تغيب الشمس . لم يكن فى أرض القوم شجرة يستظلون بها، وكان طعامهم من الأسماك .

\*\*\*\*\*

عندما نجّى الله نوحاً ﷺ من الطوفان أخبرنا الله عزّ وجلّ فى كتابه العزيز أن كل بنى آدم من البشر سيكونون من نسل نوح ﷺ . ولد لنوح ثلاثة أبناء: سام ، وحام ، ويافث . خرج العرب من ذرية سام بن نوح ، وخرج أهل السودان من ذرية حام ، وخرج أهل الترك من ذرية يافث بن نوح . أصبح البشر كلهم على الأرض من نسل نوح وذريته .

تشعب الخلق من نسل أولاد نوح ﷺ وتكاثروا حتى امتلأت بهم الأرض كما قرر الله سبحانه وتعالى من قبل . كان من بين الشعوب شعب يسكن خلف جبال القوقاز الشاهقة فى قارة آسيا . كانت تلك الجبال تفصل بين الأرض العربية ذات السهول والصحارى وبين بقية القارة . وكانت قبائل الخزر ، التى تعيش فى المنطقة بين بحر قزوين والبحر الأسود، تقيم خلف الحاجز الذى شكّله جبال القوقاز . كان الخزر من القبائل الهمجية التى تعيش على السلب والنهب والقتل ، لا تعرف الرحمة . كانت لهم أراضيهـم التى يزرعونها ويروونها بمياه الأنهار الكثيرة التى يصطادون منها الأسماك

الوفيرة . لكن طبيعتهم الوحشية كانت تدفعهم إلى الإغارة على القوم فيما وراء الجبال القوقازية ، يقتلونهم ويسرقونهم ويسبون نساءهم ، ويأسرون الرجال للعمل كعبيد عندهم .

كانت قبائل الخزر من نسل يافث بن نوح عليه السلام تنقسم إلى قسمين : يأجوج ومأجوج وكانا أبناء عمومة . استطاعا تكوين جيشين كبيرين يسيران بهما لغزو الأراضى الواقعة خلف جبال القوقاز ، التى كانوا يعبرونها عن طريق ممر ضيق بين جبلين عاليين ، فيخرجون من الممر إلى السهول التى تقطنها الأقوام التى لا حول لها ولا قوة ، ولا يستطيعون ردّ المغيرين عليهم ، فيستسلمون لهم دون مقاومة أو دفاع عن أراضيهم وبيوتهم وأموالهم وأعراضهم . يدخل جيشا يأجوج ومأجوج ، فيتركون أهل المنطقة والحزن والفقر يسيطر عليهم بعد أسر رجالهم وسبى نساءهم ونهب أموالهم ومواشيهم وكل الخيرات التى فى أرضهم .

\*\*\*\*\*

عندما انتهى ذو القرنين من فتح المشرق سار حتى بلغ الأراضى التى تقف أمامها جبال القوقاز الشاهقة ، كحائط هائل الارتفاع ، فوجد فيها القوم فى حالة من البؤس والشقاء والفقر ، يجلسون باكين يندبون حظهم . رأى القوم من ذى القرنين الذى جاء بجيوشه إلى أرضهم سماحةً وكرمًا وعطفًا .

**فقال شيخ القوم له :** يا ذا القرنين ، إننا نريد منك معروفًا .

**فسألهم ذو القرنين عما يريدون ، فقال له شيخهم :** إن قبائل يأجوج ومأجوج قوم مفسدون ، يغيرون علينا كل حين . يأتون من وراء هذه الجبال . يصلون إلينا عن طريق ممر بين هذين الجبلين الشامخين اللذين تراهما أمامك . يعبرون الممر فيدخلون أراضينا ويهجمون علينا . يقتلون الرجال ويأسرونهم ويسبون النساء وينهبون ما لدينا من أموال وأنعام . يهدمون بيوتنا ويفسدون أرضنا .

فسألهم ذو القرنين : وماذا تريدون منى ؟

قالوا لذى القرنين : نريدك أن تبني لنا سداً بيننا وبينهم فى هذا الممر يمنعهم من الوصول إلينا .

وقال شيخ القوم لذى القرنين : ولسوف نجمع لك المال وكل ما تريده ونعطيه لك إن بنيت لنا أنت وجنودك هذا السد .

قال لهم ذو القرنين : لا أريد منكم شيئاً . لقد أعطانى الله من النعم ما لا أحتاج بعده لشيء منكم أو من غيركم .

سكت القوم حزناً ، وهم يظنون أن ذا القرنين يرفض طلبهم .

قال لهم ذو القرنين : هل تساعدوننى إذا طلبت منكم مساعدة ؟

قالوا له والفرحة تملأ وجوههم : نعم نساعدك ، ماذا تريد ؟

قال ذو القرنين : أعينونى بالرجال والمواد ، وسوف أبنى لكم الردم بإذن الله .

\*\*\*\*\*

طلب ذو القرنين من القوم أن يجمعوا له كل قضبان الحديد الموجودة لديهم ثم يرموها فى الممر الذى يفصل بين الجبلين . كان القوم يعملون بهمة ونشاط مع جنود ذى القرنين ، يلبّون كل ما يطلبه منهم ذو القرنين من مواد ، حتى ينتهوا من ذلك السد فى أسرع وقت ممكن قبل أن تعود قبائل يأجوج ومأجوج للإغارة عليهم من جديد . امتلأ الممر الذى يفصل الجبلين بالحديد .

فقال لهم ذو القرنين : اجمعوا الخشب والحطب الكثير ثم أوقدوا ناراً تحت الحديد .

جمع القوم الخشب والحطب ، ثم أوقدوا ناراً هائلة تحت الحديد ، فطلب منهم ذو القرنين أن ينفخوا فى النار حتى تتوهج ويزداد اشتعالها فينصهر الحديد . نفخ القوم فى النار ، فازداد لهيبها وانصهر الحديد فوقها

فقام ذو القرنين بإحضار ما لدى القوم من نحاس ورماء فوق الحديد المنصهر، فذاب النحاس واختلط بالحديد فتكوّنت سبيكة هائلة من الحديد والنحاس .

هدأت النار ثم خمدت ، فبرد الخليط المعدني وتجمد بين الجبلين فأصبح سدّا منيعا ، لا يستطيع أحد أن يطلع فوقه ولا أن يكسره . لم تفلح المعاول والفؤوس فى أن تحدث ثغرة واحدة فى جدار ذلك السد .

وقف ذو القرنين ينظر إلى ذلك العمل بعد تمامه وقال : الحمد لله عزّ وجلّ . إن هذا لهو شىء من رحمة ربّى .

أراد ذو القرنين أن يشرح للقوم أن الله سبحانه وتعالى أعطى عباده نعمة العقل والتفكير والتدبّر ليستغلها فى عمل ما ينفع الناس من خير وأن يبعد عنهم الشرّ .

\*\*\*\*\*

لم تتمكن قبائل يأجوج ومأجوج من عبور الممر الفاصل بين الجبلين الشاهقين ، بعد أن أصبح جبلاً واحداً نتيجة لما قام به ذو القرنين من بناء ردم الحديد والنحاس . شكر القوم المستضعفون لدى القرنين حسن صنيعه معهم ، وعاشوا فى سلام لا يخشون هجوم الخزر من يأجوج ومأجوج عليهم . أطلق على هؤلاء القوم اسم التُّرك ؛ لأنهم تركوا وراء السد فى أمان .

وهؤلاء التُّرك أيضاً من نسل يافث بن نوح عليه السلام ، لكن يأجوج ومأجوج كانوا أشدّ بأساً وأكثر فساداً ، فجاء السد الذى بناه ذو القرنين ، وكأنه حاجز يفصل بين الخير والشرّ ، يحمى الضعيف من بأس القوى . يحفظ الصالح من سطوة وجبروت الفاجر .

نظر ذو القرنين إلى السد الذى جعل من الجبلين جبلاً واحداً منيعاً لا يستطيع جنود يأجوج ومأجوج أن يعبروا خلاله إلى أرض التُّرك .

قال للناس، وهو يشير إلى الردم : هذه رحمة الله بكم أيها القوم . فأمنوا بالله و اتقوه . إن الله عندما يأمر بعزته فإن هذا الجبل سوف يتحول إلى كومة من التراب . اعلموا أيها القوم أن الله لا يخلف وعده أبدا . عندما تقوم الساعة بأمر الله سبحانه وتعالى ، فإن هذه الجبال سوف ينسفها ربى نسفاً . اتقوا الله بعملكم الصالح ، ولا تظنوا أن بناء هذا السد قد أنهى كل الفساد على الأرض . اعملوا لآخرتكم ، واشكروا الله على النعم التى أنعمها عليكم .

\*\*\*\*\*

أحس ذو القرنين بدنوّ أجله ، ورأى الحزن فى عينيّ أمه وهى جالسة إلى جواره .

سألها ذو القرنين عن حزنها فقالت له : أخاف أن تموت يا ولدى ولا أراك فأحزن حزناً شديداً على فراقك يا بُنى .

قال ذو القرنين لأمه : هل أوصيك يا أماه بوصيّة تؤدينها بعد موتى ؟

قالت الأم وهى تبكى : قل يا ولدى وأوصنى .

قال ذو القرنين وهو يبتسم فى وجه أمه : عندما أموت أريدك أن تطبخى طعاما كثيرا ، ثم تدعين كل النساء فى البلدة إلى الطعام .

قالت الأم فى دهشة : أدعوهم إلى الطعام إذا مت يا بُنى ؟

قال ذو القرنين لأمه : نعم يا أماه ، لكن بشرط أن لا تأكل منهن أى واحدة لم تفقد عزيزاً غالياً لديها . لا تأكل النساء الثكالى من الطعام .

مات ذو القرنين ، فقامت أمه بتنفيذ وصيّته ، فهى تعلم أن وصيّة الميت شىء واجب التنفيذ ولا بد من احترام تلك الوصيّة . أعدت الأم طعاما كثيرا ودعت كل نساء البلدة إلى المأدبة .

وقالت لهن : هذه هى وصية ابنى ذى القرنين . كل من كانت ليست بالثكلى منكن ، فلتأكل .

لم تمّد واحدة منهن يدها إلى الطعام . كلّهن كنّ من الثكالى . كل منهن فقدت عزيزاً غالياً لديها . فيهن من فقدت ابناً ، أو زوجاً ، أو أباً أو أمّاً ، أو أخاً أو قريباً . فهمت أم ذى القرنين أنها ليست وحدها بالحزينة على فقدان ابنها فى هذه الدنيا .

\*\*\*\*\*

عرف الناس بعد موت ذى القرنين بقصة بناء الردم ، فأراد الكثيرون أن يروا ذلك السدّ الذى تحدّث عنه الناس وذكره رسول الله ﷺ يوماً بعد أن صحا من نومه مفزوعاً يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » . وحلّق رسول الله ﷺ بأصبعيه الإبهام والذى يليه .

يقول المفسرون : إن رسول الله ﷺ أراد أن يبين للناس أنها إشارة إلى فتح أبواب الشرّ والفتن بين المسلمين فى أرض العرب ليأخذوا حذرهم . والدليل على صحة ذلك - وما ينطق رسول الله عن الهوى - أن قبائل يأجوج ومأجوج تفرّقت واختلطت بشعوب وقبائل أخرى ودخلت حروباً كثيرة ، وتحول جزء كبير منها إلى دين اليهودية ، وهم الذين يعرفون بيهود الخزر ، ويسموا بالإشكناز ، وانتشروا فى بقاع الأرض . أصبح القصد من الإشارة إلى يأجوج ومأجوج ، ما يعنى الشر والإفساد .

\*\*\*\*\*

كان الخليفة العبّاسى الواثق شديد الشوق إلى معرفة ذلك الردم الذى بناه ذو القرنين .

فقال لحاشيته يوماً : أريد معرفة ما صار إليه السدّ الذى بناه ذو القرنين .

قال له الأمراء ورجال حاشيته : إن السدّ فى وسط جبال القوقاز العالية الوعرة .

قال لهم الخليفة : أعرف ذلك . أريد أن أرسل بعثة من أشد الرجال وأشجعهم ؛ ليعثروا على مكان ذلك السدّ فيصفونه لى ويبينون لنا مكانه .



تطوَّع بعض الأمراء والرجال ، وشكلوا بعثة منهم استعدت بالسلاح والمؤن ، وأعطاهم الخليفة خطابات موجهة إلى أمراء وملوك الممالك التي تقع في تلك النواحي لمساعدة بعثته في مهمتهم التي أرسلهم إليها .

أمضت البعثة التي أرسلها الخليفة العباسي الواثق في رحلتها أكثر من سنتين ، ثم عادت فقصّت على الخليفة ما رأوه . جبل واحد شاهق به قطع لونها أسود وأخرى لونها أصفر . رأى أفراد البعثة من وراء الجبل سهولا خضراء وأنهاراً ومياهًا خير من عند الله عظيم . وصفوا السد للخليفة بأنه عال في مستوى الجبلين وبينهما . وتخيل البعض من أفراد البعثة وهم في أعلى قمة الجبل أن في القاع باباً كبيراً وعليه أقفال كبيرة ، ويقف الحراس من أهل الممالك الواقعة فيما وراء الجبل لحراسة الباب .

\*\*\*\*\*

**نظرا لجد إلى أحفاده وقال لهم :** عرفنا بقصة اليوم يا أولادى ما احتوته سورة الكهف من قصص وعبر ، عرفها لنا الله سبحانه وتعالى لكي نعلم أخبار ما سبق من الشعوب ، ونتعلم منها ما ينفع الناس ، ونكفّ عن الأعمال التي تضرّ بالإنسان . لا تنسوا يا أولادى فضل العلماء المسلمين الذين بحثوا ونقبوا في التاريخ وأسراره ، وقدّموا لنا العلم على أطباق من الفضة لكي نعرف ونتعلم منهم . رحمهم الله ورضى عنهم . أوصيكم دائماً بالترحم عليهم ، ورد الفضل إليهم دائماً فيما وصلنا إليه من معرفة وعلم . ولا تنسوا أبداً يا أولادى أن الله سبحانه وتعالى ينعم على من يشاء من عباده بنعمة العلم . الله عزّ وجل هو العليم العزيز الكريم . فالحمد لله أولاً وآخراً .

\*\*\*\*\*

(٢٦)

المملكة بلقيس وسليمان عليهما السلام

اتخذ الجدّ قعدته فى غرفته يقرأ فى كتاب الله سمع دقات على باب الغرفة ، فصدّق بالله العظيم ، وأذن للطارق بالدخول . سارع الأحفاد إلى الدخول ، يحمل كل منهم مصحفه . أخذوا مقاعدهم حول الشيخ ، وهم متشوقون لسماع قصة جديدة من قصص القرآن الكريم .

قال لهم جدّهم وهو يبيش فى وجوههم : سوف أقصّ عليكم اليوم إن شاء الله قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ . وهذه القصة ذكرها الله سبحانه وتعالى فى سورة النمل .

وأشار الجدّ إلى أحد أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا بنىّ فى سورة النمل من الآيات ٢٠ إلى ٣٥ .

فتح الفتيان مصاحفهم على سورة النمل ، وقرأ الحفيد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ \* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ \* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ

شَدِيدَ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً  
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ  
فَنَظَرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿ صدق الله العظيم .

\*\*\*\*\*

دعما الجدل حفيده، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، كانت بلقيس بنت  
شراحيل امرأة ذات حسن باهر وجمال أخاذ . تولت ملك سبأ ، فلم تتزوج  
وتفرغت لحكم بلادها . كان جيشها العرمرم يتكون من نحو مائة ألف  
مقاتل ، وأوتيت من متاع الدنيا كل ما يتمنى الإنسان أن يناله . كان عرشها  
الذى تجلس عليه عظيما وهائلا . زين بالجواهر ومحلى بالذهب ومزخرفا  
بالفضة واللالئ ، ووضعت على جوانبه حبات الياقوت والزبرجد . وضعت  
هذا العرش العظيم فى قصر كبير بنى بإحكام فصار تحفة معمارية ، جاء  
مهندسوه بأثمن المواد وأجملها من كل بقاع الأرض ليزينوا ذلك القصر .

احتوى قصر بلقيس على ثلاثمائة وستين نافذة ناحية الشرق ، ومثلها  
ناحية الغرب . تم تشييد القصر على أن تدخل الشمس فى كل يوم من أيام  
السنة من نافذة فى المشرق ، وتغرب فتسقط أشعتها على النافذة الغربية  
المواجهة للنافذة الشرقية . انبهر الناس بما يرونه ، فسجدوا للشمس يعبدونها  
من دون الله سبحانه وتعالى .

كان هدهد نبي الله سليمان عليه السلام يطير فى الصحراء بحثا عن الماء .  
أودع الله بعزته وجلاله فى ذلك الطائر الجميل خاصية لم يمنحها لأحد من  
خلقه الآخرين . الله وحده أعلم بما خلق سبحانه . مكّن الله الهدهد أن ينظر  
إلى الأرض فيعرف أين يكمن الماء فى باطنها ، فكان الطائر الجميل يُخبر  
نبي الله سليمان عليه السلام بمكان الماء عندما يخرج معه وجيشه إلى الصحراء ،  
ويدلّهم على مكان الماء ليشربوا منه ويسقوا أنعامهم .

طار الهدهد وغاب عن سليمان عليه السلام ، فتوعده سليمان بالعذاب أو بالذبح إذا لم يتقدم للنبي بعذر يقبله عن سبب ذلك الغياب .

وعندما عاد الهدهد قالت له الطيور : ما الذى دعاك للغياب أيها الهدهد ؟ لقد توعذك سليمان بالعذاب أو بالذبح .

**فقال الهدهد :** هل استثنى سليمان أمراً بدلا عن الذبح أو التعذيب ؟

**قالت له الطيور :** نعم ، إذا جئت بعذر يقبله سليمان .

**قال الهدهد :** لقد نجوت إذن والحمد لله .

تقدم الهدهد من سليمان عليه السلام يخبره أن بلقيس وقومها فى سبأ يسجدون للشمس بدلا عن السجود لله الواحد عز وجل . استاء سليمان عليه السلام مما سمع ، فبعث بكتاب إلى ملكة سبأ ، حملة الهدهد فى منقاره وطار به حتى قصر بلقيس ، فتسلل إلى المكان الذى تختلى فيه بلقيس بنفسها ، وألقى بالخطاب بين يديها ، ثم تولى عنها وتوارى أدبا . تعجبت الملكة بلقيس مما رأت ، وأمسكت بالكتاب وقرأت ما به ، فإذا بها ترى أنه مرسل من سليمان عليه السلام ، وبدأه بكتابة : بسم الله الرحمن الرحيم . طلب منها أن تذهب إليه خاضعة وهى مسلمة .

استدعت بلقيس الأمراء والوزراء وكبار قومها وقرأت عليهم الرسالة التى جاء بها الهدهد . وفهمت بلقيس بذكائها أن الرسالة من نبي لديه قوى تساعد ، وأنه لا قبل لهم به . سألت الملكة مستشاريها عما يرونه فى الأمر .

**فقالوا لها :** يا مولاتنا ، إننا قوم ذوو بأس . إن شئت أن نمشى إليه ونحاربه فلن يمنعنا شئ عنه . لك الأمر وعلينا الطاعة .

فكرت بلقيس قليلا فى الأمر وما يقوله المستشارون .

**ثم قالت للمجتمعين :** إنى أخشى أن نحاربه ونمتنع عنه ، فيقصدنا بجيوشه ويهلكنا بمن معه من الجن والإنس والطيور . إنه إذا دخل بلدنا غازياً أفسدها

وخرّبها وأهان أهلها ، وسأكون أنا أولكم .

وقررت الملكة بلقيس أن ترسل لسليمان عليه السلام بهدية تليق بمثله .

**قالت لقومها :** سوف أرسل له بهدية قيّمة ، إن قبل الهدية فهو ملك فنقاتله ، وإن رفضها فهو نبيّ وعليّنا أن نتّبعه .

\*\*\*\*\*

نظر الجد إلى أحفاده، ثم أشار إلى أحدهم وقال له : اقرأ الآن يا بُنى من الآية ٣٦ إلى الآية ٤٤ من سورة النمل .

استعاذ الفتى بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ \* أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ \* قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ \* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ \* قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرَشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \* فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ \* قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ \* قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الشيخ لحفيده :** أحسنت يا ولدي ، أكمل الآن قصة سفر بلقيس ملكة سبأ إلى بيت المقدس حيث يعيش سليمان عليه السلام ، بسم الله الرحمن

الرحيم ، أعدت بلقيس قافلة عظيمة وحملت الجمال والجياد بالذهب والحرير واللالئ والجواري ، تبهر نظر أى مخلوق ، ثم أرسلتها إلى سليمان .

قال رسل الملكة بلقيس عندما استقبلهم سليمان عليه السلام : هذه هى هدايا ملكة سبأ بلقيس العظيمة إلى الملك العظيم سليمان ، عنواناً ل صداقتها .

نظر سليمان عليه السلام إلى الهدايا ، وقال لرسول الملكة بلقيس : هل تهدينى ملكتكم المال لأترككم على شرككم بالله العظيم ؟ لقد أعطانى الله من الملك والمال والجند خيراً مما أنتم فيه . أنتم تقبلون الهدايا ، أما أنا فلا أقبل سوى الإسلام أو الحرب .

عاد رسل بلقيس ملكة سبأ بالقافلة والهدايا ، وأخبروا ملكتهم بما قاله سليمان لهم ، ووصفوا لها ما أنعم به الله عليه .

جمعت مستشاريها وقالت لهم : لقد عرفت أن سليمان ليس ملكاً . إنه نبيّ ولن نقدر على حربه أو قتاله .

وأرسلت بلقيس رسولا إلى سليمان عليه السلام تخبره بأنها قررت أن تذهب إليه لتنظر فى أمر دينه الذى يدعو إليه .

\*\*\*\*\*

أمرت بلقيس ملكة سبأ الأمراء والوزراء ورؤساء القبائل وقادة جيشها ، أن يخرجوا معها فى قافلة عظيمة ضمت اثنى عشر ألفاً من الجند ؛ ليذهبوا إلى سليمان ، واصطحبت معها الهدايا والجواري الحسان .

أمر سليمان عليه السلام الجنّ بأن يأتوه بأخبار قافلة بلقيس أولاً بأول ، وحينما اقتربت القافلة من بيت المقدس جمع النبيّ سليمان الإنس والجن .

وقال لهم : من منكم يأتينى بعرش بلقيس قبل أن تأتى إلىّ وتُعلن إسلامها؟

أراد سليمان عليه السلام بإحضار عرش بلقيس أن يُظهر لها عظمة ما وهب الله سبحانه وتعالى له من الملك ، وما سخر له من جُند . نِعَمَ لم يعطها

دخلت بلقيس على سليمان عليه السلام فرأت أنه يعيش فى ملك أعز من ملكها وسلطانها . رأت ما لم تكن تظن أن تراه يوماً ، وهى التى كانت تعيش تحت وهم أنها أغنى الأغنياء ، وأن قصرها لا يمكن أن ينافسه مكان آخر فى جماله وفاخر ريشه وأثاثه ، وأن أموالها أكثر من أى أموال يمتلكها إنسان غيرها .

سألها سليمان وهو يراها تنتظر إلى العرش : هل هذا عرشك ؟

ووقعت ملكة سبأ فى حيرة شديدة . كيف يمكن لسليمان أن يأتى بعرشها الذى تركته فى اليمن داخل سبع غرف مغلقة بإحكام شديد .

قالت بلقيس : إنه يشبه عرشى تماماً .

كانت الجن قد أخبرت سليمان عليه السلام قبل أن تحضر بلقيس أن ساقى ملكة سبأ مليئة بالشعر الكثيف وأنها بلا قدمان ، بل حافران كالماعز . أراد أن يعرف إن كانت الجن تكذب أو أنها صادقة ، فأمر نبي الله ببناء غرفة من زجاج ووضع فيها عرشه ، وبنى له الجن ممراً طويلاً من الزجاج وجعلوا الماء يجرى تحت الممر ، فمن لا يعرف ذلك يظن أنه ماء .

دعا سليمان عليه السلام ملكة سبأ بلقيس للذهاب إلى غرفة عرشه ؛ لترى مكان حكمه . وصلت بلقيس إلى الممر الزجاجى ، فظنت أنه ماء ، فرفعت ذيل رداءها الطويل ، فكشفت عن ساقها ، استعداداً لتخوض فى الماء ، حتى لا تبتل ملابسها . بان ساقا الملكة بلقيس ، فرأى سليمان عليه السلام أنهما ساقان وليسا حافرين كالماعز ، أو أن بهما شعر كثيف كما قالت له الجن فعرف نبي الله سليمان أن الجن كانت تكذب عليه .

\*\*\*\*\*

دعا سليمان عليه السلام ملكة سبأ للجلوس إلى جواره ؛ لترى نعم الله التى أنعمها الله على نبيه .



الله عزّ وجلّ لأحد من قبله ، ولا تكون لأحد من بعده ، وليثبت بلقيس وقومها أنه نبيّ ؛ لأن ذلك العمل هو شيء غير عادي لا يمكن أن يعمله إنسان ، بل هو منحة من الله لأنبيائه عليهم السلام .

كانت بلقيس ملكة سبأ تدرك أن عرشها الذي تجلس فوقه هو كنز ثمين ، تخاف عليه ، وتخشى أن تتركه حتى لا يطمع فيه أحد عندما تسافر إلى سليمان عليه السلام . فكّرت الملكة بلقيس ثم أمرت ببناء غرفة ذات باب حديدى سميك . لم تكتف بذلك بل أمرت ببناء غرفة أكبر تحيط بالأولى ، ثم زادت الغرف المحيطة بعرشها فبلغت ست غرف ، وغلّقت الأبواب بأقفال ضخمة .

وقالت للحراس الوقفين حول الغرف السبع : لا تسمحوا لأحد بالاقتراب من الغرف أو رؤية العرش بداخلها .

\*\*\*\*\*

عندما طلب سليمان عليه السلام من الإنس والجن أن يأتى أحدهم بعرش بلقيس قال عفريت من الجن المسخر لنبى الله سليمان عليه السلام : أنا آتيك بالعرش قبل أن تغادر مكانك .

لكن نبيّ الله ، بما منحه الله من بركة ونعم ، دعا الله فرأى أمامه عرش بلقيس قبل أن يرتد طرف عين عفريت الجن المسخر لخدمته إلى مكانه . شكر نبيّ الله ربّه سبحانه وتعالى ، الذى أنعم على عبده سليمان بما لم ينعم به على أحد من قبل .

رأى سليمان عليه السلام أن يختبر ذكاء الملكة بلقيس ، فطلب من الجن أن يغيروا له صفات عرش بلقيس . قام الجن بتغيير شكل وصفات العرش ، فجعلوا ألوانه مختلفة عما كانت عليه . جعلوا اللون الأحمر أصفر ، وما كان أخضر جعلوه أحمر .

**قال لها :** يا أيتها الملكة العظيمة ، كيف تعبدين أنت وقومك الشمس من دون الله سبحانه وتعالى الذى خلق كل شىء فى هذا الكون ؟ خلق الله عز وجل الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ، أتركين الخالق العظيم وتسجدين لغير الله ؟

سكتت بلقيس ولم تردّ على سليمان ، تفكّر فيما قاله لها .

**قال سليمان عليه السلام :** إننى أدعوك أنت وقومك إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

فكرت بلقيس فى حديث نبيّ الله سليمان عليه السلام وأيقنت أن سليمان هو نبيّ كريم وملك عظيم . أعلنت إسلامها أمام سليمان ، واستغفرت لذنوبها وشركها وعبادتها هى وقومها للشمس من دون الله واتّبع دين سليمان عليه السلام ، وعادت بلقيس مكرّمة إلى سبأ هى وقومها ، مؤمنين بشريعة سليمان عليه السلام ، مسلمين لله تعالى ربّ العرش العظيم .

\*\*\*\*\*



(٢٧)

كنوز قارون

التف الأحفاد حول جدهم لسماع واحدة من قصص القرآن الكريم ،  
 أحسن القصص التي أنزلها خالق السماوات والأرض سبحانه وتعالى .  
 أشار الجد إلى أحد أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا بُنى في سورة القصص من الآية ٧٦  
 وحتى الآية ٨٢ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ \* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ لِيُزَيِّنَهُ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيُكَانَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ صدق اله العظيم .

قال الجد : أحسنت يا بُنى ، لقد قرأت لنا كلام الله عز وجل فيما كان من قارون ، ذلك الرجل الذي وهبه الله مالا وكنوزا ، فأنكر فضل الله عليه فكانت نهايته . تعرفون قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون مصر ، وكيف استطاع موسى عليه السلام بما زوده الله سبحانه وتعالى من آيات مكتته من أن يُبطل السحر الذي جاء به سحرة فرعون ، فابتلعت عصاه التي حولها الله

بعزته وجلاله إلى ثعبان هائل ، كل عصيّ وسبال سحرة فرعون ، فأمن السحرة برب موسى وهارون عليهما السلا بدون استئذان الفرعون ، فقتلهم .

**سكت الجدل للحظات، ثم قال :** كما تعرفون أيضا كب اغتاز الفرعون من سيدنا موسى عليه السلام وقرر قتله . لكن الله سبحانه وتعالى بعث برجل مؤمن من أهل فرعون ، دافع عن موسى واستطاع أن يقن الفرعون بترك موسى عليه السلام في حاله وأن لا يقتله خوفاً من انتشار دعوته إلا ما قتله الفرعون . استطاع الرجل المؤمن أن يملأ صدر فرعون بالغرور والبر فوافق الفرعون على ترك موسى حراً . لا ننسى أبداً أن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره دائما ، وأنه سبحانه وتعالى إذا ما أراد شيئا للإنسان لا مردّ لمشيئته عز وجل . هكذا بدأ سيدنا موسى عليه السلام دعوته بين الناس في مصر علنا . يقعد في مكان فيجتمع الناس حوله ليحدثهم عن الله سبحانه وتعالى ودعوة الإسلام لله تعالى .

**قال الجد لأحفاده :** وهنا تبدأ قصة قارون .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، كان قارون ، يصهب بن قاهث من سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام . هو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث . استطاع قارون أن يتقرب إلى فرعون مصر وصا من خاصته . جمع الأموال والثروات وبنى القصور وفيها الخزائن التي يكتز فيها ثروته وأمواله من الذهب والفضة والجواهر .

ازداد غنى قارون زيادة فاحشة ، فاملأت خزائنه التي كان لكل منها مفتاح ضخم . كان قارون يحتفظ بمفاتيح خزائنه معه ، يضعها في صناديق يحملها ستون بغلا لثقلها وكثرتها . خاف قارون أن يترك المفاتيح فتغيب عن عينه ، فكانت البغال التي تحمل الصناديق المليئة بالمفاتيح تمشي في موكب قارون أينما ذهب ، وحولها الخدم والجد .

اعتاد قارون أن يمشى فى موكب مهيب كلما ذهب إلى أى مكان . لا تغيب صناديق المفاتيح عن ناظره أبداً خوفاً على أمواله ، وحول البغال جنود وحرس ؛ لئلا يقترب منها أحد . رأى قارون أن موكبه الهائل الذى يسير وسطه يجعل الناس ينظرون إليه بتعظيم وانبهار . قرر أن يزيد من تفاخره وكبره على الناس ؛ لشعوره أنه أغنى منهم ولا بد أن يكون مميزاً عنهم . قرر قارون أن يرتدى ثياباً لا يرتديها أحد غيره ، فأطال ثيابه حتى تبلغ الأرض ، وصنع كل ثيابه من القطيفة اللامعة ذات الألوان الزاهية ، يرصّعها بالجواهر علامة على الغنى والفخر . واعتاد قارون أن يميز حذاءه عن أحذية باقى الناس ، فجعل مقدمة الحذاء معقوفة إلى أعلى ، خلافاً لكل أنواع النعال الأخرى التى يتعلها الناس .

أصبح الموكب الذى يسير فيه قارون هو حديث الناس . كان قارون متكبراً ينظر إلى الناس بفخر واعتزاز بذاته ، ولا ينظر إلى وجوه خدمه وعبيده ، فقد بلغ من الغنى ما لم يبلغه أحد من قبل .

قال له واحد من أتباع بنى إسرائيل يوماً : لا تفرح يا قارون كثيراً . تواضع بعض الشيء .

فقال له قارون : ولماذا لا أفرح ؟ إننى أغنى الأغنياء فى مصر .

فقال له الرجل : لقد أعطاك الله هذا المال ، فتمتع به فى الدنيا بما أحل الله لك ، ولا تتبع الفساد فى إنفاق هذه الأموال باقتراف ما حرم الله علينا بواسطته .

قال قارون بكبر : إننى حرّ فى أموالى أفعل بها ما أشاء .

قال له الرجل الذى يخاف الله : يا قارون أحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليك . لا تسئ إلى الناس وتساعدهم على الفساد فيعاقبك الله ويسلب منك ما أعطاه لك من أموال وكنوز .

قال قارون غاضباً : إن قارون لا يحتاج إلى سماع ما تقوله يا رجل . إن الله

أعطاني المال والغنى ؛ لأنه يعرف أنني أستحقه وأنتى أهل له . لولا أنى حبيب الله وقريب منه لما أعطاني ما أعطانيه .

**قال له الرجل المؤمن :** يا قارون ، لقد أهلك الله أمماً بذنوبهم وخطاياهم ، وكانوا أكثر منك مالاً وجاهاً فاتق الله .

غضب قارون من الكلام الذى سمعه من رجل بنى إسرائيل المؤمن ، وصرفه من مجلسه ضارباً بنصائحه عرض الحائط .

\*\*\*\*\*

عاد موسى ﷺ إلى مصر رسولا من عند الله ، وكان أمره مع السحرة ومع الفرعون وما انتهى إليه الحال بقيام كليم الله موسى بالتفرغ للدعوة بين المصريين للإيمان بالله رب العالمين . ولم يكن للمصريين حديث إلا عن موسى النبى ومعجزاته التى فضحت السحر والسحرة الذين حشرهم فرعون . كان الناس متشوقين لسماع كلام النبى موسى ، وهدايته لهم على طريق الإيمان .

تفجّر قلب قارون بالغيظ والحقد على ابن عمه موسى ، فقد التفّ الناس حوله ، وأهمّلوا النظر بالإعجاب إلى قارون وموكبه ، والعزّ الذى يمشى فيه مختالا فخوراً . كان موسى ﷺ بتواضعه وحيائه وهيبته وجمال وجهه هو الذى يحظى بكل انتباه الناس .

لم يؤمن قارون برسالة موسى ﷺ ، فهو لا يهتم إلا بجمع المال واكتنازه . يتصوّر أن الفرعون سوف يحمى قارون وكنوزه من كل أذى . لم يلتفت إلى ما يقوله ابن عمه موسى حول الإيمان والتوحيد والعمل الصالح والإحسان ، ولا يلتفت إلى ما يقوله عن ثواب الآخرة وزيف الحياة الدنيا . كان قارون دائم التسفيه لأقوال سيدنا موسى ﷺ ، فيُحقّر أقواله ويتهمه بالسحر والكذب .

خرج قارون يوماً فى موكبه ، يمشى الخدم والعبيد أمامه فى زينتهم ، رافعين الأعلام والزينات ، والطبول تدقّ والموسيقى تصدح بالأنغام ، ويتبختر قارون فى ثوبه الفضفاض المرصّع بالماس والياقوت والزبرجد الذى يلامس الأرض. سار الجنود رافعى حراهم حوله ومن خلفهم البغال والثيران تحمل صناديق مفاتيحه. كان موسى جالساً وحوله بعض المصريين يستمعون إلى حديثه عن الله عزّ وجلّ وعن الإيمان بالله الواحد القهار ربّ كل شىء ، فمر موكب قارون أمامهم . التفت بعض الناس إلى ذلك الموكب وإلى قارون الذى يرفل فى النعيم الزائف الذى يعيش فيه .

قال رجل لصاحبه : كم أتمنى أن أكون مثل قارون .

فرد عليه صاحبه يقول : ولماذا يا صاحبي ؟

قال الرجل الأول : ألا ترى العزّ والجاه والمال الذى ينعم به قارون ؟

قال صاحبه : إن ثواب الله فى الآخرة أعظم وأبقى . ألم تسمع ما يقوله لنا نبينا موسى : الحياة الدنيا زينة ولهو ولعب ، والدار الآخرة خير للمتقين ؟ قال الرجل الأول : أستمع لكل ما يقوله موسى وأفهمه ، لكن للدنيا بهجة وفرح لا يتمتع بهما إلا الغنى من أمثال قارون . ليت لى مثل ما عنده من أموال وكنوز .

ابتسم الرجل الثانى بمرارة وحزن لما سمعه من صاحبه وقال له : إن الله يعطى ويأخذ كيف يشاء . أرجو أن تستمع إلى ما يقوله النبىّ موسى إلينا دائماً . ثواب الآخرة هو الخير للإنسان الصالح الذى يرضى بما قسمه الله سبحانه وتعالى له . لا تغرنك زينة الدنيا ، إنها فانية يا صاحبي .

\*\*\*\*\*

امتلاً قارون غيظاً عندما لاحظ أن ابن عمّه موسى لا يلتفت إليه وهو يسير فى ذلك الموكب الهائل ، فبيّ قارون النية على الإساءة إلى نبىّ الله موسى عليه السلام .



بعث قارون إلى امرأة سيئة السمعة ، فجاءته مسرعة . رمى لها قارون ببعض المال .

ثم قال لها : هل تعرفين موسى بن عمران يا امرأة ؟  
قالت المرأة الفاسدة: نعم ، سمعت عنه ، أليس هو الذى يقول للناس أنه نبيّ من عند الله ؟

قال لها قارون : نعم ، إنه هو ، هل تعرفين شكله ؟  
قالت المرأة سيئة السمعة : نعم ، إننى أراه دائماً جالسا وحوله الناس ، ما أجمل صورته وأكمل حسنه .

قال قارون وقد ازداد غيظا : دعيك من هذا ، أريدك أن تذهبي إلى السوق عندما يجتمع الناس حول موسى ، فتقولى : إن موسى الذى يدعى أنه نبيّ من عند الله قد راودك عن نفسك وأنتك أبيت أن تذهبي معه .

قالت المرأة البغى : وهل تعطينى مالا آخر إذا ما فعلت ذلك ؟  
قال قارون بتأفف وضيق : سوف أعطيك إذا ما فعلت ذلك .

خرجت المرأة من عند قارون وتوجهت إلى السوق ، فرأت موسى ﷺ جالسا وحوله الناس . اقتربت من الجمع ، فصرخت وولولت ، فالتف الناس حولها يسألونها عن سبب صراخها ، فقصت عليهم ما أمرها به قارون . لم يصدق الناس ما قالتها المرأة عن نبيهم موسى ﷺ ، فبدأوا يتهايمون ، بعد أن لعب الشك فى صدورهم من نزاهة نبيهم موسى ، ثم يتكلمون حتى وصل الخبر إلى موسى ﷺ .

استدعى موسى ﷺ المرأة وسألها إن كانت قد قالت ما بلغه عنه ؟

فقالت له : نعم ، ذلك هو ما حدث منك .

لم يعلق رسول الله على قول المرأة الظالمة ، بل قام فتوضأ ثم صلى ركعتين ، ودعا الله سبحانه وتعالى .

ثم قال للمرأة : أستحلفك بالله أن تقولى الحق . ما الذى دعاك لأن تقولى ما قلتى عنى يا امرأة ؟

بكت المرأة ثم سجدت على الأرض ، وقامت وهى تستغفر الله على ما فعلته .

وقالت : لقد أعطانى قارون مالا لأقول عنك ما قلتى .

سمع الناس ما قالت المرأة ، ورأوا بكاءها واستغفارها فطردوها من السوق ، واستهجنوا ما فعله قارون . ازداد إيمان الناس بالله وبرسوله موسى ﷺ بعدما سمعوا ورأوا بأعينهم كيف يُبرأ نبيّ الله من كل دنس يحاول قارون أن يلحقه به .

\*\*\*\*\*

جلس موسى يوماً كعادته وحوله المؤمنون يستمعون إلى وعظه وإرشاده وتفقيهم فى الإيمان والتوحيد ونبذ عبادة الإنسان والأصنام . يعدهم بقرب وعد الله بنجاتهم من ظلم فرعون للمؤمنين . مرّ موكب قارون وهو وسطه يهتزّ فخراً وتيهًا .

وقف موسى ﷺ يخاطب قارون قائلاً : يا قارون ، لماذا تختال على الناس وتتكبر عليهم ؟ ألا تعلم أن الله لا يرضى بهذا يا بن العم ؟

قال قارون : إن كنت تظن يا موسى أن الله فضلك علىّ بالنبوة ، فإن الله فضلنى عليك بالمال والعزّ والجاه .

قال موسى ﷺ : لقد رضيت بما وهبنى الله ، فهل رضيت بما أعطاك الله يا قارون ؟

قال قارون وهو يتحدّى موسى ﷺ : نعم ، إن شئت فلنخرج إلى الخلاء ، تدعو الله علىّ ، وأدعو الله عليك ، ولنرى لمن يستجيب الله يا موسى .

خرج موسى ﷺ وقارون إلى الخلاء ، ووقفوا قبالة بعضهما .

قال موسى يخاطب ابن عمه قارون : هل تدعو أنت أم أدعو أنا ؟

قال قارون : أدعو أنا عليك .

ودعا قارون على موسى عليه السلام ، فلم يستجب الله لدعوته .

وجاء دور موسى عليه السلام فدعاه ربه وقال : اللهم مُرّ الأرض فلتطعننى اليوم .

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام بأنه وهو العزيز الحكيم القدير ،  
قد أمر الأرض بأن تطيع موسى .

قال موسى : يا أرض ، إن الله أمرك أن تطيعى رسوله موسى ، خذى  
قارون وصحبه .

انفتحت الأرض تحت قارون وصحبه ، فغاصوا فيها حتى أقدامهم .

قال موسى : خذهم يا أرض .

فأخذتهم الأرض إلى ركبهم ، وصراخ قارون وصحبه يتعالى ،  
والمؤمنون يهللون من وراء موسى عليه السلام .

صرخ سيدنا موسى عليه السلام يقول : خذهم أيتها الأرض .

فأخذتهم الأرض إلى رؤوسهم ثم ابتلعتهم الأرض تماما .

فقال موسى عليه السلام : أقبلى بكنوزهم وأموالهم أيتها الأرض .

أقبلت الأرض بأموالهم وكنوزهم ، ثم انفتحت ، فغاصت الكنوز فى  
الأرض ، ثم استوت مرة أخرى ، وفى باطنها قارون وصحبه وكنوزه كلها .

\*\*\*\*\*

رأى الناس بأعينهم إحدى المعجزات الإلهية فى خسف الأرض بقارون  
وصحبه وكنوزهم ، فازداد إيمانهم بالله وبقدرته التى لا حدّ لها ، سبحان  
الله العلىّ العظيم . كما أن هذه المعجزة جعلت الإيمان بموسى ورسالته أشد  
رسوخاً فى نفوس من حوله من الناس .

نظر الرجل الذى كان يتمنى يوماً أن يكون مثل قارون فى غناه وثروته  
إلى صاحبه خافضاً رأسه خجلاً مما رآه .

وقال لصاحبه : لقد فهمت الآن معنى كلامك يا صاحبي أن لا أغترّ بالدنيا وما فيها من مُتّع ونعيم . لقد خسف الله بقارون الأرض فما كسب شيئاً غير غضب الله عليه .

قال له صاحبه : نعم يا صاحبي ، الآخرة خير وأبقى للإنسان كما قال لنا نبيّنا موسى . يسعد الإنسان في الجنّة ، وعليّنا أن نعمل لها دائماً . أما الدنيا ومُتّعها وما فيها من لذّات فهي زائلة في يوم من الأيام .

\*\*\*\*\*

لم ينتفع قارون بماله وكنوزه في الدنيا ، وهي لن تنفعه في الآخرة أيضاً . كان كافراً بالله العليّ العظيم ، دعاه حبّه للمال والثروة والجاه أن يعبد الفرعون ، وأن يثيره على نبيّ الله موسى ﷺ رغم أنه ابن عمّه ومن شيعته . كان قارون حاقداً على موسى الذي اختاره الله بعزّته وجلاله نبياً وفضّله على قارون وغيره من البشر . عاش قارون والغيط يملؤه من ابن عمه الفقير راعى الغنم ، الذي فضّله الله على الغنيّ ذي القوة والنفوذ ، فتحدّى قارون الكافر الله ورسوله ، فكان جزاؤه ما كان ، وابتلعت الأرض بأمر ربها .

\*\*\*\*\*



(٢٨)

لقمان والحكمة

كان الجدّ قاعداً فى غرفته يطالع فى كتاب الله الكريم عندما دخل أحفاده متسللين ؛ لئلا يقاطعوا الشيخ فى قراءته ، عندما أحس بهم الجدّ ابتسم لهم وصدق بالله العظيم ثم أغلق مصحفه مرحباً بأحفاده . قعدوا حول جدّهم وهم يمسكون بمصاحفهم .

**قال لهم الجدّ :** لقد انتهيت الآن من قراءة سورة لقمان . حكى لنا فيها الله سبحانه وتعالى قصة ذلك الرجل الذى فضّل الحكمة على النبوة . آتاه الله الحكمة البالغة التى تهدي إلى الجنة . وما يأتيها الله جلّ جلاله لأىّ إنسان ، وإنما يختار الخالق بعزّته من البشر من يعطيه الحكمة ليتعلم منها الناس .

**نظرا لجدّ إلى أحفاده وأشار إلى أحدهم وقال :** اقرأ لنا فى سورة لقمان من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ ، وسأتولى شرح الحكمة التى أنعم بها الله سبحانه وتعالى على عبده لقمان . قل يا بنيّ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ \* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ \* يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ**

مُخْتَلٍ فَخُورٍ \* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٣٨﴾ صدق الله العظيم .

استحسن الجد قراءة حفيده ، فدعا له ولاخوته وقال لهم : كلام الله واضح فيما يجب أن يعمل به الإنسان لكي يكتسب شيئاً من الحكمة . سوف أقول لكم كيف كان لقمان حكيماً .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، يختار الله من عباده الرسل والأنبياء . لهم صفات خاصة يودعها الله سبحانه وتعالى في قلوبهم فينشأون عليها . لهم ميثاق خاص مع خالقهم عز وجل . يوحى الله إليهم أو يكلمهم . يأمرهم بأن ينقلوا إلى البشر من أقوامهم تعليمات الخالق سبحانه وتعالى ، يوضحون للبشر الفرق بين الحق والباطل ، الفرق بين الإيمان والكفر بالله . يدعون قومهم إلى اتباع الصراط المستقيم والبعد عن طريق الشيطان الرجيم . كان آخر الرسل هو سيدنا محمد خاتم الأنبياء ﷺ .

ويختار الله سبحانه وتعالى من عباده رجالاً يؤتيهم الحكمة من عنده . ويودع في قلوبهم الإيمان والعمل بما يرضاه الله لعباده الصالحين من الأخلاق الحسنة والصفات الطيبة التي تجعل منهم قدوة حسنة للبشر فيعملون بعمل هؤلاء الحكماء ويسيروا على نهجهم ومنهجهم في الحياة فتصلح أحوالهم في الدنيا فيفوزون بنعيم الآخرة .

كان كل الرسل والأنبياء من الحكماء ، لكن الحكماء لم يكونوا من الأنبياء . يحتاج البشر إلى الحكماء في كل وقت ليذكروهم بالإيمان والعمل الصالح ومحاسن الأخلاق وكل الصفات الطيبة التي يجب أن يتحلّى بها كل البشر ، حتى يفوزوا برضاء الله عليهم في الدنيا وفي الآخرة . يذكروهم الحكماء برسالة الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى بني آدم ، منذ بدء الخليقة وحتى بعث رسول الله محمد ﷺ برسالة الإسلام الشاملة الجامعة التي لا يحتاج الإنسان بعدها إلى رسالة أخرى من عند الله .

كان لقمان واحداً من الذين آتاهم الله الحكمة . اختاره الله عز وجل ليحمل إلى البشر رسالة الحكمة . كان لقمان أسود اللون ، عبداً لقبيلة من اليهود تدعى بنو الحسحاس . اشترته تلك القبيلة من مصر ، فعاش معهم يرعى أغنام القبيلة . أمره شيخ القبيلة يوماً أن يذبح لهم شاة ، فذبحها لقمان وسلخها ثم أخبر شيخ القبيلة بذلك .

**فقال له الشيخ :** أخرج لنا أطيب قطعتين من الشاة يا لقمان .

قام لقمان فأخرج من الشاة القلب واللسان وقدمهما لشيخ القبيلة .

**وقال له :** هاتان القطعتان هما أطيب ما فى الشاة يا سيدى .

ومضت بضعة أيام ، فنادى الشيخ وقال للقمان : اذبح لنا شاة يا لقمان واستخرج منها أخبث قطعتين كي لا نأكلها .

ذبح لقمان الشاة وسلخها وأخرج منها القلب واللسان .

**وذهب للشيخ وقال له :** لقد ذبحت الشاة يا سيدى واستخرجت منها أخبث قطعتين : القلب واللسان .

**قال شيخ القبيلة متعجباً :** عجباً لأمرك يا لقمان ، أمرتك أن تخرج لنا أطيب مضغتين من الشاة ، فأخرجت لنا القلب واللسان . وأمرتك بعد فترة أن تخرج لنا أخبث قطعتين من الشاة ، فأخرجت القلب واللسان مرة أخرى . ما هذا الأمر ؟

**قال لقمان الحكيم :** ليس من شىء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا .

\*\*\*\*\*

قيل : إن الله سبحانه وتعالى خير لقمان بين النبوة والحكمة ، فاختر الحكمة . سأل الناس لماذا اختار الحكمة وترك النبوة ؟

**فقال لهم :** خفت أن لا أستطيع القيام بأعباء النبوة ، فاخترت الحكمة واكتفيت بما أنعم الله على من نعم كثيرة لا تُعد ولا تحصى . إن الله



سبحانه وتعالى إذا استودع شيئاً حفظه .

كان لقمان الحكيم يجلس صامتا ، لا يتحدث إلا إذا سُئِلَ أو إذا وعظ أبناءه . لا يكفّ عن ذكر الله وشكره وحمده على نعمه التي أنعمها عليه بالحكمة . راضياً بما أعطاه الله من فضله . لا يشكو فقره ولا قلة حيلته . لا يبكى على شيء فقدّه مهما كان عزيزاً عليه . مات كل أبنائه فلم يبك ، بل صبر على حكم الله ، صابراً محتسباً في كل مصيبة وكل محنة نزلت به . يدعو الله آناء الليل وأطراف النهار . تشقت قدماه من الصلاة والزهد في الدنيا .

قرر شيخ القبيلة التي تمتلك لقمان بن عنقاء بن سدون أن تحرره فعتقته وتركته يعمل ما يشاء بعد أن ذاع صيته بين الناس بحكمته وحسن خلقه وطيب معشره وعذب حديثه . قرر لقمان الحكيم أن يعمل في النجارة فيتعيش منها ، لكنه استمر في نصيح الناس بالعمل الطيب الصالح ، فكان بمثابة القاضي بين الناس ، يُظهر لهم الحق من الباطل .

لم ينفر الناس من لقمان الحكيم على الرغم من فقره وهيبته . كان قصيراً أفتس الأنف غليظ الشفتين ، مشقق القدمين أسود البشرة ، لكن حكمته وحسن خلقه ووقاره وتواضعه جعلت منه سيداً بين قومه . ما جلس في مكان إلا والتفّ حوله الناس يسعون إليه ويلتمسون عنده الحكمة والنصيحة والرأى الصائب .

كان لقمان الحكيم صامتاً عميق التفكير ، بعيد النظر . لا ينام في النهار أبداً . لم يره أحد قط يبصق أو يتنخّم أو يتجشأ ، ولا يغتسل إلا في السرّ حياءً منه . لا يعبث ولا يضحك ، بل جاد في كل أمور دنياه وفي عبادته لخالقه . كان في صمته يسبح الله ، شاكراً حامداً لكل نعم ربّه التي أنعمها عليه .

\*\*\*\*\*

جلس لقمان يوماً ، فالتفّ الناس حوله كعادتهم . يسأله البعض فيرد عليهم باختصار ، يعلمهم بما أودعه الله في قلبه من الحكمة . جاء رجل واقترب من الجالسين ووقف ينظر إلى لقمان وهو يحدث الناس المتطلّعين إلى ذلك الحكيم وهو يتكلم فلا تسمع همساً حوله ، وكل العيون تنظر بإعجاب إلى ذلك الرجل الأسود الفقير .

**قال الرجل للقمان : ألسنت أنت لقمان عبد بني الحسحاس ؟**

**قال لقمان الحكيم : نعم .**

**سأله الرجل : أنت إذن راعي الغنم ؟**

**فأمن لقمان على سؤال الرجل ، فقال له الرجل الغريب : جاءك الناس يجلسون حولك ، يطلبون مشورتك ويرضون بقولك ، ما الذى جعلك هكذا ؟**

**قال له لقمان بتواضعه : إن أصغيت إلى ما أقوله لك كنت كذلك .**

**قال الرجل : وكيف كان ذلك يا لقمان ؟**

**قال له لقمان الحكيم : غضّ البصر ، وكفّ اللسان ، وكل طعامك بعفّة ، واحفظ فرجك ، وقل الصدق ولو على نفسك ، وأوف بالعهد ، وأكرم ضيفك ، واحفظ جارك ، واترك ما لا يعينك . ذلك هو الذى جعلنى كما ترانى يا أخى .**

\*\*\*\*\*

دأب لقمان على وعظ ابنه وتعليمه النهج السليم للحياة حتى يفوز فى الدنيا وفى الآخرة . وفوز الآخرة أعظم ، برضوان الله على عبده وإدخاله الجنة التى وعد الله بها المتّقين من عباده الصالحين .

**قال لقمان لابنه : يا بُنى ، إن الحكمة أجلسست المساكين مجالس الملوك .**

فقد كان لقمان بالحكمة التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى صدره ، كالملك فى جلسته وحوله الناس لا يخافونه ولكن يحبونه . لا يخشون غضبه فهو لا يغضب أبداً . لا ينافقونه ، لكنهم يحترمونه . ينعمون بحكمته

وحسن خلقه وحلو حديثه .

قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بُنَيَّ ، إذا دخلت على قوم يجلسون فارمهم بسهم الإسلام ، أى : تُقرؤهم السلام ، ثم اجلس ناحيتهم . لا تنطق حتى تراهم يتكلمون . إن أفاضوا فى ذكر الله فتكلم معهم ، واذكر الله سبحانه وتعالى ، وإن تكلموا فى غير ذلك فتحوّل عنهم إلى غيرهم من الناس .

كان لقمان الحكيم حريصاً على تعليم أولاده ونصحهم ووعظهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم . كان أول درس لهم هو عدم الشرك بالله . يعبدون ربهم سبحانه وتعالى عبادة تامة ، يبتعدون بها عن الشرك .

يقول لابنه : يا بُنَيَّ ، لا تشرك بالله أبداً فإن الشرك بالله لظلم عظيم ، يؤدى بالإنسان إلى نار جهنم خالداً فيها أبداً . لا تعبد إلا الله الواحد القهار ، ولا تشرك بعبادته أحداً فإن الشرك بالله هو أعظم الظلم الذى يقع فيه إنسان .

\*\*\*\*\*

وعظ لقمان الحكيم ابنه يوماً فقال له : يا بُنَيَّ ، إن الله سبحانه وتعالى أوصى الإنسان بوالديه . على الابن أن يحسن إلى والديه دائماً . لقد حملتك أمك فأضعفها حملك فى بطنها ، وأضعفها تغذيتك حتى استطعت أن تأكل .

قال الابن لأبيه لقمان : أعرف هذا يا أبتاه .

قال لقمان الحكيم : يا بُنَيَّ ، لقد حذرّ الله الإنسان من أن يشرك به ، وأمر الإنسان أن يشكر ربّه دائماً ، ثم أتبع ذلك الشكر للخالق الكريم على النعم التى أعطاهها له بأن يشكر الإنسان لوالديه على ما تحملاه من جهد ومشقة فى تربيته وتنشئته . هل فهمت هذا المعنى ؟

قال الابن لأبيه : أفهم يا أبتاه ، أقدر لأبوىّ فضلهما علىّ .

قال لقمان لابنه : بارك الله فيك يا ولدى ، أعرف ذلك لكنى أحذرك من إغصاب والديك . على الابن أن يخضع لما أمرنا به ربنا من عدم إغصاب

الوالدين مهما كانت الأسباب .

قال الابن متعجباً يسأل أباه : مهما كانت الأسباب ؟

قال الحكيم لقمان : نعم يا بُنى ، إذا دعا الوالدان ابنهما إلى الشرك بالله ، وهو أعظم الظلم ، فلا يغضب الابن لقولهما ، بل عليه أن يخاطبهما بالمعروف . لا يطيعهما ولكن يلين فى الحديث معهما دون الإساءة إليهما بل باتباع المعروف والحسنى فى القول واستمرار رعايتهما .

\*\*\*\*\*

جاء لقمان الحكيم بجراب ملاءه بالخردل ، ثم أفرغه فى فناء بيته حتى صار شكله كالجبل الصغير ، فجلس إلى جواره ونادى ابنه فأجلسه أمامه .  
وقال له : يا بُنى ، هذا جبل من حبّ الخردل .

قال ابنه : وما هو الخردل يا أبتاه ؟

قال لقمان لابنه : هو كما ترى ، حبّ أسود صغير جداً . يوجد داخل قرون نبات عشبيّ .

سكت الابن ، ينتظر كلام أبيه . قال له لقمان الحكيم : يا بُنى ، لو أن حبة من هذا الجبل خردلة واحدة تختفى داخل هذا الجبل لأتى بها الله . إن الإنسان يعمل فى السرّ والعلن وما من شيء يفعلهُ الإنسان وإن كان فى مثل وزن هذه الخردلة إلا ويظهره الله له يوم الحساب ، فاحذر .

ظل لقمان الحكيم يعظ ابنه ، وكلما وعظه بشيء أخرج خردلة من الجبل ووضعها فى الجراب حتى نفذ الخردل كله .

قال لقمان لابنه : يا بُنى ، لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل لتفطر وانتهى أمره . بكى الابن متأثراً من كلام أبيه .

قال له لقمان الحكيم : يا بُنى ، أقم الصلاة . لا تنس أبداً أن الصلاة هى الصلة التى تربط العبد بخالقه . هى العبادة والخضوع لله ربّ العالمين . هى

الطاعة لأوامر الله . هى الشكر للخالق على نعمه التى أنعم بها على عباده . هى الوسيلة للتقرب إلى الله للفوز برضائه عسى أن يغفر له ذنوبه .

**قال الابن لأبيه : أحفظ صلاتى يا أبى .**

**قال لقمان لابنه : عليك أن تجعل الله أمامك فى كل حرف تنطقه ، وكل حركة تأتىها ، اجعل الله أمامك فى منامك ، فى يقظتك ، فى جلوسك ، فى وقفك ، فى مشيك ، وفى سكونك ، لا تسكت على باطل لا يرضاه الله أبداً . تحضّ دائماً على فعل الخير الذى يرضى الله عزّ وجلّ .**

**قال الابن لأبيه لقمان الحكيم يؤكد فهمه لحديث أبيه : نعم يا أبى ، تعرفنى يا أبتاه ، أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .**

**قال لقمان : إن الله يأمرنا بالصبر على كل شيء . الصبر عندما يغرقنا المولى سبحانه وتعالى بالنعم . فلا تخالف لله أمراً ، ولا تمش وراء وسوسة الشيطان . نصبر عندما يتلينا الله بضرّ ، فالله يختبرنا ؛ ليرى كيف نعمل . علينا أن نرضى بكل شيء . بالنعم والبلايا . نسأل الله العلىّ الكبير العافية ، ونشكر له النعم . إن الصبر صفة لازمة لكل مؤمن بالله العلىّ العظيم .**

**بكى الابن كثيراً : متأثراً من حديث أبيه ، وقال له من وسط دموعه : أصبر يا أبتاه فى كل الأمور ، الله يعرف ما فى قلبى من إيمان وحبّ لله ربّ العالمين .**

**قال الحكيم لقمان : إياك والكبر ، لا تتكبر على الناس ، فتنظر إليهم من جانب وجهك احتقاراً لهم ولشأنهم . من يدريك عن مدى قرب الإنسان من الله عزّ وجلّ ؟ قد تتكبر على إنسان وتظن أنك أحسن منه هيئة وأكثر مالا وجاهاً ، فتختال عليه وتتفاخر بأصلك وصفاتك ، فيأتى الله عزّ وجلّ بك ويبتليك فى نفسك أو فى مالك أو ولدك . إن الله لا يحب كل من يختال بنفسه ويفتخر بالنعم التى أنعم بها الله عليه . احذر يا بُنى غضب الله .**

**قال الابن لأبيه لقمان : يا أبتاه ، لقد نشأت تحت رعايتك ورأيت تواضعك وخشيتك من الله ربنا . هل تظن أننى أرتضى لنفسى ما لم ترضه أنت**

لنفسك ؟ لا أتكبر أبداً ، أنا عبد فقير إلى الله مثلك يا أبى .

**قال لقمان لابنه:** الحمد لله يا ولدى على هذا ، إننى أوصيك بأن تقصد فى مشيتك ، لا تبطئ ولا تسرع . إذا أبطأت فى مشيك ظن الناس أنك تختال عليهم وتتبختر ، وإن أسرعت فى سيرك قد يعتقد الناس فيك تعجلاً وعدم اهتمام بهم . عندما تمشى فى الطريق فلا تبطئ ولا تتعجل ، خذ أوسط الأمور دائماً .

**قال الابن :** فهمت يا أبتاه .

\*\*\*\*\*

**أجلس لقمان الحكيم ابنه إلى جواره وقال له:** أريد أن أعظك عظة هامة لك يا بُنى . اغضض من صوتك يا بُنى دائماً . لا ترفعه عندما تتحدث ، فإن أنكر الأصوات لصوت الحمير .

كانت هذه العظة من لقمان لابنه ، توضح مدى الحكمة التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى قلب لقمان . ولعل الإنسان يدرك مدى الحكمة فى وعظه لابنه ، والابن هو أغلى ما عند الرجل ، فلا يعطى الأب لابنه إلا كل ما ينفعه وحسب .

إننا نتذكر قول رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنه رأى شيطاناً » . وقد فسّر لنا رسول الله ﷺ استنكار لقمان لصوت الحمير ، ووصفها بأنها أنكر الأصوات ، فالحمير ترى الشياطين التى لا نراها نحن البشر . كما أبان لنا رسول الله ﷺ أن أكثر الأعمال التى تُدخل الإنسان الجنة: تقوى الله وحسن الخلق .

إذا ما استعرضنا عظات لقمان لابنه نجدها كلها تدور حول هذا المعنى الجميل عن الطريق للفوز بالجنة ونعيمها : تقوى الله وحسن الخلق .

كان التواضع من صفات لقمان الحكيم التى نشأ عليها ، فأنشأ أولاده عليها . إننا نتذكر قول موسى عليه السلام ، وهو يخاطب اليهود فقال لهم : ما لكم تأتونى عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب ذئاب ؟ البسوا ثياب الملوك وألبنوا قلوبكم بخشية الله .

قال رسول الله ﷺ : « اتخذوا السودان ؛ فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن » أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

\*\*\*\*\*

قال الجد لأحفاده : إن الإنسان يدرك المعانى الحكيمة التى كان لقمان يعظ بها ابنه فى ضرورة مصاحبة الابن لوالديه بالمعروف وحسن معاشرتهما مهما حدث منهما . فى هذه المناسبة أقص عليكم قصة سعد بن مالك ، أحد المسلمين الأوائل من أصحاب رسول الله ﷺ .

كان سعد رجلاً باراً بوالدته ويرعاها ويحسن إليها ولا يغضبها أبداً ، رغم أنها رفضت أن تسلم كابنها .

غضبت الأم عندما علمت بإسلام سعد وقالت له : ما هذا الذى أراك قد أحدثت وأمنت

بدين محمد ؟

قال سعد لأمه : يا أماه . إنه دين الحق ، يدعو إلى الحق .

قالت الأم غاضبة : لتدعن دينك هذا يا سعد ، أو لا أكل حتى أموت فيعيّرك

الناس بى ويقولون لك : يا قاتل أمك .

قال لها سعد برفق ولين : لا تفعلنى هذا يا أماه .

صممت الأم على رأيها وأبت أن تأكل يوماً وليلة . فقامت فى الصباح

وقد أحست بإجهاد ، لكن سعداً كان رحيماً بأمه . قدّم لها الطعام محاولاً

أن يقنعها بأن تأكل ، فتأبى وهى تطلب منه أن يترك دين الإسلام ، فيرفض

ذلك فى رقة ، ويشرح لها الإسلام .

رفضت الأم الاستماع إلى ابنها . مرَّ يوم ثانٍ والأم لا تأكل ، وجاء الصباح وقد اشتد عليها الإجهاد . وامتنعت الأم يوماً ثالثاً حتى أصبحت لا تقوى على الحركة من شدة الجوع ، فشقَّ ذلك على ابنها سعد .

**فقال لها :** يا أمّاه ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء . إن شئت فكُلّي ، وإن شئت لا تأكُلِي .  
عندما أيقنت الأم أن ابنها سعداً لن يترك دينه لأى سبب مقتنعاً بالإسلام عن عقيدة واقتناع قامت ، فتناولت طعامها .

\*\*\*\*\*

كانت الحكمة التى وضعها الله عزّ وجلّ فى قلب لقمان تظهر فى كلماته وآرائه .

**قال لقمان :**

- \* المرأة كالسيف ، ما أجمل منظره وأقبح أثره !
- \* اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة .
- \* اتق الله ، ولا تُرى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك ، وقلبك فاجر .
- \* ألا إن يد الله على أفواه الحكماء ، لا يتكلم أحدهم إلا ما هياً الله له .
- \* لا ترغب فى ود الجاهل فىرى أنك ترضى عمله ، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك .
- \* إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .
- \* إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم .
- \* لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء .



- \* كما ترحمون تُرحمون ، وكما تزرعون تحصدون .
- \* أحب خليلك و خليل أبيك .
- \* أشد الناس شراً الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئاً .
- \* يبدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس .
- \* لا يأكل طعامك إلا الأتقياء . وشاور فى أمرك العلماء .

\*\*\*\*\*

(٢٩)

# الجن والسحر

جلس الأحفاد حول جدّهم وكلهم آذان مصغية ، مستعدون لسماع واحدة جديدة من أحسن القصص التي أنزلها المولى عزّ وجلّ على عباده المؤمنين فى كتابه الكريم . رحّب بهم الشيخ ، يبادلهم الحديث عن أحوالهم ، ويجيب على أسئلتهم التي يطرحونها عليه .

**قال لهم :** قصة اليوم إن شاء الله ستكون عن سيدنا سليمان عليه السلام . ولقد أفاض الله سبحانه وتعالى فى ذكر قصص هذا النبىّ الكريم فى عدة سور من سور قرآننا الكريم . شرح الله لنا فيها النعم الكثيرة التي أنعم بها الخالق عزّ وجلّ على ذلك النبىّ عليه السلام ، وبين لنا الله سبحانه فيها كيف كان سليمان وأبوه داود عليهما السلام من أكثر عباد الله شكراً وحمداً لنعم المولى سبحانه وتعالى عليهما ، فراد الله لهما من الخير والرضا ، عليهما السلام .

**نظر الجد إلى أحد أحفاده وقال له :** اقرأ لنا يا ولدى فى سورة سبأ من الآية ١٢ إلى الآية ١٤ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَلَسَّيْمَانَ الرِّيحِ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ \* فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ صدق الله العظيم .

**قال الشيخ لأحفاده :** تعرفون قصة سيدنا سليمان عليه السلام من قصص الأنبياء التي قصصتها عليكم من قبل ، لكننا اليوم إن شاء الله سوف أحكى لكم

تفاصيل إحدى قصص سليمان عليه السلام . دعونا لا نستبق الأحداث .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، مات نبي الله داود عليه السلام ، فبعث الله سبحانه وتعالى سليمان ملكاً ونبيّاً إلى بنى إسرائيل . دعا سليمان عليه السلام ربه بأن يعطيه ما لم يعطه لإنسان . استجاب الله بعزته لنبيه سليمان ، فوهبه الله نعمة فهم لغات الطيور والدواب كلها يفهمها ويتكلمها . وسخر الله له الريح تجري بأمره كيف يشاء . يركب الريح هو وجيوشه فتنقله من مكان إلى مكان . وزاد الله في عطاياه لنبيه سليمان عليه السلام ، فسخر له الجن لكي تعمل له ما يشاء . فمن الجن من يغوص في أعماق البحار ليأتي لسليمان بن داود عليه السلام باللؤلؤ ، ومنهم من يأتي بالذهب من الجبال ، ومن الجن من يعمل له في البناء وتزيينها ، ومنهم من يعمل الأواني الكبيرة التي توضع في الطرقات وتملأ بالماء ليشرب منها الناس .

كان سليمان عليه السلام يستطيع أن يرى الجن وأن يأمرهم ، تلك كانت مشيئة الله وإرادته . ومن الجن من هو مؤمن بالله ، ومنهم الكافرون ، وهم الشياطين ، فحكم الله عليهم أن لا يخرج الجن عن طاعة سليمان وإلا ربطه الله في سلاسل من حديد وقيود ؛ ليكون في خدمة سليمان .

زاد الله سبحانه وتعالى في عطاياه لسليمان عليه السلام فجعل الجن لا يستطيع أن تقترب من النبي سليمان عليه السلام . إن اقتربت منه احترقت . كانت من خوفها من سليمان تطيع أوامره وتنفذها ؛ لتبتعد عنه لكي لا تحترق .

حكم سليمان عليه السلام ، نبي اليهود وملكهم ، بحكم الله سبحانه وتعالى ، فأفشى العدل وأقام أحكام التوراة عليهم ، فلم يستطع يهودي واحد أن يخالف تعاليم دينهم التي طبّقها سليمان عليهم بحزم وشدة . تعود اليهود على العصيان ومخالفة تعاليم دينهم ، وجاء سليمان عليه السلام فلم يستطيعوا أن يخالفوا لنبيه أمراً . كره اليهود سليمان وحكمه العادل .

وكان عفاريت الجنّ والشياطين يكرهون سليمان عليه السلام أيضا ، فهو رقيب عليهم لا يستطيعون أن يخالفوا له أمرا . وفوق الجميع ، ربّ السماوات والأرض شهيد عليهم ورقيب على أعمالهم .

\*\*\*\*\*

تعودّ الشياطين أن يتسللوا ويصعدوا إلى السماء الأولى ، فيتنصّتون على كلام الملائكة عن الأرض وأهلها . يعود الشياطين إلى الأرض وينقلون ما يسمعون من أخبار صحيحة عن الناس وموتهم وحياتهم ، ثم يزيدون في الكلام الذى استمعوا إليه ويخبرون به كهنة اليهود ، فيخبر أخبار اليهود الناس بما سمعوه من الجنّ ، وبه شىء من الحقيقة ، فاعتقد الناس خطأ أن الجنّ يعرفون الغيب .

قرر الله سبحانه وتعالى أن يحمى السماء من تسلل الشياطين ، فكان كلما صعد شيطان إلى السماء يتم قذفه بشهاب ، فيحرقه ؛ حتى يحرم الله الشياطين من الاستماع إلى ما تقوله الملائكة . بلغ سليمان عليه السلام ما يتحدّث به أحبار اليهود ويكتبونه . جمع نبيّ الله كل تلك الأوراق ووضعها فى صندوق ودفنه تحت كرسىّ العرش الخاص بسليمان ؛ حتى لا يعبت به أحد . وكان لسليمان كاتب لا يفارقه ، يدوّن ويكتب كل ما يقوله سليمان عليه السلام ، وكان النبيّ سليمان عليه السلام يضع تلك الأوراق أيضا فى ذلك الصندوق ، وكان من بين تلك الأوراق ما كان آصف كاتب سليمان يسجله بلغة الطيور التى يعرفها سليمان ولا يعرفها أو يدرك معانيها باقى البشر .

لم يكن الشياطين بقادرين على الاقتراب من عرش سليمان وإلاّ احترقوا ، فقد كان عرش سليمان فى حجرة من الزجاج وبها المحراب الذى يصلّى فيه . كان مرور أىّ شيطان إلى جوار تلك الحجرة الزجاجية كفيلا باحتراقه فوراً . وكان لسليمان عليه السلام خاتم يضعه فى أصبع يده ، يحكم به ، وهو السرّ فى طاعة الإنس والجنّ له عليه السلام . يفعل الله عزّ وجلّ ما يشاء ، هو العلىّ القدير .

\*\*\*\*\*

أحسن سليمان عليه السلام بأن موعد وفاته قد اقترب ، فذهب إلى محرابه ممسكاً بعصاه ، يصلى لله ويشكره على النعم التى أنعم الله بها عليه ، والتى لم يعطها لمخلوق غيره لا من قبل ولا من بعد . قبض الله روحه فمات وهو واقف فى المحراب ممسكاً بالعصا . مرت سنة على موت سليمان وهو فى وقفته ، والناس لا تدرى ، بل تتعجب وهى تراه واقفاً أمام المحراب .

أكلت حشرة الأرضة خشب عصا سليمان من الداخل ، فوقع نبي الله سليمان عليه السلام على الأرض . تجمع الناس حول غرفة نبيهم الزجاجية .

**فقال أحد الشياطين لنفسه :** إذا كان سليمان قد مات فإننى لن أحترق إذا ما مررت أمام غرفته .

جازف الشيطان واقترب من غرفة سليمان عليه السلام فلم يحترق . عرف الجميع أن سليمان قد مات . فلما دخلوا عليه فى غرفته ورأوا عصاه قد أكلتها حشرة الأرضة خلال سنة عرفوا أن الجن لا تعرف الغيب ، وإلا لكانت قد عرفت أن سليمان عليه السلام مات منذ سنة .

فرح اليهود والجن والشياطين لموت سليمان عليه السلام . تخلص الجن من العبودية والعمل المستمر فى خدمة سليمان ، وفرح الشياطين بتحررهم من الأغلال التى كانت تقيدهم ، ونالوا حريتهم بعد أن ظلوا لسنة كاملة يعتقدون أن نبي الله سليمان عليه السلام على قيد الحياة . وفرح اليهود بموت سليمان الذى فرض عليهم حكم الله ، فتنحروا من القيود التى فرضها الدين عليهم ، فعاثوا فى الأرض فساداً يرتكبون كل منكر وفاحشة وظلم .

انتشرت أعمال السحر بين اليهود انتشاراً واسعاً ، فلقد رأوا نبيهم سليمان عليه السلام وقد سخر الله له ما لم يسخره لأحد من قبل ، فأشاع الشيطان بوسوسته لليهود أن سليمان كان ساحراً ولم يكن نبياً أبداً .

**قال الشيطان لأخبار اليهود :** إن سليمان كان ساحراً ، وإننى أعرف المكان الذى أخفى فيه سر السحر الذى يقوم به .

وأصر أحبار اليهود على معرفة ذلك المكان الذى أخفى فيه سليمان عليه السلام أسرار السحر الذى كان يمارسه على حد قول الشياطين .

**فقال لهم الشيطان :** إن كل أعمال السحر موجودة فى صندوق مدفون تحت كرسيّ عرش سليمان .

ذهب أحبار اليهود إلى مكان عرش سليمان وحفروا الأرض تحته ، فوجدوا الصندوق وبه الأوراق التى كتبها الشياطين والسحرة من قبل . ووجدوا تسجيلاً مكتوباً عن أحاديث سليمان عليه السلام مع الطير والدواب التى لا يفهمونها ، فاعتقدوا أنها من أعمال السحر ، ففرحوا بها ومارسوها ، فانتشرت عادة السحر بين اليهود وحذقوا فيها .

\*\*\*\*\*

عندما بعث الله محمداً ﷺ رسولاً إلى الإنس والجنّ ليهديهم إلى الطريق المستقيم ، وأنزل على لسانه كتابه الكريم ، بدأ اليهود فى معادة رسول الله ﷺ رغم أنهم يعرفون أنه نبيّ كريم مرسل من ربّ العالمين ، كما هو مكتوب عندهم فى التوراة التى غيروا فيها .

وحين أنزلت الآيات على سيدنا رسول الله ﷺ بأسماء الأنبياء ، ومنهم سليمان عليه السلام ، قال اليهود لرسول الله : إن سليمان لم يكن نبياً . كان ساحراً . فأنزل الله سبحانه وتعالى الآية التى توضح أن نبيّ الله سليمان عليه السلام لم يكفر ولم يمارس السحر ، وإنما كان ذلك من عمل الشياطين . لكن اليهود لم يؤمنوا وكابروا وصمموا على أن سليمان عليه السلام كان ساحراً وليس نبياً .

\*\*\*\*\*

انتشر دين الإسلام فى أرض العرب انتشاراً سريعاً وخاصة فى المدينة التى كان يسكنها الكثير من اليهود فى ذلك الوقت . وازداد حقد اليهود على الإسلام والمسلمين وعلى رسولهم ﷺ ، فقرروا ممارسة السحر الذى تعلموه

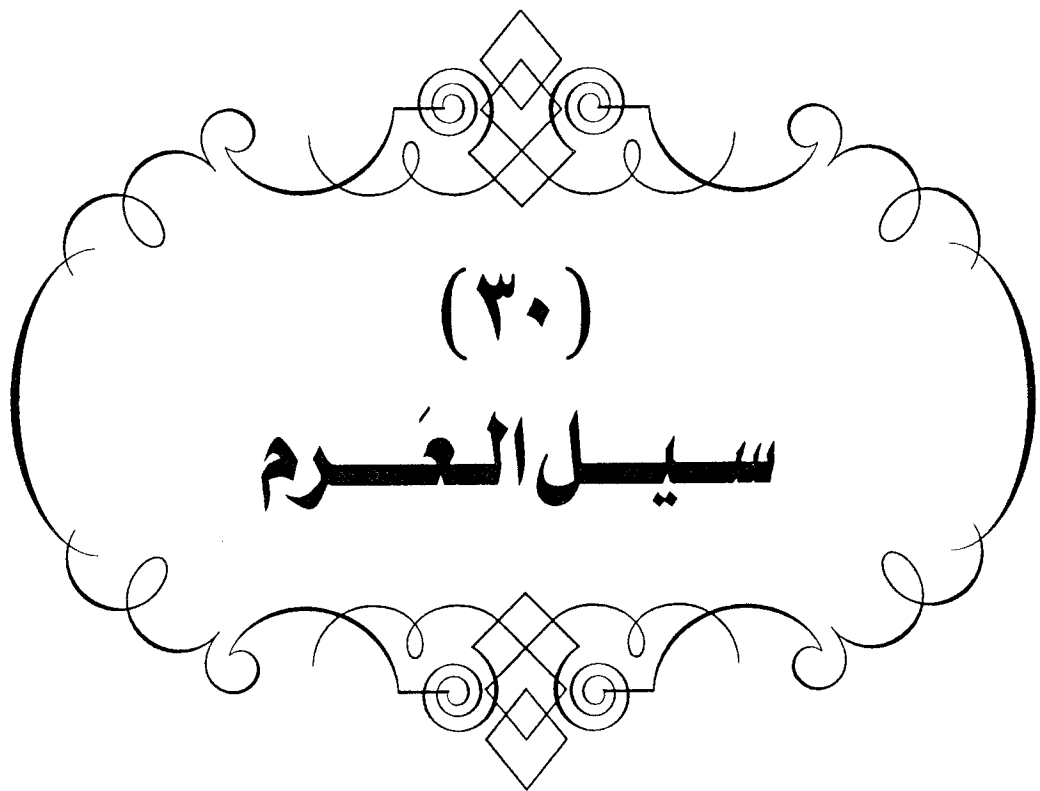
من الشياطين على رسول الله ﷺ .

قام أحد اليهود ، بناء على أمر الأخبار ، وكان يدعى لبيد بن الأعصم ، بعمل السحر الأسود الذى يضر لرسول الله ﷺ بعد أن استطاع الحصول على بعض الشعر الذى يخص نبيّنا عليه الصلاة والسلام ، من المشط الذى يمشط به شعره .

مرض رسول الله ﷺ ورقد فى فراشه ولم يستطع الحركة . بعث الله سبحانه وتعالى بملكين جلسا على فراش رسول الله ﷺ ، أحدهما ناحية رأسه الشريفة ، والآخر ناحية رجله . أخبر الملكان رسول الله ﷺ بمكان السحر الذى دفنه اليهودى فى قاع بئر . استخرج المسلمون السحر من قاع البئر وأحرقوه ، فشفى الله رسوله الأمين من ذلك السحر . ثم أنزل الله سبحانه وتعالى سورتي المعوذتين : سورة الفلق وسورة الناس ؛ ليقرأها النبي ﷺ ، ويقرأها كل مسلم ؛ ليسلم من أعمال السحر التى يمارسها شياطين الإنس والجن .

\*\*\*\*\*





جاء الأحماد إلى جدّهم وتحت إبط كل منهم مصحفه . قعدوا حول الشيخ ، بعد أن قبلوا يده ، فأخذ يمسح على رأس كل منهم بيده الثانية ، وهو يدعو لهم بالهداية والبركة .

**قال لهم :** أقص عليكم اليوم إن شاء الله قصة وردت في كتاب الله الكريم ، فيها الكثير من العبر لبنى آدم ، أرجو أن تتبها لها لتعرفوا حق الله سبحانه وتعالى على عباده عندما يغنيهم وينزل عليهم نعمه ، ثم كيف يجازى كل من يطيع الشيطان فيسخر من نعم الله عز وجل .

جال بنظره بين أحماده ، ثم أشار إلى أحدهم وقال له : اقرأ لنا يا ولدى فى سورة سبأ من الآية ١٥ إلى الآية ٢١ .

قرأ الفتى مرتلاً ، بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةً جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ \* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ \* فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الشيخ : أحسنت يا ولدى ، بارك الله فيك .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عاش أهل سبأ ، وهى أرض اليمن كما تعلمون ، فى نعمة كبيرة ، مسلمين لله على شريعة موسى ﷺ . أفاء الله عليهم بالأرزاق الواسعة ومنحهم البركة فى كل أعمالهم ، فامت أشجارهم وزروعهم وأعطت ثمرها وأينعت . أنزل الله عليهم المطر يرويههم ويروى أراضيتهم . وبعث الله سبحانه وتعالى إلى أهل سبأ بالأنبياء يأمرهم بأن يأكلوا من رزق الله ويشكروا ربهم على النعم التى أعطاها لهم ، فيعبدوه ويوحدوه ، فكانوا كذلك إلى ما شاء الله .

كلما كانت الأمطار تهطل على أرض سبأ كان الماء يتجمع بين جبلين ثم يروى الأودية . فكر ملك سبأ فى بناء سد عظيم يحجز هذا الماء المندفع بين الجبلين والذي يذهب أكثره هباءً ؛ لكى يستفيد الناس من الماء فى زيادة مزارعهم وضمان استمرار رى زرعهم وسقى أنعامهم على مدار العام ودون انتظار لهطول الأمطار عليهم .

جمع أهل سبأ الأحجار ، وحشد الملك المهندسين ومهرة العمال ، وبنوا السد الذى جاء عظيمًا محكم البناء . جاء الغيث ينهمر فوق الجبال فحجزها سد مأرب ، فزرعوا الأشجار على كل الجوانب وملأوا الأودية زرعًا أخضر يسر الناظرين . جاءت الثمار التى أنبتها الله عز وجل غاية ما تكون فى الحسن والوفرة ، حتى أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها سلة مما تجمع فيها الثمار فتساقط الفاكهة من الأشجار فتملأ السلال من غير أن تحتاج إلى قطف ، فالثمر كثير ناضج ، والخير وفير .

كانت مأرب ، التى بنى فيها أهل سبأ سدّهم الكبير ، هى عاصمة ملوك ذلك الزمان ، وكان بينها وبين صنعاء ثلاث مدن ، تحيط بها القرى ، آمنة متواصلة ومتقاربة بعضها من بعض ، تملؤها الأشجار ذات الوفرة فى الثمار وتنتشر بها الزروع من كل صنف ونوع . كان المسافر من بلدة لأخرى لا يحتاج إلى حمل ماء ولا زاد معه ، بل حيثما نزل وجد أمامه الماء والثمار . عاش أهل مأرب فى رغد من العيش ، ينعمون أيضا بأرض خلّت

من الذباب والحشرات والبعوض والهوام ، فلقد أحال الماء المتدفق وارتفاع الأرض وعناية الله بهم الحياة فيها إلى نوع من المتعة ، فهم ينعمون بهواء معتدل وحياة صحيّة مستمرة .

كان أهل سبأ يسيرون من اليمن حتى الشام ، فيمرون بالقرى المتواصلة حيث الزاد والماء ، فيستريحون وقتما شاءوا ويقيمون بها حتى ترتوى أنعامهم وتأكل فيستأنفون السفر . بطر أهل سبأ بهذه النعم .

فكانوا يتنذرون في مجالسهم ويقولون : لو أن الله يباعد بين هذه القرى حتى نجد شيئاً من العناء والمشقة . لقد تعبنا من كثرة الراحة والنعيم الذي نعيش فيه .

عاقبهم الله سبحانه وتعالى وجعلهم حديثاً للناس في سمرهم ، يحكون عنهم وهم يستمعون إلى أخبارهم ، وكيف مكر الله عزّ وجلّ بهم ، ففرّق شملهم وخرّب أرضهم وحرّمهم من العيش الرغد الذي عاشوا فيه زمناً طويلاً نتيجة بطرهم بنعم الله .

عندما يرى الشيطان قومًا يعيشون في العزّ والنعيم الذي أفاء به الله عليهم فمتّعهم به يبدأ في التسلل إلى صدورهم ، فيوسوس لهم ويصف لهم مدى ما بلغوا من قوة أو ثروة ، يدخل الكبر إلى صدورهم ، فيتحولون ، جيلاً بعد جيل عن ذكر الله وعبادته وشكره على نعمه ، وتختفى منهم روح العبودية الخالصة لله ربّ العالمين على مرّ الأيام ، وتشتد في نفوسهم العزة بالإثم ، فيبتعدون عن اتباع ما أمر به الله جلّ جلاله .

\*\*\*\*\*

تولّى عمرو بن عامر ملك اليمن . رأى يوماً في منامه أن جُرذاً يحفر بهمة ونشاط في سدّ مأرب ، فقام من نومه مذعوراً وقد أيقن أنه لا بقاء للسد بعد ذلك الحُلم . لم يشأ الملك أن يخبر قوم سبأ برؤياه مخافة إحداث فتنة بينهم . سأل الملك أهل البلدة إن كانت هناك فئران تسكن جسم السد ؟ فقالوا له : إنها كثيرة تتوالد في سرعة وتزداد توحّشا ويتضاعف حجمها يوماً بعد يوم . أمر الملك بإرسال القطط في أعداد كبيرة لتسعى حول السدّ

واصطياد الفئران .

سأل الملك عمرو بن عامر عن الأحوال بين القطط والفئران حول السد ، فقيل له : إن أعداد الفئران فى ازدياد ولم تستطع القطط أن تقلل من أعدادها . أيقن عمرو بن عامر أن رؤياه تعنى أن ذلك السد العظيم سوف ينهار لا محالة . انتوى الملك أن يخرج من اليمن وأن يبتعد عن سد مأرب وعن البلاد كلها .

فكر الملك فى وسيلة للخروج من اليمن دون البوح بما يعتقد من حتمية انهيار سد مأرب . مكرّ ونادى أصغر أبنائه ، فأمره بأن يطيعه فيما سوف يأمره به وأن لا يناقشه فى الأمر لآى سبب من الأسباب .

**قال له :** إذا أغلظت لك فى القول ولطمتك على وجهك أمام الناس ، فلتلطمنى .

حاول الولد أن يثنى أباه عن ذلك ، فنهره الملك وسأله أن يطيع دون نقاش . وانتهاز الملك فرصة وجود بعض الناس فى حضرته ، فنادى أصغر أولاده وأغلظ له فى القول ثم قام فلطمه ، ففعل الابن ما أمره به أبوه ولطم الملك فى حضرة الناس .

**صرخ الملك عمرو بن عامر وقال :** والله لا أقيم فى بلد لطم وجهى فيه أصغر أبنائى .

عرض الملك ممتلكاته وضياعه وأراضيه للبيع ، ووجدها أشرف وأغنياء البلدة فرصة سانحة لشراء تلك الممتلكات بسعر معقول ، فسارعوا بشرائها . استعد الملك عمرو بن عامر للرحيل عن اليمن .

**فقال قبيلة الأزد :** لا نتخلف عن عمرو بن عامر أبداً .

وباعوا أملاكهم هم الآخرون وخرجوا معه وتفرّقوا فى البلاد . نزل آل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام ، ونزلت الأوس والخزرج فى يثرب ، ونزلت خزاعة مرّاً ، ونزلت أزد عَمان والسراة .

لم يتخلف عن الخروج مع الملك سوى نصر بن أبى حارثة ، أحد أحفاد عمرو بن عامر ، الذى أصرّ على البقاء فى اليمن وعدم مغادرتها . فضل أن يبقى وأن يتولّى عليها الملك عن أن يخرج مع جدّه وقبيلته وهو لا يفهم سبباً لذلك الرحيل ، فتركه عمرو بن عامر باليمن .

\*\*\*\*\*

تسلل الشيطان إلى سبأ فجعل أهلها يعرضون عن توحيد الله وعبادته وشكره على النعم التى أنعم بها سبحانه وتعالى عليهم ، فعادوا من جديد إلى ارتكاب المعاصى والبطر بالنعم . لم يستمع القوم إلى نصائح الأنبياء الذين بعث بهم الله لهم ، بل انقادوا طائعين لشياطينهم . سلّط الله عليهم المطر فنزل سيلاً جارفاً هدم السدّ العظيم ، وأغرق الماء القرى وأزال البساتين وأحالها إلى قفر ، فانقطعت الأشجار وماتت الثمار جزاء كفرهم وتكذيبهم للحق ، فاتبعوا الباطل .

نظر الجد إلى أحفاده وقال لهم : أرجو أن تفهموا مغزى هذه القصة يا أولادى . نعم الله عزّ وجلّ على الإنسان لا بد وأن تقابل بالشكر والحمد ، وزيادة عبادة الخالق اعترافاً بفضله جلّ وعلا على الإنسان . ولا بد أن نعلم أن غضب الله شديد على الكافرين بنعمه ، فاحذروا ، حفظكم الله ورعاكم .

\*\*\*\*\*

(٣١)

فِتْنَةُ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

جلس الأحفاد حول جدّهم ، وأمام كل منهم مصحفه .

**قال لهم الشيخ :** لا زلنا يا أحفادي الأحياء مع قصص كتاب الله الكريم ، أحسن القصص . ولا نزال اليوم إن شاء الله مع سيرة نبيّ الله سليمان عليه السلام . فعلى الرغم من نعم الله سبحانه وتعالى التي وهبها لنبيه سليمان عليه السلام إلا أن الله فتن نبيه ، فماذا فعل سليمان عليه السلام ؟ هذا هو حديثنا اليوم بإذن الله .

**نظرا لجدنا إلى أحد أحفاده، وقال له :** اقرأ لنا يا بنيّ في سورة ص من الآية ٣٠ إلى الآية ٤٠ .

قرأ الحفيد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ \* إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ \* رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفُطِفَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ \* وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿ صدق الله العظيم .

\*\*\*\*\*

**قال الجد :** بسم الله الرحمن الرحيم ، منح الله سبحانه وتعالى سليمان ابن داود عليه السلام الحكمة منذ صغر سنّه . كان أبوه يأخذ بما يشير به ابنه سليمان من حلول للمشكلات التي يعرضها الناس على نبيّهم وملكهم داود عليه السلام . ورث سليمان أباه في النبوة والملك . منّ الله عزّ وجلّ على سليمان بالكثير من النعم ، فكان يعرف لغات الطيور ثم يشرح للناس مقاصدها . كان



الطير مأموراً بأن يأتى إلى سليمان كل يوم لتقديم الطاعة له ، ولكل من الطيور مهمة يكلفها بها سليمان عليه السلام .

ومن آيات الله سبحانه وتعالى التى وهبها لسليمان عليه السلام أيضا أن سخر له الجن كعمال يعملون له ما يشاء فى سرعة وإتقان ، ولا يخرجون عن طاعته أبدا . ومن نعم الله أيضا لسليمان أن الله بجلاله أسال له النحاس ، فجاءت به الجن تبني له ما يشاء .

خرج سليمان عليه السلام يوما بجيوشه الثلاثة : جيش الإنس ، وجيش الجن ، وجيش الطير الذى يظللهم من فوقهم فيقيهم الحر ، يبتغون حرب القوم الكافرين . توقف سليمان عليه السلام فجأة بعد أن فهم حديث نملة على الأرض تقول لقومها أن يدخلوا الجحور مخافة أن يطأها سليمان وجنوده ، فابتسم سليمان عليه السلام ، وهو يشكر ربه لما أطلعه عليه وحده دون غيره من البشر من المعرفة بلغة الطير والدواب .

\*\*\*\*\*

قرر الملك سليمان نبي الله عليه السلام أن يخرج لقتال قوم من الكافرين رفضوا دعوته للإسلام وعبادة الله وحده . بدأ سليمان عليه السلام الاستعداد للحرب ، فأتوا له بالجياد الرشيقة سريعة الجرى ، وظلوا يعرضونها على النبي سليمان ليختار أحسنها ، فانشغل بها حتى فاتته صلاة العصر وغابت الشمس . حزن سليمان عليه السلام حزناً شديداً على تقصيره فى حق ربه بسبب انشغاله فى اختيار الجياد . أخرج سليمان سيفه وذبح الخيل كلها ، يضربها فى أعناقها وفى سيقانها ، إرضاءً لله عز وجل .

قال الملك سليمان عليه السلام : إننى أتصدق بلحم هذا الخيل كله للفقراء .

عفا الله عن عبده ونبيه سليمان ، وأمر الله الخالق العظيم بأن تخضع الرياح لأمر سليمان جزاء عطاء من رب كريم ، لعبد حسنت عبادته وحسن إخلاصه لربه ولدينه .

كانت صلاة العصر بالنسبة للأنبياء صلاة لا يحبون أن تفوتهم أبداً ، أو أن يتأخروا عن أدائها مهما كانت الأحوال والظروف . عندما كان يوشع بن نون عليه السلام يحارب استعدت الشمس للغروب فدعا نبي الله ربّه أن يؤخر له غروب الشمس حتى ينتهى من القتال فيصلى العصر ، فأخرها له الله بعزته وحبسها له حتى انتهى من القتال .

عندما فاتت صلاة العصر سيدنا محمد رسول الله ﷺ يوم الأحزاب قال : « ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، شغلونا عن الصلاة الوسطى حيث غابت الشمس » .

\*\*\*\*\*

كان من عادة سليمان عليه السلام إذا ما أراد الاغتسال أو النوم ، أن يخلع خاتمه ويسلمه إلى زوجته التي يأتئنها عليه . ذهب سليمان عليه السلام يوماً إلى الخلاء لقضاء حاجته ، ونسى الخاتم عند زوجته ولم يلبسه . رأى أحد الشياطين أن سليمان قد نسي أن يلبس خاتم الحكم ، فتشكّل الشيطان في صورة سليمان عليه السلام وذهب إلى زوجة نبي الله ، وأخذ منها الخاتم ووضعها في أصبعه ودخل إلى الغرفة الزجاجة ، فلم يحترق لأن الخاتم حماه من الحريق ، فجلس على عرش سليمان يأمر الإنس والجن .

عاد سليمان مسرعاً إلى زوجته وقد تذكر أنه نسي خاتم ملكه وطلب منها الخاتم .

**فقلت :** لقد أخذته منى منذ ساعة ، إنك لست بسليمان .

عرف نبي الله أن الشيطان قد استولى على خاتم الملك والحكم ، وعرف أن ربّه يبتليه ، فصبر على حكم الله بصبر الأنبياء ، وشكر لله واستغفره ورضى بحكمه ، فهو كمنبي يعرف أن الله هو المعزّ المذلّ ، سبحانه وتعالى ، يهب الملك لمن يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء وهو على كل شيء قدير ، وعلى العبد المؤمن أن يرضى بكل ما يبتليه به الله .

أراد الشيطان أن يتتقم من سليمان عليه السلام بعد أن جلس على كرسيه ، فأملى على كاتب سليمان وصديقه آصف بن برخيا أقوالاً أسماها : ذخائر كنوز العلم ، وهى تصف علاجاً لكل داء . كتب : من أراد أن يفعل كذا فعليه أن يقول كذا وكذا ، ثم دفن تلك الأوراق فى صندوق سليمان عليه السلام الذى أخفاه تحت عرشه .

تمتع الشيطان فترة وهو يلبس خاتم سليمان ، يأمر الجن والإنس . نادى الطيور لكى يأمرها . عرفت الطيور أن الجالس على كرسيّ سليمان عليه السلام ليس بالنبيّ الذى يعرف لغتهم . أخذت الطيور تنقره حتى خرقت جسده وقتلته ، فكان مليئاً بالثقوب وهو يرقد على العرش لا حياة فيه . وعرف الناس والجنّ أن الذى كان يأمرهم ليس بالنبيّ . ذهب سليمان عليه السلام فدخل غرفته فلبس خاتمه وصلى شكراً لله ، فردّ إليه الله الملك ، ودانت له بالطاعة كل الطيور والدواب والإنس والجنّ والشياطين .

\*\*\*\*\*

قرر سليمان عليه السلام إعادة بناء مسجد بيت المقدس الذى كان يعقوب عليه السلام قد بناه ، فجده وزينه شاكرًا لله نعمه . وكان من بركته عليه السلام أن تنبت فى بيت المقدس شجرة كل يوم ، فيسألها عن اسمها وفائدتها كدواء أو طعام ثم يغرسها . نبتت يوماً شجرة ، سألها سليمان عليه السلام عن اسمها .

فقالت له : إن اسمها الخربة .

فسألها : لآى شىء نبتت .

فقالت : لخراب بيت المقدس .

قال سليمان عليه السلام : ما كان الله ليخربه وأنا حيّ . أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس .

دخل سليمان عليه السلام إلى محرابه فى غرفة الزجاج ، وقد عرف أن أجله قد اقترب .

ظل يتعبد ويصلي لله عز وجل، ثم دعا يقول : اللهم أعمى الجنّ عن خبر موتي ؛  
حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب .

واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة سليمان عليه السلام ، فأماته الله واقفا  
مستنداً على عصاه ، وظل هكذا لمدة سنة ، حين انتهت دابة الأرضة من  
أكل منسأته فسقط نبيّ الله على الأرض من ثقل جسده ، فعرف الناس أن  
الجن لا يعلمون الغيب .

لم يتم سليمان عليه السلام ستين سنة من عمره ، فتولّى الملك بعده ابنه  
رحبعام لمدة سبع عشرة سنة ، ثم تفرقت مملكة بني إسرائيل .

\*\*\*\*\*

(٣٢)

تَبِعْ وَقَوْمَهُ

جمع الجدّ أحفاده حوله فى غرفته كعادته كل مساء ، وأجال النظر فيهم فرأى كلاً منهم يمسك بمصحفه استعداداً للقراءة .

**قال لهم :** قصة اليوم من أحسن القصص يا بنى ، تدور حول أحد ملوك اليمن . وما أكثر قصص القرآن الكريم عن هؤلاء القوم . آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا وبعدها كفروا إلى أن شرح الله صدورهم لدين الحق بعد بعث النبىِّ محمد ﷺ ، فأسلم أهل اليمن وكانوا سنداً للإسلام . ولا تنسوا أبداً أن قبيلتي الأوس والخزرج هما أصلاً من اليمن . هم الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ .

مرّت لحظة من الصمت ، كان الشيخ يفكر فى كيفية الحديث مع أحفاده .

**قال لهم :** تولّى ملك اليمن ملك شديد البأس يدعى حسّان بن بُبّان . اشتدّ ملكه وعظم سلطانه ، وأصبح لليمن فى عهده جيشاً قوياً يحسب له ألف حساب . اتسعت مملكته وكثرت رعاياه ، وأسماء رعاياه تُبّع . مشى بجيشه فى الأرض يفتح البلاد حتى وصل إلى وسط قارة آسيا وفتح سمرقند . كانت اليهودية قد اختفت من اليمن مع مرور الزمن ، كما أخبرتكم ، فعاد القوم إلى الوثنية يعبدون الأصنام والنار . وكان قوم تُبّع ينتشرون فى كل أنحاء الجزيرة ، وأبقوا على الصلات بين أهل اليمن وبين قبيلتي الأوس والخزرج .

**استأنف الشيخ حديثه فقال لأحفاده :** خرج تُبّع مع جيشه يوماً فى طريقة إلى بلدة الحيرة بالجزيرة العربية ، فمر بمدينة يثرب ، لكنه لم يدخلها . طلب منه أحد أبنائه أن يذهب إلى يثرب ليعيش فيها فسمح له . ومرت الأيام وعلم تُبّع أن ابنه قد قتل فى يثرب . قتله رجل من بنى عدى بن النجار يقال له : أحمر ، أقسم تُبّع أنه سوف ينتقم من أهل يثرب ويخربها ويقطّع نخلها .

والآن . افتحوا مصاحفكم على سورة الدخان وليقرأ أحدكم الآية ٣٧ .  
قرأ حفيد بعدما استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ  
تَبَعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم .  
قال الجذ : أحسنت يا ولدى ، والآن تبدأ قصة الملك اليمنى تبع .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، لم يمض وقت طويل على مقتل ابن تبع ،  
حين استغاث قوم من الأوس والخزرج بالملك تبع لكى ينصرهم على قوم  
من يهود يثرب لم يحافظوا على عهودهم معهم . انتهزها تبع فرصة مناسبة  
جاءته من السماء لكى يبرّ بقسمه فى الانتقام من أهل يثرب . سار الملك تبع  
بجيشه فى طريقه إلى يثرب ليأخذ بثأره لمقتل ابنه .

وصل تبع إلى حدود يثرب ، فخرج إليه رجال المدينة لقتاله ، وهم  
يدركون أنه جاء غازياً ينوى الانتقام من أهلها . استمر القتال بين الجانبين  
أياماً . كان أهل يثرب يقاتلون صباحاً ، ثم يضيّفون تبع وجيشه ليلاً ،  
فيرسلون الطعام والماء إليه . ويطلع الصباح فى اليوم التالى فيحاربونه حرباً  
ضارية ، فإذا جاء الليل بعث أهل يثرب بالطعام والماء إليهم . ذهب حبران  
من أحبار اليهود من أهل يثرب ، من قبيلة بنى قريظة ، وطلبا لقاء تبع .

فقالا له : أيها الملك العظيم ، ماذا تريد من يثرب ؟

قال لهما تبع : أريد أن أخرب مدينتكم وأقطع نخلها انتقاماً منكم .

قال له الحبران : لا تفعل ذلك أيها الملك ، إنك إن صممت على ما تريد  
حيل بينك وبينها . إننا لا نأمن عليك من عاجل العقوبة .

قال الملك تبع بتعجب : ما هو السبب فى قولكم هذا ؟

قال له الحبران اليهوديان : يثرب هى البلدة التى يهاجر إليها نبيّ اسمه أحمد ،  
يخرج من هذا الحرم عند قریش فى آخر الزمان ، وتكون هذه البلدة داره .

تعجب تبع مما سمعه من الحبرين ، فظل يحاورهما فى كل الأمور . فى دينهم وفى شريعة موسى عليه السلام ، فأعجبه حديثهما ، فقرر أن يسلم لله على شريعة موسى عليه السلام ويتبع الدين اليهودى . قرر الملك تبع أن لا يستمر فى حرب أهل يثرب وأن ينصرف عنها .

\*\*\*\*\*

سار الملك تبع مع جيشه مبتعداً عن يثرب فى طريقه عائداً إلى اليمن . اقترب من مكة ، فأقام معسكره بجوارها . خافت القبائل المحيطة ببيت الله الكريم من وجود تبع وقومه بجواره . عرفت القبائل العربية أن من يريد البيت العتيق بسوء فإن الله سبحانه وتعالى يهلكه . فذهب إلى تبع وفد من قبيلة هذيل ، الذين يعرفون ذلك الأمر .

فقالوا له : أيها الملك ، هل نذلك على بيت به مال وفير أغفلته الملوك قبلك ؟ فيه اللؤلؤ والزبرجد والذهب والياقوت والفضة .

قال لهم تبع : نعم أريد ، وأين ذلك الكثر ؟

قال له قوم هذيل : بيت فى مكة يعبد أهلهما ويصلون عنده .

لعب الشك من كلام القوم فى صدر تبع ، فبعث إلى الحبرين اليهوديين فى يثرب ، وطلب حضورهما إليه سريعا .

سألهم عندما جاءا إليه : هل ما قاله لى قوم هذيل صحيح ؟

قال الحبران : أراد القوم هلاكك وهلاك جيشك . لقد اتخذ الله لنفسه هذا البيت على الأرض ، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن كل من معك .

قال لهما تبع : ما الذى تأمرانى أن أصنع إذا أنا أقدمت عليه ؟

قال اليهوديان للملك تبع : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه . تحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من بيت الله الكريم .



فكرتبع قليلا، ثم سأل الحبرين : وما الذى يمنعكما من عمل ما توصيانى به ؟  
 قال الحبران : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه كما أخبرناك . لكن أهله  
 حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حول البيت ، وبالدماء التى أراقوها  
 عنده . وقومه أهل شرك بالله .

\*\*\*\*\*

بعث الملك تُّبَّع إلى القوم من هُذيل الذين أشاروا عليه بسرقة بيت الله  
 الحرام ، فجاءوا إليه مسرعين ، فرحين وقد اعتقدوا أنه انتوى فعل ما  
 أشاروا عليه به ، فيهلك ويتخلصون منه ومن جيشه . دخلوا عليه ، فأمر  
 بقطع أيديهم وأرجلهم ، وتركهم فى الصحراء . سار تُّبَّع وجيشه حتى  
 وصل إلى مكة ، فأقام بها ستة أيام ، ينحر الذبائح للناس ويُطعم أهلها  
 ويُسقيهم العسل .

دخل تُّبَّع إلى الحرم الشريف فطاف بالبيت وحلق شعر رأسه وفعل  
 مثلما أمره الحبران . رقد تُّبَّع بجوار الحرم ليستريح ، فرأى فى منامه أنه  
 يكسو البيت الحرام . قام من نومه وأمر بكسوة صنعت من الخوص والليف .  
 غفا مرة ثانية ، فرأى فى منامه أنه يكسوه بكسوة أحسن من تلك التى كساه  
 بها . فأمر بكسوة أثقل من سابقتها . نام تُّبَّع فرأى فى منامه أن يكسو البيت  
 بأحسن من ذلك ، فكساه بالنسيج الموشى بالذهب والفضة الذى تشتهر به  
 اليمن .

تجهَّز تُّبَّع للعودة إلى اليمن بعد تعظيم البيت ، وطلب من الحبرين  
 اليهوديين أن يذهبا ويعيشا معه فى اليمن لتعليم الناس بها طقوس ديانتهم  
 اليهودية ، فقبلا ذلك . وعاد تُّبَّع وجيشه إلى بلادهم سالمين .

\*\*\*\*\*

نظر الجد إلى أحفاده وقال لهم : تلك كانت قصة الملك حسان بن تبيان الذي حكم  
اليمن وسُمِّيَ تَبَّع . قيل في أمره : إن الله سبحانه وتعالى ذمَّ قومه ولم  
يذمه . وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لا تسبوا تَبَّعًا فإنه قد كان رجلاً  
صالحاً .

\*\*\*\*\*



(٣٣)

أهل الجنة وأهل النار

اتخذ الأحفاد جلساتهم حول جدّهم كعادتهم ، يستعدون لسماع قصة جديدة من قصص القرآن الكريم ، أحسن القصص ، التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على البشر ؛ ليأخذوا منها العبر ولكي يتعلموا منها ما ينفعهم في حياتهم الدنيا ، فينهجوا الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله عزّ وجلّ لعباده ، حتى يفوزوا بالجنة إن شاء الله .

**رخب بهم جدّهم، ثم قال :** أرجو أن تكونوا قد استفدتم من أحسن القصص التي أنزلها ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، وعرفتم المغزى من ورائها . الحياة الدنيا يا بنيّ قصيرة . إنما الآخرة هي الباقية . إما الجنة وإما النار . من يعمل صالحاً في حياته الدنيا فلينتظر مكافأة الله عزّ وجلّ له في الآخرة . ومن نسي ما ذكرنا به ربنا من العمل الصالح في حياته واتّبع وسوسة الشيطان فبئس ما ينتظره من عقاب في الآخرة ، والعياذ بالله .

**انتظر الجد قليلاً ثم قال لأحفاده :** لم يترك الله سبحانه وتعالى عباده دون أن يبين لهم آخرة كل طريق من الطريقين . بعث لهم بالأنبياء والرسل ليوضحوا لهم نهاية كل طريق ، عسى أن يهتدى البشر فيتجهون في حياتهم إلى اتّباع الطريق المستقيم . ولقد أنزل الله عزّ وجلّ في سورة التحريم ، مثلاً لأهل الجنة ، وآخر لأهل النار والعياذ بالله . حكم الله بعزّته على أولئك الذين ضرب الله بهن المثل في دخول الجنة أو في البقاء في النار والعذاب ؛ لنعرف نحن الذين لا زلنا نعيش في الحياة الدنيا أن لكل طريق نهاية ، وعلينا أن نختار . إما الجنة وإما النار .

**قال الجد بعد أن أشار إلى أحد أحفاده :** اقرأ لنا يا ولدي في سورة التحريم من الآية ١٠ إلى الآية ١٢ .

قرأ الولد بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ

فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ \* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿٢٨٤﴾  
صدق الله العظيم .

**قال الجعد :** أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى تلك الآيات الكريمات أن زوجة سيدنا نوح عليه السلام وزوجة سيدنا لوط عليه السلام هما المثل الذى ضربه الله بعزته لنا فى الذين يدخلون النار نتيجة خيانتهم لزوجيهما . والخيانة هنا هى خيانة فى الدين ، ففساء الأنبياء عليهم السلام معصومات عن الفواحش حرمة الأنبياء . كانتا تخونان زوجيهما فى دعوة الإيمان ولا تساعدانهما فى نشر رسالة التوحيد التى كانا يدعوان إليها . أما المثل الذى ضربه الله بعزته لنا عن أهل الجنة ، فهما السيدة آسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، والسيدة العذراء مريم بنت عمران عليها السلام . دعونا نبدأ القصة .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، كان رسول الله نوح عليه السلام رجلاً حكيماً صابراً محتسباً لله سبحانه وتعالى ، مثله مثل كل الأنبياء عليهم السلام . رأى قومه يعبدون الأصنام فانتشر الكفر والإشراك بالله العلى العظيم فى الأرض التى يعيشون عليها . واصطفاه الله من خلقه فأوحى إليه نبياً ليهدى قومه إلى الحق . لم يتأخر نوح عن تلبية أمر ربه عز وجل ، فبدأ يدعو الناس إلى عبادة الله خالق السماوات والأرض ، ونبذ الشرك به ، والكف عن عبادة الأصنام التى صنعوها بأيديهم بعد وسوسة الشيطان لهم بعبادة أجدادهم الذين ماتوا : ودّ وسواع ونسرا ، وغيرهم من الأصنام التى أسموها على أسماء أسلافهم ، فنسوا ذكر الله وعبادته .

لقى نوح ﷺ من قومه التجريح والتسفيه لآرائه ، وتهديده لهم بأن الله سوف يعاقبهم على كفرهم . لكن هناك من البشر من آمن برسالة نوح ﷺ واتبعوا ما يقوله لهم ، فكان الكفار يضطهدونهم ويعذبونهم . طلب كبراء القوم من نوح أن يبعد عنه الفقراء الذين آمنوا بدعوته فاتبعوه ، لكنه رفض . يقول لهم أنه رسول من عند الله فيستهزئون منه . وتلقى نوح ﷺ أمر ربه بأن يبدأ فى صناعة السفينة العظيمة ؛ لأن الله بعزته وجلاله قرر عقاب الكافرين . فكان نوح يبنى الفلك والكفار يضحكون منه ، لكنهم كانوا يخافون من نوح لمعرفتهم بأصله وكريم منبته ، فتركوه . أما الفقراء المؤمنون الذين اتبعوه فكان المشركون يعذبونهم ويضطهدونهم ، فيطلب نوح منهم أن يصبروا ، يعدمهم بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينصرهم .

آمن بدعوة نوح ﷺ ثلاثة من أبنائه : سام وحام وياث . بينما رفض ابنه الرابع يام أن يؤمن ، وسار مع الكافرين فى طريق الشرك . كذلك رفضت زوجة نوح ﷺ أن تؤمن بما يقوله زوجها ، بل اتهمته بالجنون . أشاعت بين القوم بأن زوجها نوح قد جنّ وفقد عقله ، فيقول ما يقول عن العذاب . وزادت زوجة نوح ﷺ فى كفرها ، فكانت تُخبر المشركين بأسماء الناس الذين يؤمنون بنوح ، فيقوم الكفار بتعذيبهم لمحاولة إعادتهم إلى حظيرة الكفر ، والخروج على طاعة نوح ﷺ .

عقاب الكفر بالله العظيم شديد . كان عقاب امرأة نوح ﷺ هو حكم الله عليها بدخول النار جزاء الكفر والخيانة لدعوة زوجها النبي ﷺ ، فأغرقها الله مع المغرقين ومعها الكافر يام بن نوح الذى رفض الإيمان برسالة أبيه ﷺ .

\*\*\*\*\*

قال الجد لأحفاده : هذا ما كان من خيانة امرأة نوح ﷺ لزوجها فى دينه . والآن جاء الدور على توضيح خيانة زوجة سيدنا لوط ﷺ لزوجها فى دينه

وعقيدته ، واتباعها سبيل الكافرين ، ورفض نصحه لها بترك ما كان أهل  
الشرك والفجور يفعلونه .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عاد لوط عليه السلام مع عمّه إبراهيم الخليل من  
مصر ، وأقام معه فى أرض حبرون . ولما اختلف رعاة وعبيد لوط عليه السلام مع  
رعاة وعبيد إبراهيم الخليل عليه السلام سأل لوط عليه السلام عمّه أن يسافر إلى مدينة  
سدوم حتى لا يفسد الرعاة والخدم العلاقة التى تربطهما معا . وافق الخليل  
عليه السلام ، فسافر لوط وأهله إلى سدوم ، أكبر وأجمل البلاد فى ذلك  
الوقت ، والتى أنعم الله عليها بالخير ، فامت زروعها وأشجارها .

عندما استقر لوط فى المدينة ، اكتشف عليه السلام أن أهل تلك المنطقة كانوا  
من أفجر خلق الله ، وأكثرهم كفراً ، وأردأهم سيرة وسريرة . كانوا يقطعون  
السبيل على كل من يمرّ ببلدتهم . كانت لهم أندية يقعدون فيها ، ويأتون  
فيها بكل أنواع المنكر بلا حياء . وابتدع أولئك الفجار فاحشة لم يسبقهم  
إليها أحد من بنى آدم ، فكانوا يأتون الذكور من الناس ، وتركوا النساء  
اللاتى خلقهن الله لا يقربوهن .

سارع لوط عليه السلام بدعوة الناس إلى الكفّ عن تلك المحرمات والفواحش  
والمنكر والفعل القبيح الذى ابتدعوه ، يدعوهم لعبادة الله والتمسك  
بالأخلاق الكريمة ، ويحذّرهم من سوء العاقبة إن هم استمروا على فعلها .  
لم يؤمن بكلام لوط عليه السلام ولا رجل واحد ، بل على العكس ، همّوا  
بإخراج النبىّ لوط عليه السلام من بلدتهم لولا أنهم يعرفون أن عمّه هو إبراهيم  
ال خليل . تركوه فى بلدتهم وحذروه من أن يستضيف أىّ رجل فى بيته .

كانت عائلة لوط عليه السلام تتكون من زوجته واعلة وابنتيه . وكانت واعلة  
من الكافرين ، لا تتبّع الدين الذى يدعو إليه زوجها لوط عليه السلام ، بل كانت  
تساعد أهل البلدة وتخبرهم بكل ما يفعله لوط عليه السلام أو يقوله . فإذا زاره  
أحد الرجال فى بيته للاستماع إلى نصحه قامت واعلة بإشعال نار خلف

البيت ، فيعرف الفاسقون أن لدى لوط رجلا بالبيت . فيسارعون إلى الذهاب إلى بيت لوط ويأخذون الرجل .

لم يكفّ لوط عليه السلام عن دعوته للناس في سدوم بالاستقامة والبعد عما يغضب الله ، فتحدّى الكافرون نبيّهم في أن يأتي بما حذرهم منه فيريهم العذاب الأليم ، فدعا عليهم نبيّهم بأن ينصره الله على القوم الفاسقين . غضب الله سبحانه وتعالى لغضب نبيّه لوط عليه السلام ، فاستجاب لدعوته وأرسل الله سبحانه ثلاثة من رسله الكرام من الملائكة إلى سدوم في صورة شبّان حسان ، اختباراً من الله تعالى إلى قوم لوط . استضافهم لوط عند غروب الشمس وهو يحسبهم بشراً غرباء . جاءوه في أرضه التي يعمل بها وسألوه أن يستضيفهم ، فاستحيا منهم ، فأبقاهم حتى غروب الشمس ثم اصطحبهم إلى بيته ، وهو يردد على الملائكة أن أهل سدوم هم أخبث الناس على وجه الأرض . رأى الملائكة عليهم السلام تردد وخوف لوط عليه السلام فأخبروه بأنهم ملائكة ، بعثهم الله .

دخل لوط والملائكة عليهم السلام البيت ، ورأت واعلة زوجة لوط عليه السلام الملائكة في صورة الشبّان فسارعت وأشعلت النار ؛ علامة وجود الرجال بيت لوط ، فجاء الرجال يحيطون ببيت النبيّ ، فخرج سيدنا جبريل عليه السلام وأزال عيون الرجال الكفرة، وخرج لوط وأهله من سدوم كما أمره الملائكة، ولم تخرج معه واعلة ، بقيت في القرية الظالمة .

**قال الجدي خايط أحفاده :** تعرفون يا أولادى ما فعلته الملائكة عليهم السلام بالمدينة وأهلها . قلبوا المدينة وقُتل كل من فيها من البشر والدواب ثم أمطرت على الناس حجارة ، وجعل الله مكان سدوم بالقرى السبع التي تضمها بحيرة ننتة لا ينتفع بمائها ؛ لتكون عبرة وعظة وآية من الله سبحانه وتعالى على قدرته وعظمته جلّ جلاله . كان ما حدث لمدينة سدوم هو الدليل على انتقام الخالق عزّ وجلّ ممن يخالف أمره ويكذب رسله عليهم السلام .



نظر الجد إلى الأحفاد وقال لهم : هذا ما كان من أهل النار ، حكم الخالق سبحانه وتعالى على الزوجتين الخائنتين بأنهما من أصحاب النار جزاء الخيانة والكفر بالله ، وبنعمة وجودهما مع نبيّن صالحين .

\*\*\*\*\*

والآن لنرى أصحاب الجنة . بسم الله الرحمن الرحيم ، تزوج فرعون من السيدة آسية بنت مزاحم ، وكانت من المؤمنين بشريعة إبراهيم عليه السلام . عندما ولد موسى عليه السلام وقذفت به أمه فى اليمّ فحمله تيار الماء بأمر الله سبحانه وتعالى إلى بيت الفرعون فرحت به السيدة آسية ، ولم ترضعه سوى أمه بتدبير الله عزّ وجلّ لتقرّ عينها كما وعدّها به الله فى وحيه لها سبحانه عندما وضعت فى اليمّ .

تعهدت امرأة فرعون موسى بالرعاية فى قصر الفرعون ودافعت عنه عندما أراد الفرعون قتله وهو طفل صغير بعدما شدّ شعر ذقن فرعون . أسرعّت السيدة آسية وجاءت بآنية فيها لؤلؤة وجمرة فحم متوهجة ، وقدمتهما للطفل موسى أمام فرعون ، فأخذ موسى الجمرة ووضعها على لسانه فصرخ وبكى . أفهمت امرأة فرعون زوجها أن موسى طفل لا يفهم شيئاً ، فقرر الفرعون أن يتركه . كانت لسعة الجمرة هى السبب فى لشغة لسان نبيّ الله الكريم عليه السلام طوال حياته .

تعهدت زوجة الفرعون موسى عليه السلام بالرعاية والتربية فى قصر فرعون ، حتى شبّ وصار رجلاً ، وحدث له ما حدث من قتله للمصرى وهروبه من مصر إلى مدين وتزوجه ، ثم بعثه الله نبياً لبنى إسرائيل لإخراجهم من مصر ، فكلّمه الله سبحانه وتعالى وأيده بأخيه هارون عليه السلام نبياً ليشد من أزره فى دعوته للإيمان بالله إلهاً واحداً لا شريك له .

عاد موسى إلى مصر بأمر ربّه ، وفرحت امرأة فرعون بعودته ، وآمنت برسالته . عندما واجه موسى عليه السلام السحرة وألقى بعصاه التى أحالها الله إلى ثعبان ضخّم التقم كل الحبال والعصى التى يحرّكها السحرة وكأنها ثعابين ،

سجد السحرة لله مؤمنين بالخالق العظيم .

سألت السيدة آسية : من الذى انتصر ؟ موسى أم السحرة ؟

قالوا لها : انتصر موسى .

قالت امرأة فرعون : آمنت برب موسى وهارون .

عرف فرعون بأن زوجته قد آمنت بدعوة موسى ﷺ ، فقرر تعذيبها حتى تترك ما ينادى به موسى . كان يضعها فى الشمس المحرقة وهى مقيدة بالسلاسل . فإذا انصرف عنها كانت الملائكة تظللها بأجنحتها بأمر ربهم جل شأنه ، وكانت ترى بيتها فى الجنة . فقد دعت الله أثناء تعذيبها بأن يبنى لها بيتاً فى الجنة ، وأن ينجيها من فرعون وجنوده الظالمين وما يفعلونه بها لتعذيبها .

رفضت السيدة آسية امرأة فرعون أن ترجع عن إيمانها بالله ، رغم كل التعذيب الذى مارسه عليها قوم فرعون . قرر فرعون أن يضع صخرة كبيرة فوق صدرها ، فإن رجعت عن قولها بالإيمان برب موسى أعادها زوجة له ، وإن رفضت فليتركوا الصخرة فوق صدرها . نظرت امرأة فرعون إلى السماء ، فرأت البيت الذى أعده الله لها فى الجنة ، فابتسمت وشكرت ربها ، ثم أسلمت الروح .

قال الجد لأحفاده : تلك كانت قصة امرأة فرعون المؤمنة . وما بشرها به الله من بيت فى الجنة . والآن إلى قصة السيدة العذراء عليها السلام .

\*\*\*\*\*

تعلمون جميعاً كيف ولدت السيدة مريم بعد أن نذرت أمها ما فى بطنها ليكون خادماً للمسجد . وأن أمها أنجبت أنثى ولم تنجب ولداً كما تمتت . برت الأم بوعددها لله سبحانه وتعالى ووهبت ابنتها مريم إلى المسجد لتخدمه . وتعلمون أيضاً أن زوج خالة مريم النبى زكريا ﷺ هو الذى تعهد بتعليمها الدين . ولما رأى العلماء والأخبار البركة التى تحيط بالطفلة التى

أعازها الله سبحانه وتعالى من الشيطان تنازعوا على من يكفلها ؛ لينالوا من بركتها . لكن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره دائما ، فكان زكريا عليه السلام هو الفائز من اقتراع الأحبار بكفالة مريم عليها السلام .

اختار الله سبحانه وتعالى مريم ، ثم طهرها من كل إثم ، ثم فضلها على نساء العالمين . صفا قلبها لعبادة الله والتهجد له سبحانه ليل نهار ، فأجرى الله أمامها المعجزات الملموسة لها . جاءها الرزق من عند الله . كانت تجد أمامها فاكهة الشتاء فى وقت الصيف ، وتجد أمامها فاكهة الصيف فى أشد أيام الشتاء برداً ، فاشتد إيمانها بالخالق العظيم سبحانه وتعالى .

وجاء امتحان الله لها ، فبعث لها بسيدنا جبريل عليه السلام ليبشرها بأن الله قدّر لها أن تحمل فى بطنها السيد المسيح دون أن تتزوج ، وأن الله سيجعل ابنها آية لليهود . لم تعترض مريم على إرادة المولى بل تحمّلت صابرة محتسبة لله سبحانه وتعالى . أهانها اليهود عندما وضعت طفلها السيد المسيح عيسى ابن مريم ، رغم ما رأوا آية كلامه وهو طفل فى المهد .

حملت ابنها وسافرت إلى مصر خوفاً عليه من القتل ، وعاشت سنوات فى مصر تحمى ابنها الرسول حتى عادت معه إلى بيت المقدس ليبشر بدعوة التوحيد والإسلام بين اليهود الذين طغوا ونسوا الدين الذى جاء به سيدنا موسى عليه السلام .

أدى المسيح ما أمره به الله عز وجل من الدعوة حتى خانه الحواريون بقصد تسليمه لليهود ليقتلوه ، فرفعه الله عز وجل بعد وفاته إلى السماء ، وألقى شبه المسيح على أحد الحواريين ، فقام اليهود بصلب شبهه المسيح . كانت السيدة مريم عليها السلام تركع تحت قدمي المصلوب ، تحسبه ابنها السيد المسيح ، حتى بعث الله لها بسيدنا جبريل عليه السلام يبشرها بأن المصلوب ليس بالسيد المسيح ، فقرّت عينا العذراء ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال الجدل لأحفاده : الفرق كبير بين أهل الجنة وبين أهل النار . ما أسهل سلوك طريق الجنة إذا ما آمن الإنسان بالله العظيم فسار على الطريق الذي ارتضاه الله لنا يوم خلقنا عزّ وجلّ . لكن هذا الطريق يحتاج منا إلى جانب الإيمان بالصبر والعمل الصالح النابع من القلب . وما أسهل الطريق إلى النار إذا ما اتبع الإنسان طريق الشيطان واستمع إلى وسوسته التي تقود الفرد إلى الكفر بالخالق وبنعمه .

أرجو أن تكونوا يا أولادى قد فهمتم ما أقصده من حديث ، وأن يوفق الله كل المسلمين فى اتباع الطريق السوى الذى بيّنه الله لنا .

\*\*\*\*\*

التف الأحفاد حول جدّهم ومع كل منهم مصحفه . رحّب بهم الجدّ الشيخ ، ثم سألهم عن أحوالهم وقراءاتهم . أجاب على تساؤلاتهم بصدر رحب . سكت للحظات ، فلاحظ تملّلمهم وكأنهم يخافون أن لا يقص الشيخ عليهم قصة كعاداته .

**قال لهم الشيخ :** أنزل الله عزّ وجلّ أحسن القصص كما تعلمون . وكلام الله سبحانه وتعالى لا ينتهى ، له الحمد والشكر على نعمة الإسلام وعلى حلاوة الإيمان . وكتاب الله زاخر بالعلم وبتيان قدرة المولى سبحانه وتعالى وفضله على البشر وغيره من المخلوقات . أعطانا الله العقل دونًا عن باقى خلقه تكريمًا لنا ، وعلينا أن نستخدم هذا العقل فيما ينفعنا . ولا ينفعنا فى هذه الحياة إلا رضا خالقنا سبحانه وتعالى علينا . وكيف يرضى الله علينا ؟ بأن نطيع ما أمر به ، وأن نمتنع عن فعل ما يُغضب الخالق العظيم سبحانه وتعالى ، فنمتنع عمّا نهانا عنه .

**قال لهم الجد بعد لحظات :** حديثنا اليوم إن شاء الله عن ركن هام من أركان ديننا الحنيف ، موضوع الزكاة . ولقد شدّد الله على المسلمين أن يؤدّوا الزكاة فى موعدها دون انتقاص منها . فرض الله الزكاة وجاء ذكرها بعد الصلاة وقبل الصيام وحج البيت من استطاع إليه سبيلا . وهذا يدلنا على أهمية أداء الزكاة . زكاة المال وزكاة الزروع وزكاة الأنعام . وأود أن أوكد لكم يا أولادى أن الزكاة لا تُنقص المال ، بل إن الله عزّ وجلّ يبارك فى مال مؤدّى الزكاة .

**قال الشيخ بعد لحظة، وقد انتبه الأحفاد لحديث جدّهم :** قصة اليوم عن الأشقاء الذين حاولوا التحايل على حق الله سبحانه وتعالى ، فحاولوا التهرب من إخراج الزكاة عن الثمار ، التى أمرنا الله أن نخرجه وقت حصاد المحصول ونعطيها لمن يستحقها من الفقراء . سوف نرى أن الله اختبرهم ، ولما طمعوا فى مال الله حرمهم الله من كل المال الذى كانوا ينتظرونه ، بل أضاع الله عليهم ما صرفوه من قبل على الزرع .

وأشار الجد إلى أحد أحفاده وقال له : اقرأ لنا يا ولدى فى سورة القلم من الآية ١٧ إلى الآية ٢٩ .

قرأ الفتى بعد أن استعاذ من الشيطان الرحيم : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ \* وَلَا يَسْتَنُونَ \* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ \* فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ \* فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ \* أَنْ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ \* فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ \* أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ \* وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ \* فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ \* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ \* قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

نظر الجد إلى أحفاده وقال لهم : لا تعتقدوا يا أولادى أن الزكاة فُرِضت على المسلمين من أتباع محمد رسول الله ﷺ فقط . إن الدين عند الله الإسلام . فاليهودى مسلم على شريعة موسى عليه السلام ، والنصرانى مسلم على شريعة عيسى عليه السلام ، ونحن المسلمين على شريعة محمد ﷺ . الدين عند الله واحد . هو الإسلام لله عز وجل .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، رزق الله سبحانه وتعالى رجلاً صالحاً من أهل الكتاب ، يعيش فى أرض الحبشة ، رزقاً حسناً . وهبه الله أرضاً تحولت ببركة ربه إلى بستان مثمر يفيض بالخير والبركة . وهبه الله ثلاثة أبناء من الذكور . كان ذلك الرجل الصالح قد تعود أن يستغل بستانه استغلالاً حسناً ، يفهم حق الله سبحانه وتعالى ، ويطبّق ما أمر به الله عز وجل . يأخذ ما يحتاجه من نتاج الأرض لطعامه ، ويدّخر لأولاده قوتهم طوال العام ، ثم يتصدّق على الفقراء والمحتاجين بما يفيض من الرزق . مات الرجل الصالح ، وورثه أبناؤه . رأوا البستان الذى آل إليهم .

**فقال أحدهم لإخوته :** لقد كان أبونا أحمق . لا أدري لماذا كان أبونا يعطى الفقراء دائما من إنتاج هذا البستان ؟

**فقال أخ ثان لإخوته :** لو منعنا إعطاء الفقراء ما كان أبونا يعطيهم ، لتوفر لنا بلا شك الكثير من المال .

**فقال الثالث :** علينا أن نتفق جميعا على رأى واحد .

جلس الأخوة الثلاثة ، يتناقشون ويبحثون فى أمر البستان الذى ورثوه عن أبيهم وطريقته فى توزيع ثمار الحديقة . قرروا أن لا يعطوا الفقراء شيئا مما ينتجه البستان الملىء بالثمار . ينظرون إلى الثمار الوفيرة المتدلية من الشجر ، ويشعرون بالسعادة بعد أن قرروا أن يكون كل هذا المحصول من نصيبهم وحدهم .

**سأل أحدهم إخوته :** كيف نفعل ذلك ؟ إننا إذا بدأنا فى جمع الثمار أثناء النهار فلسوف يرانا الفقراء فيأتون سريعا إلى البستان لينالوا حظهم من الثمار كما عودهم أبونا من قبل ؟

**قال الأخ الثانى :** بالفعل ، كيف نسينا هذا الأمر ؟ علينا أن نجمع الثمار دون أن يدري أحد بذلك .

**قال ثالثهم :** الأمر بسيط ، نتسلل إلى البستان مع أول ضوء للفجر ، فنجمع الثمار سريعا وبهدوء ، ثم ننصرف .

\*\*\*\*\*

جاء الفجر ، فخرج الأخوة الثلاثة من بيتهم ، يتسللون ، يتحدثون بهمس حتى لا يسمعهم أحد ويجدون السير تجاه البستان ، والفرح يملأ صدورهم .

**قال أحدهم لإخوته :** سوف نتخلص من الفقراء والمساكين اليوم .

**قال له أخوه :** علينا أن نعمل بجد وبسرعة حتى ننتهى من جمع المحصول قبل طلوع النهار .

وصل الأخوة إلى بستانهم . وقفوا أمامه ينظرون فى تعجب . فهم لا يرون إلا كتلة من السواد . تحوّلت الأشجار والفاكهة إلى أخشاب سوداء لا يُنتفع بها .

**قال أحد الأخوة :** هذا ليس بستاننا ، من المؤكد أننا ضللنا الطريق .

**قال أخوه :** لم نضل الطريق ، هذا هو البستان . ما الذى جرى ؟

**قال ثالثهم :** إنه بستاننا بالفعل ، يبدو أننا لما قرّرنا أن نحرم الفقراء من الرزق الذى كان أبونا يعطيهم إياه فقرّر الله بعزّته أن يحرمنا من خير هذا البستان فأحرق جتّنا .

**سكت الأخ الثالث، وكان خيرهم وأعدلهم، ثم قال :** ألم أقل لكم أن تقولوا : إن شاء الله ، عندما قررنا الأمر ولكنكما رفضتما ؟ طلبت منكما أن نشكر الله على ما أعطانا من نعم كثيرة ، فسينا ما أمرنا به الله .

أحس الأخوة بالذنب العظيم الذى ارتكبوه فى حقّ الله سبحانه وتعالى ، وظلّوا يتلاومون ، كل منهم يتهم الآخر بأنه كان السبب فيما أصابهم ، وأنه صاحب فكرة حرمان الفقراء والمساكين من حقّهم من الرزق الذى اعتاد أبوهم أن يعطيه للمساكين ، كما أمر الله عزّ وجلّ .

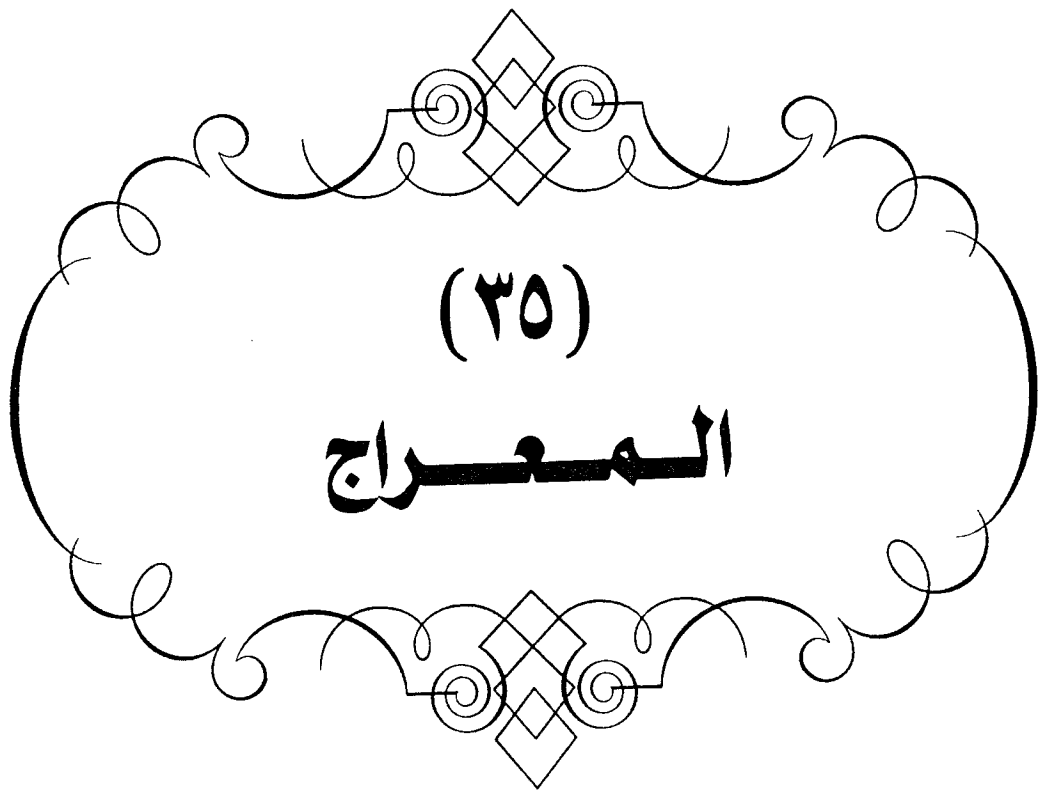
**قال أحدهم :** لقد كنا من الظالمين .

وقرر الأخوة وتعاهدوا أن لا يعودوا إلى إنكار حق الفقراء والمساكين مرّة أخرى . استغفروا ربّهم على ما بدر منهم ، ويسألون الله العلىّ القدير أن يعطيهم خيراً من البستان الذى احترق ، بعد توبّتهم عن المعصية ومخالفة أمر الله والتحايل على عدم تنفيذه ، والتى أدّت إلى ضياع ثروتهم نتيجة بخلهم وشحّهم وإنكار حق الله سبحانه وتعالى فى إعطاء الزكاة عن الثمار الذى يعطيه الله لعباده .



قال الجد يخاطب أحفاده : يحذّرنا الله سبحانه وتعالى في هذه القصة ،  
ويضرب لنا مثلاً ، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى ، من عدم الالتزام بما  
يفرضه علينا من واجبات الإيمان بالله ، في الشهادة بأنه لا إله إلا الله  
محمد رسول الله . وأداء الصلاة في ميقاتها بعد الوضوء ، وأداء الزكاة ،  
وصوم رمضان ثم الحج لمن استطاع إليه سبيلاً . عليكم يا أبنائي أن تلتزموا  
بحدود الله سبحانه وتعالى يجعلكم إن شاء الله على طريقه المستقيم جلّ  
شأنه ، فتستقيم حياتكم . حفظكم الله ، وسدد خطاكم .

\*\*\*\*\*



دخل الأحفاد إلى غرفة جدّهم ، يحمل كل منهم مصحفه معه . سلّموا على الشيخ ، ثم يقبلون يده حبّاً واحتراماً . أحسن الجدّ استقبالهم ودعاهم للجلوس حوله .

**قال لهم :** قصة اليوم حول موضوع لا شك أنكم متشوقون لمعرفة . فهو يخص رسول الله ﷺ . عرفتم كيف أسرى به الله سبحانه وتعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . واليوم نستكمل ما حدث لمحمد رسول الله ﷺ ، عندما أكرمه الله العزيز الحكيم ، فأعرج به إلى السماوات العلا حتى وصل إلى سدره المنتهى . وهى منحة من الخالق عزّ وجلّ ، لم ينلها سوى محمد ﷺ .

تحفّز الأحفاد لسماع ما سوف يقوله الجدّ .

**ابتسم الشيخ وقال :** قبل أن يسرى ويُعرج برسول الله وضعت الملائكة أمام بئر زمزم ، ثم جاء سيدنا جبريل عليه السلام فشق صدر رسول الله ﷺ فغسله بماء زمزم ، ثم أتى بطست من ذهب ملئ بالحكمة والإيمان ، فحشا منه صدره ثم أغلقه . والآن علينا أن نقرأ فى سورة النجم من الآية الأولى وحتى الآية ١٨ ، ثم نستكمل الحديث إن شاء الله .

وأشار الجدّ إلى أحد أحفاده ليقرأ ، فقرأ بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ \* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ \* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ \* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ \* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الجدة: أحسنت يا ولدى ، والآن إلى قصة العروج بسيد الخلق محمد

ﷺ .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، عندما انتهى رسول الله ﷺ من الصلاة إماماً بالأنبياء فى المسجد الأقصى أتى سيدنا جبريل ﷺ بالمعراج . ويقول رسول الله عنه أنه لم ير شيئاً قط أحسن منه ، وهو الذى يمد الميِّتُ عينيه إليه إذا حضره الموت . صعد جبريل الأمين بمحمد رسول الله ﷺ إلى السماء من باب من أبواب السماء ، عليه ملك .

سأل الملك : من هذا يا جبريل ؟

فقال جبريل ﷺ : إنه محمد .

فيقول الملك : أو قد بُعث إليه ؟

فيرد جبريل ﷺ : نعم .

فدعا الملكُ لرسول الله ﷺ بالخير .

دخل رسول الله ﷺ الإنسان بصحبة رسول الله الملك ، إلى السماء الأولى ، فما لقاه ملكٌ إلا ضحك مستبشراً ويقول خيراً . ورأى رسول الله محمد ﷺ ملكاً لم يضحك ، ولم ير منه بشراً .

فسأل جبريل ﷺ : من هذا الملك الذى قال مثل الملائكة لكنه لم يضحك ؟

قال له سيدنا جبريل : لم يضحك لمن قبلك ولن يضحك لمن بعدك . إنه مالك صاحب النار .

قال محمد ﷺ : ألا تأمره بأن يُرينى النار ؟

قال له جبريل ﷺ : بلى ، يا مالك أر محمداً النار .

كشف مالك ﷺ الغطاء عن النار - والعياذ بالله - ففارت النار وارتفعت ، فشق ذلك على النبىِّ .

فقال جبريل عليه السلام : يا جبريل ، مُره فليردها إلى مكانها .  
وأمر جبريل بأن يرد مالك النار إلى مكانها ، فردها مالك ورجعت إلى  
مكانها فوضع الغطاء فوقها .

\*\*\*\*\*

صعد رسول الله ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام في السماء الأولى ، فرأى  
رسول الله ﷺ رجلا كهلا جالساً ، تُعرض عليه أرواح بنى آدم . فيقول  
لبعضها خيراً . ويُسرّ بما رآه ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب .  
ويقول لبعضها : أفّ ، روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

سأل النبي ﷺ سيدنا جبريل عليه السلام : من هذا يا جبريل ؟

قال الروح الأمين عليه السلام : هذا آدم ، تعرض عليه ذريته ليرى أعمالهم .  
رأى الرسول الكريم ﷺ ، رجالا يأكلون ناراً ، فسأل جبريل عنهم .  
فقال له : إنهم كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلماً .  
ثم رأى رجالا جلوساً بطونهم متنفخة ولا يستطيعون الحركة ، فسأل  
عنهم .

قال له جبريل عليه السلام : إنهم أكلة الربا .

ورأى النبي ﷺ رجالا أمامهم لحم طيب ، فيتركونه ويأكلون اللحم  
النتن . سأل رسول الله ﷺ عنهم .

فقال له سيدنا جبريل عليه السلام : كانوا يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ويذهبون  
إلى ما حرمّ الله عليهم منهن .

\*\*\*\*\*

صعد محمد رسول الله ﷺ بصحبة الروح الأمين جبريل عليه السلام إلى  
السماء الثانية ، فرأى ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، فسَلَّمَا  
عليه . ثم صعدا إلى السماء الثالثة فرأى رجلا صورته كصورة القمر ليلة

البدر فسأل عنه ، فقال له جبريل عليه السلام : إنه يوسف بن يعقوب ، فسلم عليه .

صعد الرسولان ، وكلما وصلا إلى سماء يسأل حارسها من الملائكة جبريل : من معك ؟

فيقول جبريل : هذا محمد .

فيسأل الملك : أو قد بُعث له ؟

فيرد الروح الأمين بالإيجاب ، فتفتح أبواب السماء لمحمد صلى الله عليه وسلم . صعد الرسولان إلى السماء الرابعة ، فأخبر جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرجل الجالس أمامه في السماء الرابعة هو إدريس .

وفي السماء الخامسة رأى رسول الله كهلاً أبيض الرأس واللحية ، غزير الشعر ، فسأل جبريل عنه .

فقال له : هذا هو المحبب من قومه هارون بن عمران . فسلم على رسول الله ، وحيّاه .

واستفتح جبريل السماء السادسة بعد أن عرف حارسها الملك أن محمداً قد بُعث إليه ، فرأى فيها كهلاً حسن الوجه ، سلم عليه وحيّاه . وعرفه جبريل بأنه موسى بن عمران عليه السلام ، نبي بني إسرائيل .

وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام إلى السماء السابعة ، فرأى كهلاً جالساً على كرسى بجوار باب البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه أبداً . ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الكهل شديد الشبه به ، فسأل سيدنا جبريل عمّن يكون ؟

فقال له الروح الأمين : هذا أبوك إبراهيم الخليل .

\*\*\*\*\*

أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصعد إلى سدره المنتهى ، وتوقف جبريل عليه السلام قبلها ، فدخلها رسول الله وحده . يقول صلى الله عليه وسلم : « فغشيتُه ضبابة ، فخرّ

ساجداً ، فقليل له : إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة في اليوم » .

فقال رسول الله ﷺ : « لبيك ربّي » .

عاد محمد ﷺ ، فمر به موسى عليه السلام فسأله : كم فرض الله عليك من الصلاة ؟

قال رسول الله ﷺ : خمسون صلاة كل يوم .

قال له موسى عليه السلام : إن الصلاة ثقيلة . وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك .

رجع رسول الله ﷺ إلى ربّه وقال مثل ما قاله له موسى عليه السلام ، فوضع الله برحمته عنه عشر صلوات . عاد رسول الله إلى موسى ، فطلب موسى عليه السلام من رسول الله ﷺ أن يعود إلى ربّه ويسأله التخفيف عنه وعن أمته من الصلوات .

عاد رسول الله فطلب من الله سبحانه وتعالى التخفيف عنه وعن أمته في الصلوات ، فوضع الله عنه وعن أمته عشر صلوات أخرى . لكن موسى عليه السلام ظلّ يطلب من رسول الله ﷺ أن يسأل الله التخفيف ، والله بعزته يخفف منها إلى أن وضع الله عنه إلاّ خمس صلوات في كل يوم وليلة .

رجع النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى موسى عليه السلام ، فطلب منه أن يعود إلى ربّه ويطلب تخفيفها .

وقال له : والله يا محمد لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه .

قال له سيدنا محمد رسول الله ﷺ : « قد راجعت ربّي وسألته حتى استحيت منه ، فما أنا بفاعل ، لقد قيل لي عن الصلوات الخمس أن من أدّاهن إيماناً واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة » .

نظرا لجد إلى أحفاده وقال لهم : تلك هي رحلة العروج برسول الله ﷺ إلى السماوات العلى حيث التقى بالأنبياء عليهم السلام ، ووصف لنا بعض الآيات التي رآها ﷺ ، ثم انتهى الأمر بدخول رسولنا الكريم إلى سدره المنتهى التي عندها جنة المأوى ، يقول رسول الله أنه رأى الله بقلبه . وكما تعلمون ، فإن الأنبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم أبدا . فرحلة العروج التي وهبت من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد هي منتهى التكريم لهذا النبي الأمين ﷺ . هو تكريم لم ينله نبي من قبله . فالحمد لله على نعمة الإسلام ، وعلى نعمته سبحانه وتعالى أن جعلنا من المسلمين ومن أمة محمد ﷺ .

\*\*\*\*\*



(٣٦)

ذو نواس والأخود

تخلّق الأحفاد حول جدّهم ، وأمام كل منهم مصحفه ، ينتظرون أمر جدّهم بفتح القرآن الكريم على السورة التى يختارها .

تبسم الشيخ وقال بعد أن أشار إلى أصغرهم : اقرأ لنا اليوم سورة البروج من الآية الأولى وحتى الآية التاسعة .

فتح الفتية مصاحفهم ، فقرأ الصغير بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ \* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ \* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ \* قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ \* النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ \* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ \* وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ \* وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ صدق الله العظيم .

قال الجد : أحسنت يا ولدى وبارك الله فيك . قصة اليوم تدور حول أصحاب الأخدود الذين حدثنا الله سبحانه وتعالى عنهم فى هذه الآيات . وهى قصة طويلة نوعاً ما ، فأرجو أن تصبروا وأنتم تستمعون إليها .

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم ، كان دين اليهود منتشراً فى اليمن ، وتولّى ذو نواس بن تبيان الملك عليها بعد أن استطاع السيطرة على كل قبائل اليمن ، فنقل عاصمة ملكه إلى بلدة صنعاء ، وأجبر قبائل حمير على ترك الوثنية وعبادة الأصنام ، والدخول فى الديانة اليهودية . ولإعلان تمسك ذى نواس بيهوديته أسمى نفسه يوسف .

كانت مدينة نجران بعيدة عن العاصمة ، ورفض أهلها الدخول فى الديانة اليهودية ، متمسكين بوثنيتهم وعبادة الأصنام والأوثان . كانت لهم نخلة طويلة جداً ، يعبدونها ويقيمون لها عيداً ، فيعلّقون عليها الكسوة المزركشة من الحرير ، ويضعون عليها الحلّى من الذهب والفضة والجواهر .

عاش فى مدينة نجران عدد من اليهود ، لكنهم لم يبالوا بالوثنية .  
فاليهود يعتقدون أنهم وحدهم أهل الجنة ، وكل من يخالف دينهم فهو كافر .  
يحبّون أنفسهم وحسب ، لم يهتموا بمن يعبد صنماً أو وثناً ، بل تركوهم  
فى عبادتهم ؛ لأن ملك نجران كان أيضاً من الوثنيين .

دخل رجل ذات يوم إلى قصر الملك ذى نواس ، وطلب من الحراس أن  
يأذنوا له بمقابلة الملك ليخبره بأمر عظيم يهم مملكته وديانته . أوضح للحراس  
أنه أتى من نجران خصيصاً لهذا الأمر الجلل . أذن ذو نواس للرجل بالمثل  
بين يديه . سأله عن ذلك السرّ العظيم الذى يود إخبار الملك به .

**قال الرجل للملك ذى نواس :** يا أيها الملك ، إننى على دين اليهودية مثلك . لقد  
حدث أمر خطير فى نجران . لقد تحوّل شعب نجران إلى المسيحية .

**سأل الملك عن ديانة المسيحية ، فقال له الرجل :** إنها ديانة المسيح عيسى ابن مريم ،  
ولذلك سُميت بالمسيحية ، وقد جاءت إلينا فى نجران على يد راهب من  
الروم يدعى فيميون ، ثم انتشر الدين الجديد بواسطة رجل يدعى عبد الله  
بن الثامر .

**فكر الملك قليلاً ثم سأل الرجل :** وماذا عن يهود نجران ؟

**رد الرجل منفعلًا :** دخل كثير منهم فى الديانة الجديدة يا أيها الملك وتركوا  
شريعة موسى .

**قال ذو نواس :** إنه بالفعل لأمر خطير ، لقد كوّن جيشًا ضخماً لكى  
أفرض دين اليهودية على الدنيا كلها ، ثم أرى أن اليهود فى نجران يتحولون  
إلى المسيحية ؟

**سكت الملك قليلاً ثم قال للرجل :** سوف أرى ماذا أفعل فى هذا الأمر الخطير . قل  
لى ما هى قصة ذلك الراهب الذى تحدّث عنه وكان السبب فى دخول هذه  
الديانة الجديدة ؟

كان فيميون الراهب رجلاً صالحاً ومجتهداً ، زاهداً فى الدنيا ،  
ومستجاب الدعاء ، مثله مثل كل من يعرف الاسم الأعظم لله سبحانه  
وتعالى ، الذى إذا دعا به الإنسان استجاب الله لدعائه فى الخير فوراً .

عاش الراهب فيميون سائحاً فى أرض الشام ، لا يستقر فى مكان  
واحد ، بل ينزل فى القرى يدعو أهلها للإيمان والعمل الصالح ، لا يدخل  
قرية إلا وخرج منها بعد فترة إلى قرية أخرى لا يعرفه أحد بها . كان ككل  
الصالحين لا يأكل إلا من كسب يده ، فاختار حرفة البناء ، يعمل الطين ثم  
يخلطه بالقش ، فيبنى به للناس . يرضى بأقل الأجر لكى يشتري طعاماً  
يسدّ به رمقه . كان فيميون الراهب يُعظّم يوم الأحد . فإذا كان ذلك اليوم ،  
امتنع عن العمل فيه ، وتفرّغ لعبادته ، فيخرج إلى الصحراء ، ويظل بها  
يصلّى حتى المساء .

\*\*\*\*\*

كان لرجل من أهل قرية نزل فيها فيميون ابن ضرير ، سأل فى شأن  
ذلك الراهب فيميون .

**ف قيل له :** إنه لا يأتى لأحد يدعو له لرؤية مريض . لكنه رجل يعمل  
بالأجر فى حرفة البناء . إذا دعوته لهذا الشأن وحده ذهب إليك .

قام الرجل بوضع ابنه الأعمى فى وسط إحدى الحجرات فى بيته وغطّاه  
بثوب .

**ثم دعا فيميون إلى بيته يقول له :** أردت أن أجرى إصلاحاً فى بيتى ، تعال معى  
حتى تنظر ما أريده منك ثم نتفق على الأجر .

ذهب فيميون إلى منزل الرجل ، ودخل الحجرة التى بها الغلام الضير .  
سأله الراهب عما يريده الرجل من عمل الإصلاحات فى مباني تلك  
الحجرة ، فظل الرجل يحاوره .

ثم كشف الثوب بسرعة عن ابنه وقال لفيميون الراهب : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ادع الله له .

دعا فيميون للصبي الكفيف ، فبرأ بإذن الله ، وقام الصبي بعد أن ارتد إليه بصره .

أيقن الراهب فيميون أن أمره قد عُرف ، فقرّر أن يخرج من القرية ويتجه إلى أرض جديدة لا يعرفه فيها الناس . مشى الراهب فيميون في الصحراء على غير هدى ، فهجم بعض قطاع الطرق من الأعراب بالصحراء على الراهب فأسروه وأخذوه إلى سوق العبيد . اشتراه أحد أغنياء نجران ، فأصبح الراهب فيميون عبداً لذلك الرجل الغنيّ . أخذه سيده إلى نجران وأسكنه في غرفة صغيرة تابعة لقصره .

أقام فيميون في غرفته الصغيرة ، راضٍ بحكم الله ، فهو يدرك أن الخالق العظيم هو الذي يُدبّر كل شيء وكل أمر . ظلّ على حاله من أداء الصلاة والعبادة والعمل في الصباح بما يكلفه به سيده ، لا يتضرر ولا يرفض له أمراً . يسهر الليالي في غرفته يصلّي ويتعبد . رأى الرجل الغنيّ أن غرفة الراهب فيميون تمتلئ بالنور في المساء وليس لدى فيميون مصباح ينير تلك الغرفة .

سأل الرجل الغنيّ فيميون : إننى أرى نوراً في المساء بغرفتك ، ما هو السر ؟

قال الراهب فيميون : إننى أصلى لربّي الله ، أعبده وحده لا شريك له . ذلك هو ديني .

فسأله الرجل عن دينه ، فقال له الراهب : إنكم تعبدون نخلة طويلة تقيمون لها عيداً في نجران ، فتعلّقون عليها الكساوى الجديدة ، وتضعون حلىّ نسائكم عليها . قال السيد لعبده فيميون : نعم ، ذلك هو ديننا .

قال فيميون الراهب : إنّما أنتم على باطل ، إن هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع . لو دعوت عليها ربّي الذى أعبده لأهلكها ، فهو وحده الله لا شريك له ، ولا يُعبد سواه .

قال الرجل الغنى : افعل ذلك . فإذا حدث ما قلت لى عنه وأهلك ربك النخلة دخلت فى دينك الذى تقول عنه ، وتركت ما أنا عليه .

قام الرجل الغنى بدعوة أهله وجيرانه وكل من وجدته وقتها إلى جوار النخلة ، وطلب من عبده فيميون الراهب أن يفعل ما قاله من إهلاك النخلة التى يعبدونها . قام فيميون فتطهر وصلى ، ثم دعا الله ربه ، فأرسل رب العزة على النخلة ريحاً فأسقطتها وقلعتها من جذورها ، فألقته على الأرض . هلّل الناس وآمنوا بالدين الجديد الذى يدعو إليه فيميون على شريعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، يعبدون الله ولا يشركون به أحداً . فكانوا بذلك هم أول النصارى فى نجران بأرض العرب .

أعتق غنى نجران الراهب فيميون من العبودية ، وأعطاه حرّيته .

وقال له : إنك حرّ ، إن أردت البقاء هنا فمرحباً بك وإن أردت الرحيل فذلك أمرك . افعل ما تشاء .

طلب الراهب فيميون أن يخرج ليقم فى الصحراء على حدود مدينة نجران ، فأقام خيمته فى الصحراء وعاش فيها يصلى لله ويعبده ويشكره على نعمة هداية قوم كافرين .

\*\*\*\*\*

كان ملك نجران كافراً ، والكفار يؤمنون بالسحر والتنجيم والنظر فى أمور المستقبل والغيب الذى لا يعرفه إلا الله سبحانه وتعالى . وكان للملك ساحر يؤدى له كل ما يطلبه منه ، فينفذ الملك كل ما يأمره به الساحر .

دخل الساحر يوماً عند الملك وقال له : إننى أحس بدنو أجلى يا أيها الملك ، انظر ماذا أنت فاعل .

أمر الملك بأن يقوم الساحر بتعليم السحر لبعض أبناء البلدة ، حتى يتولى أحسنهم مكان الساحر عند الملك . بدأ أهل نجران والقرى المحيطة بها فى إرسال أولادهم إلى ذلك الساحر؛ ليعلم الأبناء كهنته وأسرارها وفنونها .

كان الفتى عبد الله بن الثامر غلامًا ذكيًا لمًا حًا ، فأرسله أبوه إلى الساحر لكي يتلقّى منه فنون السحر ويتعلّمه على يديه ، عسى أن يصبح ساحرًا مشهورًا مثله ، فيقرّبه الملك منه . وكان عبد الله بن الثامر يمرّ وهو في طريقه إلى بيت الساحر بالصحراء ، فرأى الراهب فيميون وهو يصلى ويتعبّد ، فأعجبه ما يراه من الصلاة ، فجلس إلى جواره يراقبه ، فتأخّر عن موعد دراسته عند الساحر .

بدأ الفتى يسأل الراهب عن دينه ويستمع إلى شرح فيميون للشريعة التي جاء بها عيسى ابن مريم ﷺ ، فأمن الفتى وأسلم موحدًا بالله . وظلّ عبد الله بن الثامر يستزيد من تعلّم دينه الجديد على يد فيميون . تحدّث الراهب يومًا عن ذكر البركة التي يحملها كل من يعرف الاسم الأعظم لله سبحانه وتعالى .

**قال له الفتى :** أخبرنى عن الاسم الأعظم لله .

**قال له الراهب :** يا بن أخى ، إنك لن تحمله ، فأنا أخشى عليك من ضعفك عنه .

فكان الفتى كلّما جاء إلى الراهب يرجوه فى تعلّيمه الاسم الأعظم ، لكن فيميون رفض فى كل مرّة سأله الفتى عنه أن يخبره بالاسم الأعظم لله العظيم .

عاش الفتى عبد الله بن الثامر وفكره مشغول بالبحث عن الاسم الأعظم لله سبحانه وتعالى ، لا يستطيع أن يهتدى إليه ، ولا يقدر على انتزاعه من فم الراهب فيميون . أصبح قلبه مشتّتًا بين تلقّى الدين من الراهب ، وتعلّم السحر من الساحر . بينما كان يسير يومًا ، إذ بالناس وقد تملّكهم الخوف من حيوان كبير سدّ الطريق عليهم وهددهم وأخافهم .

**قال عبد الله بن الثامر وهو يحدث نفسه :** اليوم أعلم هل أمر الراهب أحب إلى الله ، أم أمر الساحر .

والتقط الفتى حجراً من الأرض وقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذا الحيوان ؛ حتى يتمكن الناس من المشى فى سلام .  
رمى عبد الله بن الثامر بالحجر فأصاب الدابة فى رأسها فسقطت ميتة .  
سعد الناس ومضوا فى طريقهم إلى حال سبيلهم . جرى عبد الله بن الثامر إلى الراهب فيميون ، فأخبره بما فكر فيه وما عمله .

قال له الراهب : أى بنى ، أنت أفضل منى ، إنك سوف تُبتلى لا شك فى ذلك . أوصيك أنك إذا ابتليت فلا تدلّ على أحد . فوعده الفتى بذلك .

\*\*\*\*\*

ظل عبد الله بن الثامر يلحّ ويرجو الراهب ليخبره بالاسم الأعظم لله ، لكن فيميون رفض ؛ لأنه عرف أن الفتى سوف يضعف أمام حمل بركة هذا الاسم . قرر الفتى أن يعرف الاسم الأعظم بنفسه ، فجمع سهاماً عنده ، كلّما وجد اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى كتبه على سهم منها إلى أن أحصى كل الأسماء ، فأوقد ناراً كبيرة ، وجعل يقذف بالسهم واحداً فواحداً ، حتى إذا جاء السهم الذى كُتب عليه اسم الله الأعظم ورمى به فى النار رأى السهم وقد وثب يخرج من النار التى لم تضره شيئاً .

عرف عبد الله بن الثامر اسم الله الأعظم ، فجرى إلى الراهب فيميون يخبره بأنه عرف الاسم الذى كتبه عنه ورفض أن يفصح عنه .

سأله الراهب : وما هو الاسم الأعظم ؟

قال عبد الله بن الثامر : هو كذا ، سأله الراهب كيف عرفه ؟ فأخبره الفتى بما كان من أمر السهام .

فقال فيميون : أى ابن أخى ، قد أصبته ، أمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

سعى عبد الله بن الثامر بين أهل نجران ، كلّما لقي أحداً به ضرراً أو مرضاً أو علة وقف أمامه .



وقال له: هل توحّد بالله وتدخل فى دينى ، فأدعو لك الله ربّى فيعافيك  
مما أنت فيه من بلاء ؟

فيوافق المريض دون تردد ، فيطلب عبد الله من الرجل أن يعلن توحّيده  
لله وأن يُسلم ، فيفعل الرجل . يدعو له الفتى باسم الله الأعظم ، فيشفى  
الرجل بإذن الله ، حتى لم يبق فى نجران أحد به مرض أو سقم إلا أتاه ،  
فازداد عدد المسلمين لله بشريعة عيسى ابن مريم عليه السلام .

بلغ ملك نجران ما يقوم به عبد الله بن الثامر من عمل ، جعل الناس  
يقبلون على اتباع دين الفتى .

دعا الملك عبد الله بن الثامر إلى قصره وقال له : لقد أفسدت علىّ أهل بلدتى وخالفت  
دينى ودين آبائى ، لقد قررت قتلك والتمثيل بجثتك .

قال عبد الله بن الثامر للملك الكافر : لا تقدر على ذلك .

أمر الملك جنده أن يأخذوا الفتى إلى جبل عال ثم يلقوا به من قمة  
الجبل . أخذه الجند وساروا به حتى الجبل ، فتسلقوا إلى قمته تنفيذاً لأمر  
ملكهم .

هنالك دعا عبد الله بن الثامر ربه وقال : اللهم اكفنى شرهم بما شئت .

اهتزّ الجبل بأمر الله سبحانه وتعالى ، فسقط الجنود أجمعون من قمة  
الجبل موتى ، وبقي عبد الله بن الثامر ينظر إلى الجند من علٍ ، ويشكر ربه  
على نعمته . عاد الفتى وحده إلى قصر الملك ، الذى فوجئ به فسأله عما  
حدث .

فقال له ابن الثامر : لقد كفانى الله شرهم فماتوا وتهشمت جثثهم .

\*\*\*\*\*

غضب ملك نجران ، فاستدعى نفرًا من جنده وقال لهم : خذوا هذا الفتى فى سفينة إلى  
وسط البحر ، فإذا لم يرجع عن دينه فألقوه إلى وسط البحر وأغرقوه .

أخذ الجند عبد الله بن الثامر إلى السفينة وأبحروا بها حتى وصلوا إلى وسط البحر .

فدعا الفتى ربه وقال : اللهم اكفني شرهم بما شئت .

هاج البحر وهبت الرياح فسقط الجند في الماء الهادر ، ولم ينج سوى ابن الثامر ، فعاد بالسفينة شاكرًا لله نعمته ورحمته .

توجه إلى قصر الملك ، فسأله في جزع : ماذا حدث ؟

قال عبد الله بن الثامر : كفاني الله شرهم فأغرقهم في البحر .

لمح الفتى على وجه الملك حيرة وغیظاً مكتوماً ، فقال له : إنك تريد أن تقتلني ، لكنك لن تستطيع ذلك إلا إذا فعلت ما أمرك به . إن فعلت ذلك استطعت أن تقتلني ، وإلا فلن تقدر على ذلك أبداً .

قال الملك : وما هو هذا الشيء ؟

قال عبد الله بن الثامر : توحد الله وتؤمن بما آمنت أنا به .

قبل الملك ما عرضه عليه ابن الثامر ، فوحد الله سبحانه وتعالى ، وشهد شهادة عبد الله ، ثم أحضر عصا ملكه وضربه فوق أم رأسه ، ففلق رأس ابن الثامر فسقط قتيلاً . نظر الملك إلى القتل ، وقد أمسك برأسه . فسقط الملك مكانه ميتاً لساعته .

عرف أهل نجران بما جرى في القصر بين الملك وبين عبد الله بن الثامر ، فسارعوا إلى دخول الدين المسيحي أسوة بمليكههم ، فكان دين نجران على شريعة ما جاء به السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وما نُزل عليه من الإنجيل .

\*\*\*\*\*

استدعى ذو نواس قواد جنده ، ونقل إليهم ما سمعه من أخبار نجران ، وما حدث فيها من تحول الناس إلى المسيحية ، وأبلغهم غاضباً أنه سوف

يسير بالجيش إلى نجران لكي يُجبر أهلها على نبذ الدين الجديد والعودة إلى الديانة اليهودية ، دينهم ودين أجدادهم . هلّل القادة وهم يشجعون ملكهم على ذلك الأمر .

خرج ذو نواس في جيشه العرمرم حتى اقترب من حدود نجران ، فحاصرها بجنوده من كل اتجاه ، وأرسل إلى كبراء القوم في نجران يأمرهم بالمثل بين يديه . ذهبوا صاغرين وهم يرون بلدتهم وقد طوّقها جنود لا قبل لهم بهم . سألهم ذو نواس عن دينهم فوجدهم متمسكين بديانة شريعة المسيح ﷺ ، يعملون بتعاليمه . أمرهم أن يتخلّوا عن تلك العقيدة والعودة إلى اعتناق اليهودية ، وهددهم بأن العقاب والعذاب ينتظرهم إذا ما عصوا أوامره . تشاور أهل نجران فيما بينهم ، فاختراروا البقاء على ديانتهم المسيحية ، غير عابئين بتهديد ووعيد ذي نواس بالعذاب والعقاب .

أمر ذو نواس جنوده بحفر خندق عظيم على حدود المدينة المحاصرة ، فعكف الجند على حفر الأخدود المستطيل ، بحيث إذا ما نزل فيه الرجل ، لم يستطع أن يصعد منه . وأمر الملك ذو نواس جنوده بدخول مدينة نجران ، وجمع كل المسيحيين ، وساقوهم أمامهم في صفّ طويل حتى وقفوا على حافة الأخدود .

عاد ذو نواس وأمر جنوده بجمع الخشب والخطب ، ووضعها في الأخدود ، ثم أضرموا فيه النار ، فتصاعد لهبها عاليًا وانتشر الدخان ، يُزكم الأنوف ويدمع العيون .

قال الملك ذو نواس للمسيحيين الواقفين أمامه يشاهدون النار ولهبها: عليكم أن تختاروا . إما ترك المسيحية واعتناق اليهودية ، وإما الحرق والقتل .

كان كل من يختار المسيحية يُدفع به إلى النار في الأخدود ، حتى قتل ذو نواس وجنده ما يقرب من عشرين ألفًا من المسيحيين في ذلك اليوم المشئوم ، بعد أن انعدمت الرحمة من قلوب ذي نواس وجنوده . لم يأبها بالصراخ والعويل ، ولا بدعاء المظلومين من أهل نجران الذين أسلموا على

شريعة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام .

\*\*\*\*\*

تمكّن رجل واحد من المسيحيين المؤمنين من أهل نجران ، يدعى دوس ذو ثعلبان ، أن يغافل جنود ذى نواس ، منتهزا الهرج والمرج الذى حدث وصراخ الذين قُذفوا فى نار الأخدود ، فقفز فوق حصان رآه أمامه وانطلق فى سرعة يسابق الريح بحصانه ، لمحّه ذو نواس فأمر بعض الجند بملاحقته وإحضاره حياً أو ميتاً . جرى الجند خلفه للإمساك به .

كان دوس ذو ثعلبان خبيراً بالصحراء ، يعرف مسالكها جيداً ، واستطاع أن يختفى فى دروبها ، حتى فقد الجنود أثره ولم يستطيعوا الإمساك به . عندما تيقن ذو ثعلبان من عودة الجنود وأحسّ بالأمان مشى بين القرى يقصّ عليهم ما حدث لأهل نجران المسيحيين على يدى اليهودى الملك ذى نواس حتى وصل ذو ثعلبان فى رحلته إلى بلاد الروم ، وقصّ على ملك الروم المسيحى ما حدث وطلب منه الانتقام لأبناء دين السيد المسيح عليه السلام .

\*\*\*\*\*

قال الجد لأحفاده : انتقم المسيحيون من ذى نواس ، وأنتم تعرفون قصة الفيل التى قصصتها عليكم ، وكيف جاء المسيحيون من الحبشة للانتقام من الملك اليهودى ذى نواس .

\*\*\*\*\*

## مراجع الكتاب

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - دار الريان للتراث - القاهرة .
- ٣ - المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم - دار الحديث - القاهرة .
- ٤ - صحيح البخارى ( ٤ أجزاء ) - دار الحديث - القاهرة .
- ٥ - صحيح مسلم ( ٥ أجزاء ) - دار الحديث - القاهرة .
- ٦ - قصص الأنبياء - لابن كثير المكتبة التجارية - القاهرة .
- ٧ - الرحيق المختوم - المباركفورى - دار الريان للتراث - القاهرة .
- ٨ - المبعوثون إلى الأرض - للمؤلف - توزيع وكالة الأهرام .
- ٩ - اليهود أعداء محمد ﷺ - للمؤلف - توزيع وكالة الأهرام .

## صدر للمؤلف

عن دار الحديث :

قصص الأنبياء للنشء — الطبعة الأولى  
قصص الأنبياء للنشء — الطبعة الثانية مزودة ومنقحة  
السيرة النبوية للنشء

عن دار نشر لونجمان :

عاد بخفى حنين  
سعادة السفير

الحمير طعام الملوك

عن دار مدبولي :

المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودي  
الدعوى الفاطمية

عن دار الزهراء للإعلام :

الفيل والبيت العتيق  
زمزم المنهل العذب

عن دار الشعب : سلسلة من قصص القرآن الكريم

دعوة إبراهيم عليه السلام

بقرة بنى إسرائيل

لقمان الحكيم

أرض التيه

أصحاب الكهف

ملكة سبا

سرقات يوسف المزعومة      الفرار حذر الموت  
خلق البشر      قوم عاد  
أصحاب الأيكة      الشهيد يحيى عليه السلام  
توزيع وكالة الأهرام :

لن يشقى وحده — قصص قصيرة  
دموع على وجه أسود — قصص قصيرة  
المبعوثون إلى الأرض — قصص الأنبياء عليهم السلام  
اليهود أعداء محمد ﷺ

حامل حقبة دبلوماسية      الهيئة العامة للكتاب

\*\*\*\*\*

## محتويات الكتاب

|     |  |
|-----|--|
| ٥   | تقديم .....                                      |
| ٧   | خليفة في الأرض .....                             |
| ١٥  | اليهود والبقرة .....                             |
| ٢٧  | الله عدو للكافرين .....                          |
| ٣٣  | فتنة الملائكة .....                              |
| ٤١  | الدعاء المستجاب .....                            |
| ٤٩  | القرض الحسن .....                                |
| ٥٧  | تابوت العهد .....                                |
| ٦٧  | الخليل <small>عليه السلام</small> والنمرود ..... |
| ٧٥  | القرية الخاوية .....                             |
| ٨٣  | رحمة الله بالمؤمنين .....                        |
| ٨٩  | معجزة القلم .....                                |
| ٩٧  | معجزات المسيح <small>عليه السلام</small> .....   |
| ١٠٧ | فتنة اليهود .....                                |
| ١١٣ | الحرث والأنعام .....                             |
| ١١٩ | المغضوب عليهم .....                              |
| ١٣١ | مائدة السماء .....                               |
| ١٣٩ | قرية القردة .....                                |
| ١٤٧ | دُعاء الشر .....                                 |
| ١٥٥ | الأشهر الحُرْم .....                             |



|     |   |
|-----|---|
| ١٦٣ | سرقات الخير .....                                     |
| ١٧٣ | الإسراء .....   |
| ١٧٩ | الفتية المؤمنون .....                                 |
| ١٨٧ | الكفر والإيمان .....                                  |
| ١٩٣ | موسى والخضر عليهما السلام .....                       |
| ٢٠١ | ذو القرنين .....                                      |
| ٢١٣ | الملكة بلقيس وسليمان <small>عليه السلام</small> ..... |
| ٢٢٣ | كنوز قارون .....                                      |
| ٢٣٥ | لقمان والحكمة .....                                   |
| ٢٤٩ | الجنّ والسحر .....                                    |
| ٢٥٧ | سيل العرم .....                                       |
| ٢٦٥ | فتنة سليمان <small>عليه السلام</small> .....          |
| ٢٧٣ | تُبّع وقومه .....                                     |
| ٢٨١ | أهل الجنة وأهل النار .....                            |
| ٢٩٣ | إنكار الزكاة .....                                    |
| ٣٠١ | المعراج .....   |
| ٣٠٩ | ذو نواس والأخدود .....                                |
| ٣٢٣ | مراجع الكتاب .....                                    |
| ٣٢٥ | صدر للمؤلف .....                                      |
| ٣٢٧ | محتويات الكتاب .....                                  |